العربي
في أَدب الأَطفال العبري

تـأليـف

الدكتور يونس عمرو
عميد البحث العلمي في جامعة الخليل

و

غانم مزعل
مدرس اللغة العبرية في جامعة النجاح الوطنية

منشورات مركز البحث العلمي
جمادي الأولى ١٤٠٩ هـ ـ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٩ م

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قال تعالى :

«أُولئكَ الذينَ يعلمُ اللهُ ما في قلوبهِمْ فأعرضْ عنهم وَعِظْهُمْ وَقُلْ لهم في انفسِهِمْ قولاً بَليغاً».

(صدق الله العظيم)

الآية ٦٣ من سورة النساء.

ـ إهـــداء ـ

إلى أطفال الإنسانية أجمع ، إلى أطفال فلسطين
المحرومين ، إلى الأطفال اليهود في كل مكان ، نهدي هذا البحث عسى أن تكون فيه
ومضة أمل ؛ ليعقل من يعقل ، فيرجع إلى جادة الصواب.

المؤلفان

شكر وعرفان

إننا إذ ننتهي من إعداد هذا البحث ، نتقدم بالشكر والعرفان ، لكل من أسهم بجهد قل أو كثر في اخراجه إلى النور ونخص بالشكر الصديق (عبد الرحمن عباد) لما ابداه من ملاحظات ونصائح أدبية مفيدة ، وكذلك الزميله (نجاح أبو ساره) لما بذلته من جهد في اعداد الفهارس الخاصة بالبحث ،

جزاهم الله جميعاً عنا خير الجزاء

المؤلفان

المقدمة

اختلفت اساليب التعريف بالأدب من باحث لآخر ، ومن أمة لأخرى ، غير أنها كلها اتفقت في المفهوم العام ، والفحوى الكلية ، فافادت بأن الادب انما هو تجسيد لما يكتنف المشاعر والاحاسيس ، بل هو ترجمان لخلجات النفس الانسانية في كل آوان ، وحسب تعاقب الظروف وتقلب الاحوال ، فالاديب يرى الاشياء أو تمر به الاحداث كغيره ممن يعيش بين ظهرانيهم من بني قومه ، ولكن تجد لها صدى في نفسه دون غيره ، فيتاثر وينفعل ثم يمتزج مع الانفعال ، فيجلس الى نفسه مترجماً خلجاتها ، معبراً عن الم أو حزن أو فرح ، مفكراً مختاراً لأسلوب الترجمة حسب مقتضى الحال واداة الترجمة ، نثراً كانت أم شعراً أم لوناً آخر من الوان التعبير الفني ، كل اداة وضروب التعبير التي لا بد للترجمان أن يكون فارساً في ميدانها مالكاً لناصية ذاك الميدان. وبعد فلا بد لذلك الترجمان أن يختار سبيلا يسلكه لصوغ ترجمته ، كان يعمد الى سبيل الواقع والمجتمع الانساني ، فيوصف بالواقعية والانسانية ، أو أن يعمد الى الذاتية فيتوقف بفنه لذاته ، فيوصف بالذاتية ، وقد يعمد الى الخيال ، فيطير على أجنحة ذهبية أو فضية أو وردية ، ناء بنفسه وفنه عن ارض واقعه مجتازاً آفاق العقل الى الخيال والاسطورية ، ومن ثم يوصف بما اختار.

إن الآداب والفنون بمختلف انواعها وصنوفها تشكل بلا شك ، الوجه الحضاري المشرق لأي شعب من الشعوب ، شريطة أن يخلو ذاك الادب أو الفن من الخداع وروح التعصب ضد الفئات أو الاقوام الاخرى ، فليس كل أدب يمكن له أن يحتسب في ذمة الحضارة والتاريخ ، على أنه أدب انساني ، فكلمة موجزة يسيرة يمكن أن تغادر قمقم الذاتية ويجتاز بها قائلها حدود المحلية والاقليمية ، ليجوب آفاق الدنيا ويدخل الى نفسيات الشعوب ، ليوصف من بعد بأنه أديب انساني بل حكيم من الحكماء ، وفي المقابل ، قد ينفق اديب من الادباء عمره في عمل أدبي كبير ، وحين يعرض على موازين النقد الادبي المختلفة ، يلقى جانباً دون الالتفات اليه ، ليوصف بأوصاف مختلفة ، كان يقال فيه : أنه ذاتي لم يتجاوز فيه صاحبه ارنبة أنفه ، أو حدود محيطه الذي يعيش فيه ، بل قد يوصف بانه من الاعمال الادبية المتعالية المتعصبة لانسان ضد انسان ، أو أنه قد اوغل في الرمزية والتجريد ولوك القول بحيث يصير ممتنعاً على الافهام مستعصياً على اثارة الوجدان في متلقيه ، فيهمل معتبراً من سقط القول عقيم اللغة واللسان. فلكم يختلف اديب عن اديب آخر حسب هذه الموازين ووفق هذه المناهج على بساطتها.

ولعل خطورة الأعمال الادبية والفنية تكمن في أنها القالب الذي يصوغ نفسية من يخاطبهم ويتوجه اليهم ، هذا على اعتبار أن الاديب انما هو الصائغ المبدع الذي يمسك بالقالب ويصوغ فيه خامة القولبة ، ليقدم لأمته ومن ثم للانسانية ميزاناً حضارياً خالياً من الشوائب أو التعقيد ، هذا على صعيد الأدب العام ، أما في ميادين الادب الخاص وفروع خطابه ، تكون الخطورة أكبر ،

وبخاصة أدب الاطفال الذي يواكب النمو العقلي والجسمي للطفل في شعب من الشعوب بالقدر نفسه الذي يواكب فيه نموه النفسي ، فكما كان الأديب المتخصص في أدبه (بخطاب الاطفال) واعياً لهذه المسالة ، بل حريصاً على الاسهام الايجابي (من الوجهة الانسانية) في بناء شخصية اطفال شعبه ، يكون محسناً ومبدعاً في بناء مجتمع راق عتيد تتعاقب فيه اجيال صالحة تقدم الخير لنفسها وللدنيا بأسرها ، هذا الى جانب كون هذا الاديب الجيد يحسن لنفسه وللانسانية جمعاء ، ومن الوجهة الاخرى ، وهي اذا ابتليت أمة من الامم ـ والعياذ بالله ـ باديب أو أدباء مظلمي السريرة من ذوي الثناء الاسود ، فيكون ذلك البلاء لتلك الامة على قدر كبير من فعالية الهدم في أجيالها التي تنبت وتتعاقب بروح شريرة ونفسية سوداء وعقلية مختلة ، فتنظر بهذه الامكانات الى مجتمعها أولا ومن ثم الى المجتمع الانساني بأسره ، مما يقود الى اضمحلال المجتمع الذي يكون عماده مثل هذه الاجيال التي ابتليت بمثل ذاك الاديب ، وتعد هذه المعضلة من اسوأ المشكلات التي تواجهها بعض الشعوب الحاضرة ، كما واجهتها شعوب سابقة ، بل أنها موضوع هذه الدراسة التي سوف نتعرض فيها الى أدب الاطفال العبري الحديث ، لنبرز الوجه العربي المشوه في كثير من الوان هذا الادب ، وذلك من خلال اصرار جمع من الادباء اليهود المتخصصين اليوم في خطاب اطفالهم باسلوب من اللانسانية ، يحرصون فيه على ابراز الشخصية العربية على اسوأ وجه وعلى صورة غاية في الوحشية ، بحيث تثير الرعب والخوف في نفس الطفل اليهودي ، لمجرد سماعه بكلمة (عربي) أو رؤيته لشخص (عربي) ، وكأن هذا النفر من الكتاب اليهود قد نسي أو تناسى أنه وشعبه يعيش فوق ريشة طير عائمة في خضم هائل لمحيط عربي كبير كبير ، بل ألم يدرك هذا الاديب ، أنه لا فكاك لليهودي من العربي ليس في هذه البلاد فحسب بل في الوطن العربي الاكبر؟ كما أن اليهودي لا فكاك له من العربي في مختلف بقاع العالم ، وذلك بالنظر لسهولة التنقل والاتصال بين اقطار العالم؟ ففضلا عن أن اليهودي اليوم يعيش وجهاً لوجه مع العربي هنا فوق هذه الأرض رضي احدهما أم سخط الآخر ، وعلى فرض أن يهودياً هنا اليوم قد حاول جاهداً أن يبتعد بنفسه عن أن يرى أو يواجه عربياً ، فعمد الى بناء صرح مستقبل لنفسه ، فهل يستطيع ذلك اليهودي أن يمتنع من مفاجأة تباغته بمشهد عربي أو جماعة من العرب يمثل أمامه على شاشة جهاز التلفاز مثلاً؟ بل هل يضمن أن يتناول طعاماً أو شراباً أو أن يلبس لباساً أو أن يقع له متاع لا يد لعربي في انتاجه؟ الجواب قطعاً على كل هذه التساؤلات هو : (النفي) ، بمعنى استحالة منع الاتصال والمواجهة بين اليهودي والعربي على المستوى الداخلي.

أما على المستوى الخارجي فالامر واحد ، فهل يضمن اليهودي لنفسه أن يركب طائرة أو قطاراً أو يجلس في مقهى ، ولا يفاجأ بعربي يجلس الى جواره ثم يفاتح احدهما الآخر بحديث التعارف بلغة أجنبية ليعرف اليهودي من بعد أن جليسه عربي ، فماذا سيفعل؟ بل الى أين سيذهب؟!

ونقول هذا القول ولا نوقف الخطاب فيه على الادباء اليهود حتى وإن كانت المناسبة قد اقتضت ذلك وفرضه المقام ، بل لا ريب في أن الادباء العرب مقصودون به ومعنيون ، وإن لم يقدموا على ما أقدم عليه الادباء اليهود في تشويه صورة العربي من خلال أدبهم لاطفالهم.

إن الهدف المقصود والمرجو بهذه الدراسة ، له وجهان اثنان :

الاول : ويخص الادباء اليهود بخاصة ، والشعب اليهودي بعامة ، نتوجه اليهم بفحوى الخطاب من خلال عرض لجوهر الاعمال الادبية المتعلقة بالموضوع مع ابراز سلبية ما

فعلوا ، لعلهم يدركون أنهم أتوا عملاً أدبياً لا انسانياً ولا حضارياً ليس على محملهم الشخصي ، بل أنهم قد ارتكبوا جرماً بحق شعبهم أظنه لا يغتفر ، وإن كنت ازعم أن جمهوراً عريضاً من الشعب اليهودي في هذه البلاد وخارجها لا يوافق على صنيع هؤلاء ، بل هناك من انبرى لهم ونقض ما قالوا بتوجيه النقد اللاذع لهم وسنرى ذلك خلال الدراسة ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ، فنحن من خلال هذه الدراسة لا نهدف استجداء هؤلاء الادباء كي يدعوا اطفالهم من قرائهم اليهود ليحبوا العرب ، وإن كان هذا الامر حاصلا بالضرورة إن صحت لهم الدعوة وخلصت نواياهم ، وما نهدف اليه هو أن نبرز لهم خطورة صنيعهم وشؤم عملهم ضد انفسهم وشعبهم ، لعل ذلك يكون حافزاً لهم أن يصلحوا وإلا فليمضوا في التخريب على أنفسهم وذويهم من أهلهم وعشيرتهم ، فلا ريب في أنهم يخربون بيوتهم بأيديهم في آخر الآوان إن لم يكن على الدوام.

الثاني : نهدف بهذه الدراسة أن نتوجه من خلالها الى ادباء العرب بخاصة والجمهور العربي على وجه العموم ، بالعبرة الحية التي تستند الى حدث حاصل ، بأن يناوا بانفسهم وأدبهم عن الانزلاق في هذا المنزلق السحيق وذلك بألا يركبوا مثل هذا المركب الخطر ، ليصنفوا تصنيفاً يقودهم الى الوقوف في صف لا انساني ولا حضاري فتحل عليهم لعنة شعبهم أولا ثم لعنة الانسانية ثانياً.

أما الجمهور العربي فنهدف أن نبين له أن الطفل اليهودي الذي ترونه قد زرع في نفسه عنصر من الخوف المتاصل ، بحيث لن يقبل معه من عربي وداً أومساعدة ، بمعنى أن العربي اذا صادف طفلا يهودياً وقد وقع في مازق صار معه الى حاجة أو عون أو مساعدة ، فعلى العربي أن يبادر الى تقديم العون والمساعدة وهو على علم مسبق بأن هذا الطفل يخافه ، الى درجة قد تنسيه حاله التي هو فيها من طلب العون والمساعدة ، والالتفات الى أذى قد يصيبه من ذاك العربي ، أي أن العربي عليه أن يكون غاية في الحذر والفهم وهو يتوجه الى ذاك الطفل اليهودي وهو يقدم اليه العون ، وإلا فسينقلب الامر الى ضد المطلوب فتقع الكارثة التي يصبح العربي مسهماً في وقوعها رغماً عنه ودون علم منه في نهاية الأمر.

ولهذه المسالة البغيضة في الادب العبري (عبر العصور) جذور بعيدة ، بمعنى أنها ليست طارئة في عصرنا الحديث ، وهذا ما سنتطرق اليه بالحديث لاحقاً.

جذور المسألة :

لا شك في أن المشاعر الدينية التي تأصلت في نفوس اليهود عبر تاريخهم الطويل ، كان لها أكبر الاثر في تعميق نزعة التعصب العرقية التي ينكرها الكثير من الباحثين على أن لا وجود لعرق يهودي ، بل الموجود هو دين يهودي ، مما لا يعنينا الخوض فيه هنا ، ولعل نصوص العهد القديم تعتبر المسؤول الأول عن تأصيل هذه النزعة وتعميقها عبر الاجيال اليهودية المتعاقبة. لقد أهمل اليهود مكانة اسماعيل بل حطوا من قدره على اعتبار أنه ابن لجارية ، مقابل اسحق ابن السيدة ساره ، ثم تتكرر المسالة في ابني اسحق الاكبر (عيسو) الذي أهمل هو الآخر وحط من قدره وقدر

نسله الادوميين تماما كما حط من قدر (اسماعيل) ونسله العربي ، وذلك مقابل الأخ الاصغر لعيسو وهو يعقوب ونسله الاسرائيليون ، ذلك الرجل الذي عرف بالاسم (اسرائيل) اثر حادثة يرويها سفر التكوين تعتبر اقرب الى الخيال والاسطورية منها الى الواقعية ، نذكرها بالنص لعلنا نقدم للقارىء العربي دليلا عجلا دون تعليق منا أو تدخل بتفسير أو تحليل ، فالرواية تقول : «فبقي يعقوب وحده. وصارعه انسان حتى طلوع الفجر. ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه. وقال اطلقني لأنه قد طلع الفجر. فقال لا أطلقك إن لم تباركني ، فقال له ما اسمك. فقال يعقوب ، فقال لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل اسرائيل. لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت. وسأل يعقوب وقال أخبرني باسمك. فقال لماذا تسأل عن اسمي. وباركه هناك. فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل قائلا لأني نظرت الله وجها لوجه ونجيت نفسي»(١) واضح فحوى الحكاية من أن الانسان الذي صارع يعقوب انما هو الرب – حاشا لله عما يصفون – وأن الاسم اسرائيل انما يعني قوة الرب أو رجل الرب حسب المصادر اللغوية المختلفة.

وعوداً الى قصة ابعاد ابراهيم عليه السلام لولده الوحيد اسماعيل وأمه (هاجر) الى ارض الجزيرة من فلسطين ، نلاحظ نصوص العهد القديم وقد البستها ثوبا قاتما ، بمعنى أنها ربطتها بتحقيق رغبة الضرة (سارة) من واقع الغيرة والكراهية ، لضرتها جاريتها هاجر التي تمكنت من انجاب ولد لزوجها ، الامر الذي لم تتمكن منه سارة ، ولنستمع للحكاية تقول : «ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لابراهيم يمزح. فقالت لابراهيم اطرد هذه الجارية وابنها ، لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني اسحق. فقبح الكلام جداً في عيني ابراهيم لسبب ابنه. فقال الله لابراهيم لا يقبح في عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك. في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها. لأنه باسحق يدعى لك نسل. وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لانه نسلك»(٢). لعل هذا النص يعتبر من أهم النصوص الواردة في العهد القديم والمسؤولة عن عقدة التمييز والتعالي التي تأصلت في نفسيات الاسرائيليين ضد العرب نسل اسماعيل ، وهذه الرواية التي تبرز الحط من قدر ابراهيم النبي عليه السلام في انه أذعن لرغبة زوجه السيدة سارة ، تلك الرغبة الصادرة عن شعور بالغيرة مما لا يليق بها ولا بزوجها ، بل لا يليق بخلق النبوة والانبياء وابراهيم جدهم الاكبر ، ويتضح ذلك جليا حين نقف على فحوى الحكاية من خلال نص القرآن الكريم الذي لم يجعل الله فيه عوجا ، فنرى السبب الحقيقي الدافع لابراهيم عليه السلام لأن يرسل بولده في تلك البرية القاحلة ليقيم فيها دين الله على الأرض يقول تعالى:«ربنا إني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون»(٣) الست معي في أن هذه الآية قد افادت بالخبر اليقين منزهة ابراهيم عليه السلام من درن النفس البشرية الامارة بالسوء ، متحولة بفعله الى مرتبة من السمو الى حد يليق بأهل النبوة؟ بلى ، فابراهيم عليه السلام اراد بفعله هذا أن يقيم الدين لله جل شأنه في مكان حرم من هذا الدين لزمن لا يعلم عدته إلا الله الا وهو موضع البيت العتيق.

(١) تكوين ، ٢٤ – ٣٠/ ٣٢.
(٢) التكوين ، ٩ – ٢١/١٣.
(٣) آية ٣٧ من سورة ابراهيم.

وحكاية الذبيح هي الأخرى دخلت في معترك المتاهة والضياع في نصوص العهد القديم ، التي تالت : إنه اسحق مع اقرارها بأن الذبيح ابن ابراهيم الوحيد ، مع أن اسماعيل هو الاكبر والاسبق ، أي أنه الابن الوحيد قبل مولد اسحق من سارة ، هذه أيضا تصلح دليلا على نزعة التعالي التي تأصلت في نفسيات اليهود على العرب.

وتتوالى نصوص العهد القديم في سرد حكايات لأحداث مرت ببني اسرائيل ، لا تمت لواقع ما حدث فعلا ، إلا ما شاء خيال الكاتب التوراتي أن ينسج لبني قومه ، مما نجح الى حد كبير في تكوين هذه النفسية المتعالية على الشعوب ، والتي انتهت بترسيخ فكرة (شعب الله المختار) مما كان له اكبر الاثر في جر الويلات على هذا الشعب عبر العصور وفي مختلف البقاع والامصار التي حل فيها والى عهد قريب ، تلك النصوص والحكايات التي يطول بنا الحديث عليها الى حد قد لا نملك لو دخلنا اليه من الخروج والتخلص منه مما لا طائل تحته في هذا المقام ، بل نكتفي بمعالجة ما ذكرنا كمدخل لبيان اثره في استمرار تأثير هذه النزعة في النفسية اليهودية ضد الشعوب علانية حينا مما يبدو جليا واضحا في نصوص العهد القديم من ناحية ، وفي نصوص ما عرف بالشريعة الشفوية (التلمود باقسامه) من ناحية اخرى ، وحينا آخر بتعابير رمزية حسب أحوال خاصة ، وهذا ينطبق على تلك التعابير الرمزية للطعن في الشعوب التي سادت في الادب العبري في العصور الوسطى ، مما سوف نورده في الآتي من القول ، لعلنا نضرب مثلا لما نقول.

تقسم هذه التعابير الرمزية الى قسمين :

الاول : ويتعلق بالمسلمين ، والثاني : ويتعلق بالمسيحيين. وسنذكر أولا تلك الرموز التي تتعلق بالمسلمين.

ما يتعلق بالمسلمين :

١ – أدبئيل : هذا الرمز عبارة عن تركيب اضافي من كلمتين ، الاولى (أدب) والثانية (إيل) ، وهو اسم لاحد ابناء اسماعيل من عرب الشمال ، وقد ورد ذكره في العهد القديم : «وهذه اسماء بني اسماعيل باسمائهم حسب مواليدهم نبايوت بكر اسماعيل وقيدار وأدبئيل ومبسام»(١) اتخذ الشعراء والادباء اليهود في العصور الوسطى من هذا الاسم كرمز للطعن في العرب لانه أحد اجدادهم.

٢ – آماه وآماه مصرية : وهذا رمز لهاجر على أنها أمة أي خادمة من مصر لسارة ، تزوج منها ابراهيم عليه السلام فولدت له اسماعيل جد العرب ، وذلك استناداً لما ورد في العهد القديم : «وأما ساراي امرأة ابرام فلم تلد له وكانت لها جارية مصرية ... الخ»(٢).

٣ – آرام نهرايم : معنى هذا الرمز (آرام النهر) ، ويرمز به للعرب الذين رحلوا من أرض الجزيرة ، وتوطنوا غربي نهر الفرات على اطراف بلاد الآراميين الذين كانوا يسكنون شمال سوريا من أرض الهلال الخصيب ، وهذا حسب رأي جيزينيوس ، وجدير بالاشارة أن هذا الاسم ورد في نصوص العهد القديم أيضا(٣).

(١) التكوين ، ٢٥/١٣.
(٢) التكوين ، الاصحاح ١٦.
(٣) التكوين ، ١٠/٢٢.

٤ ـ بابل : هذا هو اسم مملكة بابل في بلاد ما بين النهرين ، وعرف في النصوص الاسرائيلية والمتاخرة منها على وجه الخصوص ، علما على ارض العراق ، وبعد أن استقر العرب في تلك البلاد قبل الفتوح الاسلامية وبعدها ، صار هذا الاسم رمزاً يدل عليهم في اساليب التعبير العبرية ، وبخاصة في عبرية العصور الوسطى ، وقد ورد هذا الاسم هو الآخر في نصوص العهد القديم في غير موضع نذكره في واحد : «هو ذا تاتي أيام يحمل فيها كل ما في بيتك وما ذخره آباؤك الى هذا اليوم الى بابل»(١).

٥ ـ جروشاه : هذا الاسم على صيغة الصفة المؤنثة من الفعل (جرش) بالعبرية ، ويعني طرد ، والاسم يعني (الطريدة أو المطلقة) ، وقد وصفت به هاجر بعد أن طردها ابراهيم (زوجها) هي وابنها اسماعيل ، وقد ورد هذا الوصف أيضاً في العهد القديم : «... ولا ياخذوا امرأة من زوجها ...»(٢). ولأن هاجر هي أم اسماعيل جد العرب وقد طردت من قبل زوجها ، عبر اليهود عن العرب جميعاً بهذا الرمز.

٦ ـ دومه : هذا الاسم لواحد من أبناء اسماعيل جد العرب ، استله الكتاب اليهود من نص العهد القديم ليرمزوا به للعرب : «ومشماع ودومه ومبسام»(٣) ، فهذا الرجل هو جد أحد القبائل العربية التي سكنت دومة الجندل واسند المكان اليه فهو معروف عند العرب.

٧ ـ هجريم : جاء هذا الاسم على صيغة الجمع من الاسم (هاجر) اسم ام اسماعيل أم العرب ، فاتخذ هذا الجمع رمزاً للتعبير عن العرب جميعاً ، وقد ورد هو الآخر في نصوص العهد القديم غير مرة(٤).

٨ ـ يطور : هذا الاسم لواحد من أبناء اسماعيل ، اتخذ رمزاً للتعبير عن العرب في نصوص عبرية العصور الوسطى ، وقد استل من نصوص العهد القديم : «وحيدار وتيما و يطور ونافيش وقدمه»(٥). وحسب معجم جيزنيوس ، فان قبيلة هذا الابن من أبناء اسماعيل ، قد دخلت في حرب مع اسباط اسرائيل راوبين وجاد وقسم من سبط منشا.

٩ ـ يليد بيت : هذا الاسم يعني لغة (ابن البيت) ، ولا يوصف به إلا ابن العبد أو الخادم أو الجارية أو الغريب الطنيب حسب الشريعة الاسرائيلية ، وورد ذلك ضمن التعبير عن شرعة الختان حين ورد النص على انها لازمة لكل يهودي يولد ، ولكل مولود يولد لغريب أو خادم أو عبد في بيت يهودي ، وذلك كما ورد في العهد القديم(٦) ، والاسم هنا رمز به لاسماعيل لانه وليد لجارية في بيت ابراهيم وقد ختن ، ولما كان اسماعيل جداً للعرب ، اتخذ من هذا الاسم رمزاً للعرب عموماً.

(١) الملوك الثاني ، ٢٠/١٧.
(٢) سفر اللاويين ، ٢١/٧.
(٣) التكوين ، ٢٥/١٤.
(٤) التكوين ، ١ ، ٤ ، ١٦/٨.
(٥) التكوين ، ٢٥/١٥.
(٦) التكوين ، ١٢ ، ١٣ ، ١٧/٢٧.

١٠ ـ اسماعيل : هذا هو اسم اسماعيل ذاته كجد للعرب ، وقد عللت نصوص العهد القديم لتسميته بهذا الاسم بالقول : «فسمع الله صوت الغلام..»(١) ، والقصة انه عندما ابعد ابراهيم هاجر ووليدها بلا زاد ولا شراب في أرض قفر ، تركت هاجر الوليد وراحت تبحث عن الماء ، ليكلا يموت عطشا أمام عينيها ، كان الوليد يصرخ ، فناداها ملاك الرب أن قد سمع الله صوت الغلام فسمي اسماعيل بهذا الاسم الذي يعني بعربيتنا : (يسمع الله) ، كما ورد في سفر التكوين تعليل آخر لهذه التسمية وهو : «... وتدعين اسمه اسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك»(٢). ولأن اسماعيل جد العرب اتخذ الاسم رمزاً لهم جميعاً.

١١ ـ مصرية : هذا الاسم صيغة نسب هاجر المصرية ، حيث العرب نسلها ولد اسماعيل ابنها ، فقد عرفوا بهذا النسب من جهة الخؤولة ، فاتخذ هذا الاسم رمزاً للعرب في عبرية العصور الوسطى ، وقد ورد في العهد القديم : «... جارية مصرية اسمها هاجر»(٣).

١٢ ـ مشماع : هذا الاسم لواحد من ابناء اسماعيل من أجداد العرب ، اتخذ رمزاً ليدل عليهم ، وقد ذكر أيضاً في نصوص العهد القديم : «ومشماع ودومة ومبسام»(٤).

١٣ ـ نبايوت : هذا الاسم هو الآخر لواحد من أبناء اسماعيل ، اتخذ ليرمز للعرب جميعاً ، وقد ورد في نصوص العهد القديم : «... نبايوت بكر اسماعيل».(٥) وحسب معجم (جيزنيوس) فهو جد الأنباط.

١٤ ـ عبد : هذا الاسم جعل رمزاً للعرب ، لأن الكثير الكثير من اسمائهم يبدأ به في ما قبل الاسلام وبعده ، ولقد حث النبي صلى الله عليه وسلم العرب المسلمين على الاستمرار بالتمسك بهذه العادة في تسمية ابنائهم اذ قال صلى الله عليه وسلم : «خير الاسماء ما عبد وحمد». ولهذا اتخذت عبرية العصور الوسطى من هذا الاسم رمزاً للعرب جميعاً.

١٥ ـ عرب : قد يبدو أن هذا الاسم ليس فيه من الرمز للعرب شيء ، وذلك لانه اسمهم الصريح ، غير أن الادباء والكتاب اليهود في العصور الوسطى استعملوه كغيره من التعابير الرمزية الأخرى ، كما استعملوا الاسماء المنبثقة عنه ومنها : أعراب ، وعربيا ، وعربان ، ومما يجدر بالاشارة أن هذا الاسم استعمل في غير موضع في نصوص العهد القديم.

١٦ ـ فيليجيش : يعني هذا الاسم : محظية أو سرية ، وقد اعتبره الكتاب اليهود وصفاً لهاجر كسرية محظية لابراهيم ، ولدت له اسماعيل جد العرب ، ولما كان ذلك في نظرهم ليس بالامر الشرعي ، اعتبروه رمزاً للعرب الذين كانوا نسلا لهذا الزواج ، وقد ورد هذا الاسم في التوراة في غير موضع نذكر منه : «وحدث اذ كان اسرائيل ساكناً في تلك الارض أن رأوبين ذهب واضطجع مع بلهة سرية أبيه...»(٦).

(١) التكوين ، ٢١/١٧.
(٢) التكوين ، ١٦/١١.
(٣) التكوين ، ١٦/١.
(٤) التكوين ، ٢٥/١٤.
(٥) التكوين ، ٢٥/١٣.
(٦) التكوين ، ٣٥/٢٢.

١٧ ـ فريء : هذا الاسم صيغة صفة من مادة (فرا) بمعنى توحش وعاش في البرية ، ومنها في اللغة العربية (فراء) الحمار الوحشي ، وقد استعمله الكتاب اليهود في العصور الوسطى كرمز للعرب ، لحياتهم من الترحال المستمر في البادية ، متأثرين في ذلك بما ورد في العهد القديم من القول : «وقال لها ملاك الرب ها أنت حبلت فتلدين ابناً وتدعين اسمه اسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك وأنه يكون انساناً وحشياً...»(١).

١٨ ـ فتروسيم : هذا الاسم صيغة جمع للاسم (فتروس) ويدل في العبرية على أرض الشمال ، وورد التعبير به عن شمال مصر في مواضع مختلفة من نصوص العهد القديم(٢).

ولما كانت هاجر والعرب من نسلها ، جارية مصرية بل من شمال مصر بالذات ، استعمل الكتاب اليهود هذا الاسم رمزاً للعرب في عبريتهم في العصور الوسطى.

١٩ ـ قيدار : هذا الاسم لواحد من أبناء اسماعيل حسب ما جاء في نصوص العهد القديم غير مرة ، وهو يعني حسب جيزنيوس (الظلام) من المادة (قدر) بالعبرية والتي تقابلها بالعربية مادة (قذر) باعجام الدال ذالا والمعنى واضح. واستعمله يهود العصور الوسطى رمزاً للعرب مستلين اياه من نصوص العهد القديم مضافا لكلمة أبناء ، ونذكر منه : «... بني قيدار تقل لأن الرب إله اسرائيل قد تكلم»(٣).

٢٠ ـ قطوراه : هذا الاسم لزوج ابراهيم التي اتخذها بعد موت سارة ، وقد تركت نسلا ابعدهم ابراهيم كما سبق وابعد اسماعيل الى بلاد العرب شرقا فصاروا منهم ، وذلك حسب ما ورد في العهد القديم : «وعاد ابراهيم فاخذ زوجة اسمها قطورة فولدت له ...»(٤). ولما كان نسل هذه الزوج قد ذهبوا شرقاً واختلطوا بالعرب ، اتخذ يهود العصور الوسطى من اسم هذه الزوج رمزاً للعرب.

٢١ ـ روعه أو يلي : هذا الاسم مركب من لفظين الاول : صيغة اسم الفاعل من الفعل (رعى) بمعنى (راع) ، واللفظ الثاني (او يلي) يعني (ابله أو مجنون) ، وقد ورد في العهد القديم ، كصفة للرائي أو المتنبىء ونذكر منه : «جاءت أيام العقاب ، جاءت أيام الجزاء سيعرف اسرائيل النبي أحمق ، انسان الروح مجنون من كثرة إثمك وكثرة الحقد»(٥). ولما كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قد بدأ حياته راعياً ، ثم كلف بالرسالة من بعد ، ووصف من قبل العرب في الجزيرة بأنه مجنون ، اتخذ اليهود من هذا وذاك رمزاً له ولاتباعه من العرب والمسلمين في تعبيرهم في العصور الوسطى.

٢٢ ـ شفحاه : هذا الاسم يعني جارية ، ويقصد به صفة لهاجر أم اسماعيل جد العرب ، ولهذا اتخذ من بين الرموز للعرب جميعاً في كتابات اليهود في العصور الوسطى ، علماً بأنه ورد في العهد القديم : «... وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر»(٦).

(١) التكوين ، ١١ ، ١٦/١٢.
(٢) اشعيا ، ١١/١١ ، وارمياه ٤٤/١٥ ، وعزرا ، ٣٠/١٤.
(٣) اشعيا ، ٢١/١٧ ، وردد في التكوين ، ٢٥/٣.
(٤) التكوين ، ١ ـ ٢٥/٥.
(٥) هوشع ، ٩/٧.
(٦) التكوين ، ١٦/١.

٢٣ ـ شيشخ : هذا الاسم واحد من اسماء بابل حسب معجم جيزنيوس ، وقد ورد استعماله في العهد القديم : «كيف أخذت شيشك وأمسكت فخر كل الأرض كيف صارت بابل دهشاً في الشعوب»(١) ولما كان الاسم (بابل) كاسم لارض العراق ، قد اتخذ رمزاً من الرموز التي استعملها يهود العصور الوسطى كما مر بنا ، فقد اتخذ هذا الاسم هو الآخر من بين هذه الرموز الدلالة على العرب ، لما عرف من عودة أرض العراق للعرب قبل الاسلام وبعده.

أما التعابير الرمزية الخاصة بالمسيحيين فنذكرها في الآتي :

١ ـ أدوم : هذا الاسم من مادة (أدم) العبرية ، وتوجد في سائر اللغات السامية بما فيها اللغة العربية ، وتعني بالعبرية اللون الأحمر ، ولعل هذا كان سبباً في هذا الاسم بعيسو بن اسحق الاكبر حسب رواية وردت في العهد القديم : «فقال عيسو ليعقوب اطعمني من هذا الاحمر لأني قد اعييت لذلك دعي اسمه أدوم»(٢) ، فلما كان اسم عيسو بهذه الصفة قد عرف به عيسى المسيح فيما بعد ، اتخذت هذه الصفة من قبل الكتاب اليهود في العصور الوسطى كتعبير رمزي عن المسيحيين بعامة.

٢ ـ إيش داميم : يعني هذا التعبير (رجل الدماء) ، لا توجد خلفية دينية واضحة لاستعمال هذا التعبير ، بل قد تكون المذابح وأعمال التنكيل التي أتاها المسيحيون ضد اليهود عبر العصور ، منذ العهد الروماني الى العصور الوسطى في اوروبا المسيحية هي الخلفية لاستعماله ، غير أن هذا التعبير ورد في العهد القديم مرة واحدة فقط حسب موسوعة التوراة ومعجم جيزنيوس ، ولكن في احداث قبل ظهور المسيحية فالنص يقول : «وهكذا كان شمعي يقول في سبه أخرج أخرج يا رجل الدماء ورجل بليعال»(٣).

٣ ـ إيش صيد : ويعني (رجل صيد) ، والمقصود بهذا التعبير عيسو بن اسحق الاكبر والذي عرف بأدوم الذي سبق ذكره ، وسبب الحاق هذه الصفة به هو ما ورد في العهد القديم : «فكبر الغلامان وكان عيسو انساناً يعرف الصيد...»(٤). ولما كان عيسو أدوم قد اتخذ من اسمه تعبيراً رمزياً للمسيحيين ، يكون من الطبيعي اتخاذ هذه الصفة هي الاخرى رمزاً لهم.

٤ ـ إيش ساده : ويعني (رجل البرية) وقد وصف بهذا التعبير عيسو كذلك وذلك استناداً لما ورد في العهد القديم : «... انسان البرية ...»(٥) ولذا اتخذ منه رمزاً آخر للمسيحيين.

٥ ـ إيلي لي : هذا التعبير من التعابير الآرامية دخل الى العبرية ، وهو مركب من مقطعين : (إيلي) بمعنى (الهي) و(لي) التي هي لام الجر الداخلة على ياء المتكلم وبهذا يصبح معناه : (الله لي) ، ولما كان هذا التعبير قد انتشر على السنة المسيحيين من أنهم حريصون في ديانتهم على ابراز أنهم على درجة كبيرة من الضعف وطلب العون من الله ، مع أنهم اكثر الطوائف التي اوقعت الأذى باليهود منذ فجر المسيحية ، اتخذ اليهود هذا التعبير للتدليل عليهم في الكتابات العبرية في العصور الوسطى.

(١) ارميا ، ٥١/٤١.
(٢) التكوين ، ٢٠/٣٠.
(٣) سفر صموئيل الثاني ، ١٦/٧.
(٤) التكوين ، ٢٥/٢٧.
(٥) التكوين ، ٢٥/٢٧.

٦ ـ إيلي فاز : ويعني (الهي الذهبي) حسب معجم جيزنيوس ، وهو اسم لاحد ابناء عيسو مما ورد ذكره في العهد القديم : «فولدت عدا لعيسو اليفاز ...»(١) ولاتصاله بعيسو اتخذ منه اليهود رمزاً للمسيحيين كما اتخذوا قبلا اسم ابيه.

٧ ـ أري : معنى هذا الاسم بالعربية (أسد) وهو اسم في الآرامية والعبرية ، ويدل على الحيوان المتوحش ، واتخذ رمزاً للمسيحيين في التعابير الادبية اليهودية لما مارسه المسيحيون ضد اليهود من الاعمال الوحشية عبر العصور.

٨ ـ ديشون : هذا اسم أحد أبناء (سعير الحوري) حسب ما ورد في العهد القديم(٢) واتخذه اليهود رمزاً للمسيحيين في تعابيرهم فضلا عن اسم ابيه كما سيأتي.

٩ ـ حزير : هذا اسم الخنزير (الحيوان المعروف) ، المحرم أكل لحمه على اليهود لما ورد من تحريمه في العهد القديم : «والخنزير لانه يشق ظلفاً ويقسمه ظلفين لكنه لا يجتر فهو نجس لكم»(٣) ، ولما كان المسيحيون ياكلون لحم الخنزير بل انهم الوحيدون من بين أهل الاديان السماوية يفعلون ذلك ، اتخذ اليهود اسمه رمزاً للمسيحيين في كتاباتهم في العصور الوسطى.

١٠ ـ سعير : هذا الاسم في العبرية يعني (كثير الشعر) ، بل أنه يدل على التيس ذكر الماعز ، اتخذه اليهود من الرموز التعبيرية للمسيحيين ، ولعل السبب احد أمرين أو كلاهما ، إما لأن قساوسة ورهبان المسيحية يطلقون شعورهم ، أو لانه اسم سعير الحوري الذي سكن أرض الادوميين اعداء اليهود التقليديين في العصور الغابرة خاصة وأن اسم ابنه (ديشون) الذي مر ذكره اتخذ رمزاً ، وهذا ما نميل الى ترجيحه.

هذه هي التعابير الرمزية التي اتخذها الكتاب اليهود في العصور الوسطى للتعبير عن العرب المسلمين والمسيحيين ، وقد ذكرناها كما احصاها الاستاذ الدكتور نحميا آلوني استاذ الادب العبري في العصور الوسطى في جامعة بئر السبع ، فقد قام بجمعها وبيانها من خلال دراسة اجراها للغة (سليمان بن جبيرول) أمير الشعر العبري في العصور الوسطى بشكل عام ، وفي الاندلس الاسلامية على وجه الخصوص(٤).

مما سبق بيانه يتضح لنا مدى تاثير النصوص الدينية المقدسة على العقلية والوجدان اليهوديين ، في التعبير عن الشعوب المختلفة وبخاصة العرب ، مما كان متصل الحلقات منذ عهد اليهودية الأول الى العصور الوسطى ذلك الذي استمر الى العصر الحديث ، وهذا ما نهدف الى ابراز اتصاله الى أيامنا الحاضرة.

---

(١) التكوين ، ٣٦/٤.
(٢) التكوين ، ٣٦/٢٠.
(٣) سفر اللاويين ، ١١/٧.
(٤) انظر: ـ נחמיה אלוני, משירת רשב"ג ולשונו.
Hebrew Union College Annual Voi. XLVII 1979 P. 99.
ـ נחמיה אלוני, השתקפות המרד בערביה בספרותנו בימי הביניים, קרית-ספר, ירושלים 1979.
ـ W. Gezenius,A Hebrew and English Lexicon of the O.T. many Items.
ـ The Ency clopedia of the Bible New Jersey 1965.

لا شك في أن الاثر الديني في نزعة التعصب والطعن في العرب والعربية لدى ادباء وكتاب العبرية عبر العصور ، كان كبيراً ومستمراً الى أيامنا هذه ، ويمكن أن يضاف الى هذا الأثر ، ما تعرض له الشعب اليهودي من ويلات والمآسي في العصر الحديث على وجه الخصوص ، وما سبق من الايام الخوالي لهذا الشعب الذي فرض على نفسه أو فرض عليه أن يعيش في عزلة اجتماعية تكاد تكون تامة ، في حدود ما عرف (بالجتو) وبخاصة في اقاليم اوروبا المسيحية المتعصبة ، التي اعملت تنكيلا واذلالا باليهود كل اقليم وظروفه واحداثه الخاصة ، وذلك من الاحداث والممارسات التي وقعت ضد الشعب اليهودي ، مما لا يمكن اعتبار اليهود مسؤولين عنه مسؤولية تامة ، وإن كانوا قد أتوا بعض الممارسات التي قدمت مبرراً لاعدائهم مهما كانت واهية.

نقول هذا القول من واقع الرغبة الاكيدة عندنا في انصاف اليهود أمام تلك الاحداث التي تعرضوا لها في العصر الحديث ، مع عدم اغفال كونهم قد تلقوا نتائج هذه الاحداث بسلبية تكاد تكون متناهية ، اذ خرجوا من تلك الاحداث وقد تملك الحقد انفس بعضهم ليصبوا جام غضبهم على رأس شعوب اضعف ، فكان من هذا البلاء أن حل بالعرب وبخاصة الشعب الفلسطيني. ويا ليتهم توقفوا عند جيل المأساة من شعبهم ، بل أنهم أو نفر منهم قلوا أو كثروا ، جاهدوا لنقل نتائج هذه المأساة للاجيال التي اعقبتهم ، من خلال ما عرف بالاصطلاح الشهير (الستيريوتيب) الذي يعني الافكار القديمة ، هذه الافكار التي حرصوا على اشاعتها في كتاباتهم وأدبهم العام وبالذات في أدب الاطفال مما كان له اسوأ الاثر في نشأة النفسية اليهودية الحديثة الغالبة على الشعب اليهودي اليوم من شان كراهية العرب ، من خلال تصوير العربي واظهاره باقبح الصور. هذا الامر الذي تعرض له ومن جميع الجوانب سلباً وايجاباً كتاب وباحثون يهود قبل سواهم ، وسنحاول في الآتي الوقوف على شيء من هذه الجوانب قبل أن نصل الى موضوعنا.

يقول البروفيسور شاكيد(١) : لقد ولدت القصة العبرية في الغربة(*) ، وكان ذلك اثناء المجابهة مع العالم الاجنبي ... ذلك الاجنبي الذي كان دائما مصدر تهديد ، بل أنه الجدار الذي كانت تصطدم به الشخصية اليهودية في كل خطوة تخطوها وفي كل موقع ، بحيث يقف بطل القصة العبرية كل يوم بل كل حين أمام هذا الجدار ليعطي حكمة. وعندما وصلت القصة العبرية الى أرض فلسطين حملت معها الافكار القديمة (الستيريوتيب) التي كان يحملها اليهود عن الاجانب ، كالصندوق الذي تحمله الحشرات. وكان السؤال الاجتماعي الادبي : هل تعود هذه القصة وتزرع الافكار القديمة التي نقلتها معها من انحاء الغرب في قلب الشرق؟ وهل سيكون اليهود هنا في أرض فلسطين على أنهم اقلية ملاحقة عليها أن تحمي نفسها؟ أو أنهم يجب أن يكونوا أكثرية تلاحق وتهاجم؟ ومن هذا المنطلق هل سيدخل اليهود هنا في مجابهات مع العربي المحلي على أنه غريب؟ انتهى قول البروفيسور شاكيد ، لندرك من فحواه الخلفية التي حملها اليهود معهم من مهاجرهم الى ارض فلسطين ، ومن بينهم الكتاب والادباء والمثقفون ، وهذا الامر هو في حد ذاته الركن

---

(١) هو جرشون شاكيد ، احد كبا الكتاب اليهود ، صاحب كتاب (لا مكان آخر) ، وقد قدمه غانم مزعل في كتابه (الشخصية العربية في الادب العبري الحديث) ص ١٩ وما بعدها.
(*)دأب اليهود على اعتبار حياتهم بعيداً عن أرض فلسطين حياة غربة ومنفى ، سعوا دوماً الى الرجوع اليها على اعتبار من عقيدتهم الخاصة بمعرفة هذه الارض باسم (أرض الميعاد).

الاساس الذي قامت عليه جذور هذه المسالة التي نعالج جانباً مهماً من جوانبها في هذه الدراسة.

لا ريب أن العربي اعتبر في الغالب من بين اولئك الذين عرفهم اليهود بالاجانب ، وذلك بأن عوملوا في الادب العبري الحديث معاملة لا تختلف عن اولئك الاجانب ، في شيء إلا في البعض اليسير عند نفر من المنصفين اليهود ممن آثروا اتخاذ جانب الصواب في قول كلمة الحق ، بل أن من الزعماء اليهود أو غير الزعماء ، من نظر للعرب في هذه البلاد على أنهم جذور الشعب اليهودي الذي بقي في هذه البلاد وقد تخلى عن اليهودية ، مما دفع بالبعض من اولئك الزعماء اليهود الى التفكير في دعوة هؤلاء العرب المحليين للعودة الى اليهودية ، وهذا وجه آخر مظلم لجذور هذه المسالة التي نعالج في هذا المقام ، وسنحاول الوقوف على شيء من هذا.

والقول مرة أخرى للبروفيسور شاكيد : ... إن العربي يمكن أن يكون من بين الاجانب ، بحيث يرد ذكره في الادب العبري هنا في أرض فلسطين في ظل هذا الاعتبار ، اذ يؤدي الدور ذاته الذي أداه الاجانب في حياة اليهود في المنافي أو المهاجر المختلفة ، هذا رغم انحدار شخصيته وتحولها من مصادر والى مواقف مختلفة بحيث تتخذ معنى آخر.

ومن هذا المنطلق ، فقد اجابت القصة وغيرها من الوان الادب العبري الحديث بعامة ، أجوبة مختلفة متنوعة على السؤال القائل : من هو العربي؟.

إن فحوى هذه الاجوبة يمكن تلخيصه في أن المهاجرين الجدد من اليهود قد جاءوا بجنون العظمة ، وساد هذا الشعور في القصة العبرية التي ابرزت العربي على أنه غريب ، بل أنه ابن البلاد الذي تقف أمامه الاقلية اليهودية في مجابهة تكاد تكون تامة ودائمة ، هذه المجابهة التي نجمت عن تعايش اقلية أمام اكثرية ، هذا التعايش الذي أريد له ألا يكون تعايشاً سلمياً ايجابياً ما دام العربي ممثلا للمحيط المعادي ، بمعنى أن العربي انما هو استمرار الجانب الذي يلاحق اليهودي الجانب (الملاحق).

ويواصل شاكيد قوله : ... أن هناك ادباء عبريين صوروا العربي على أنه عربي تقليدي ، أي أنه ذلك العربي الذي ما زال يسكن الصحراء ، ويرعى الجمال وتسيطر عليه نزعة الاخذ بالثار وحب الانتقام ، والشعور بالاصالة والاعتزاز واثرة الابهة والرغبة في الشهرة.

إن هذه الافكار والصور الخاصة بالعربي ، انما هي من صميم الافكار القديمة التي كانت عالقة في أذهان اليهود في مهاجرهم ، قبل مجيئهم الى ارض فلسطين ، متأثرين في ذلك بما طالعوه في النصوص المقدسة وما قرأوه من تراث العربية كالشعر العربي القديم وقصص الف ليله وليله ، وما شاهدوه من الافلام الموجهة ضد العرب في الغرب ، أو قرأوه من كتابات خطت باقلام معادية للعرب وللعربية.

وجه آخر للعربي عند اليهود القادمين يبرزه شاكيد بالقول : إن من الكتاب ـ اليهود ـ من رأى في العربي ابناً حقيقياً للديار ، بل أنه رأى فيه جزءاً لا يتجزأ من هذه البلاد ، وما اليهودي أمام تلك الرؤية ، إلا غريب عن هذه البلاد وهي غريبة عن طبعه ، بل أن العربي انما هو كل الايجابيات التي تتوق اليها نفس اليهودي ، فالعربي كذلك ، انما هو نقيض كل المساوىء التي جلبها اليهودي من البلاد التي قدم منها ، وأكثر من ذلك ، فقد رأى بعض الكتاب ـ اليهود ـ العربي على أنه اليهودي الاصيل القديم الذي نبأت بخبره التوراة والكتب القديمة ، ذلك اليهودي

الدمث ، اللطيف الطاهر النقي قبل أن يفسد ، وعليه فيكون من الجدير باليهودي الاجدى له أن ينصهر اليهودي القادم الجديد في هذه البيئة...

وبعد ، فقد مال زعماء سياسيون اسرائيليون الى هذه الفكرة وحاولوا الترويج لها ، ومنهم (دافيد بن غوريون) الذي اعرب عن رأيه بأن بدو النقب انما هم من بقايا اليهود الذين استمروا في العيش في أرض فلسطين ، فقد أعرب عن رأيه هذا ذات مرة اثناء تجواله في صحراء النقب (ليهوشوع ماربين) قائد منطقة النقب العسكري ، حين وصف هؤلاء البدو على أنهم يشبهون الحسيديم(*) ، متسائلا : ألا يمكن تهويدهم؟(١)

لعل بن غوريون حين رأى هذا الرأي ، قد صدر عنه اذ استهوته حياة البداوة على بساطتها ، فضلا عن قدرة هؤلاء البدو على تحمل المصاعب والمشاق ، مما ذكره بشيء من حياة اليهود الاوائل ، بل لعله رأى في تهويدهم اسهاماً في حل مشكلة اسرائيل الامنية.

ومثل ما ارتأى بن غوريون ، سبق (لموشيه ديان) حين كان وزيراً للزراعة أن فكر في دعوة العرب في الرملة الى التهود. وكذا المؤرخة (راحيل ينيئيت بن تسفي) التي قالت : أن قبائل البدو في منطقة البتراء ، انما هم بقايا قبائل يهودية ، قد تكون من قبائل يهود خيبر ، أو من بقايا سبط يهوذا(٢).

وهكذا نلاحظ التناقض في وجهات النظر حول التعامل مع العربي وتصويره في الادب العبري ، الذي يؤثر تأثيراً مباشراً في وجهة النظر الكبرى للمجتمع الاسرائيلي ، فالقارىء الاسرائيلي لا يختلف في شيء عن أي قاريء من القراء لشعب من الشعوب ، وذلك حين يسلم دون أدنى مناقشة أو تحليل أو تمحيص بكل ما يقرأ سواء في الصحافة أو الكتب ، فيقتنع بما قرأ دون التفات الى طلب الدليل على ما قرأ ، فاذا جاء وصف العربي في كتابات الكتاب اليهود سلبياً (وهو الغالب) سلم القاريء الاسرائيلي بهذه السلبيات ، وكون لنفسه موقفاً من العربي على ضوء هذه السلبيات ، مما أدى به الى الاستهانة والحط من قدر كل ما هو عربي ، بحيث اصبحت الغالبية العظمى من افراد المجتمع الاسرائيلي تنظر للعربي نظرة سلبية رافضة ، ولقد اجريت دراسات استطلاعية للآراء اليهودية عديدة ومتعاقبة ومن قبل باحثين يهود ، بهدف وزن هذه المسالة ، فكانت النتائج لا تفارق ما ذهبنا اليه.

(*) الحسيديم : هم إحدى الفرق الدينية اليهودية القديمة التي عاشت في ارض فلسطين وعرفت بتمسكها بالدين على وجه افضل من غيرها من الفرق اليهودية.

(١) غانم مزعل : الشخصية العربية في الادب العبري الحديث ، ص ٢١ ، نقلا عن صحيفة يديعوت احرونوت (الملحق الادبي) الصادر بتاريخ ١٩٨٣/١١/١٨ ، ص ١٠.

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٢ ، نقلا عن كتاب : قصص عبرية من حياة العرب ليوسف اريكه ، ص ١٠١.

وبعد ، فكيف يمكن والحال على هذا المنوال أن نستمع لصوت ينطلق من الجانب اليهودي ، مناديا بضرورة التعايش السلمي بين العرب واليهود في هذه البلاد؟! وهم الجانب الغالب اليوم ، ومن وجهة نظرنا وإن كان لا بد لهذا الصوت أن يلقى الآذان الصاغية من العرب ، فلا بد أن يسبق باجراءات عملية صادقة من الاعمال الاصلاحية على الصعيد التثقيفي بين اليهود انفسهم في مجتمعهم أولا ، ومن ثم بين اوساط العرب في مجتمعهم ، وبالمناسبة نذكر في الماضي الام العربية حين كانت ترغب في ردع وليدها عن فعلة منكرة ، تخيفه باليهودي ، هذه الظاهرة التي انتهت منذ امد بعيد في الوسط العربي في هذه البلاد ، فعلى اليهود أن ينتهوا عن هذا إن صح العزم وسلمت النوايا وبالذات لدى كتاب وأدباء العبرية اليوم.

دكتور يونس عمرو

الخليل في رمضان المبارك ١٤٠٨هـ
وفق ـ ايار (مايو) ١٩٨٨م

المبحث الأول
(صور للعربي في الادب العبري الحديث)

وصلا لحلقات التسلسل التاريخي لمسألة النظرة الكارهة للعرب في الادب العبري عبر العصور ، مما عرضناه بايجاز سريع في مقدمة هذه الدراسة ، نرى من الضروري بمكان عرضاً موجزاً لصور للعربي في الادب العبري الحديث ، وسنعتمد في هذا العرض على الدراسة الوافية التي قدمها لنا الباحث غانم مزعل في كتابه «الشخصية العربية في الادب العبري الحديث» ، التي تعتبر بحق أول دراسة وافية في هذا المجال تصدر باللغة العربية ، وذلك بأن نساير خطوات صاحبنا في ذكر بعض القصص العبرية ومؤلفيها ، وكيف عالجت وجه وكنه الشخصية العربية وابرزته في حدود ما يخدم هذه الدراسة.

(عوديد بيتسر) قاص يهودي حديث ، يحكي في قصته : (قصاصو الأثر من الحدود الشمالية) ـ حكاية مستوطنة يهودية وادعة في الشمال تتعرض لعدوان العرب ، اذ يعكرون صفو الحياة بهجماتهم المتواصلة عليها ، يطلقون النار و يزرعون الالغام ، حتى صارت حياة سكانها الى جحيم لا يطاق ، بحيث يقضون معظم اوقاتهم تحت الارض في الملاجيء ، حتى يقول احد الجنود الاسرائيليين : أي نوع من الرجال هؤلاء العرب ، لا يقتلون إلا العزل من الاطفال والنساء والشيوخ لماذا لا يقاتلوننا نحن الجنود؟

والقاص (يهوآش بيبر) ، في قصته : (قائد يهودا الأول) ، يصور اعتداء العرب على مسيرة يهودية تجوب شوارع يافا حين قام جماعة من العامة العرب بمهاجمة المسيرة و بث الرعب والفوضى في نفسيات المشاركين فيها. و يواصل الكاتب فيصور عملا اجرامياً قام به العرب حين قتلوا ثلاثة من الكتاب اليهود العزل في منزلهم في احدى ضواحي يافا.

والكاتب (ايهود بن عيزر) ، في قصته : (افرات) ، يحكي عن حوادث وقعت في مدينة صفد عام ١٩٢١ بين العرب واليهود فيقول : لقد أتى العرب أعمالا وحشية ضد اليهود ، بحيث كان العربي فيها كائناً لا يعرف معنى الرحمة أو الشفقة ، فالقتل والاجرام غريزة وهواية عنده صار معه لون الدم الاحمر من اشهى ما يشتهيه ، و يتجسد ذلك حين باغت العرب اليهود واعتدوا

عليهم كالحيوانات المفترسة ، وراحوا يسلبون ممتلكاتهم ، حتى المدارس والكنس الدينية لم تحم حرمتها اليهود من بطش العرب ، و يواصل هذا القصاص حكايته ببيان أن نساء وفتيات اليهود قد تعرضن للاغتصاب واشباع نزوات العرب ، يسرد هذا الكاتب الاحداث من وجهته هو دون أدنى محاولة منه لبيان ايجابية واحدة لعربي واحد في معترك الحوادث.

وهكذا أمسى العربي في هذه القصص مشجباً لاحط التهم واسفل الصفات ، فهو لا انساني وساقط بشرياً كما أنه سارق كاذب منافق ، متعصب ومعتد غير مبال بأية مبادىء ايجابية مهما صغرت ، حتى أنه لا وعد له اذ يحنث بهذا الوعد أمام أية فرصة يمكن أن تلوح له ، ومن هذا ما صوره (بن عيزر) في قصته : (افرات) التي سبق ذكرها ، وذلك أن الشابة اليهودية (افرات) وفي خضم الاحداث الرهيبة في صفد ، التقت الشاب العربي (حسن) الذي عرض عليها الزواج ، لكنها عرضت عليه مبلغاً من المال مقابل وعده بحمايتها فوافق ، غير أنه عاد وتنكر لوعده وحاول اغتصابها. هذه الحادثة فيها التناقض الواضح وقد افلت من قلم هذا الكاتب رغماً عنه ، ووضوحه في السؤال التالي : اذا كان لابد لحسن من اغتصاب افرات فلماذا يعرض عليها الزواج؟ وكان الاولى له أن يغتصبها بدءاً ، ولا حاجة للوعود وطلب الزواج.

إن أدهى ما في هذا الامر لدى هذه الفئة من الكتاب اليهود ، أنهم يعممون الاحكام والصفات الفردية ــ إن حدثت احداث فردية ــ على سائر العرب ، بأن يصوروا بأقبح الصور ، في حين يبرز اليهود بأحسنها ، نقول هذا مع عدم التطرف في انكار وجود افراد ممن لا خلاق لهم ، ولكن هل هؤلاء يجب أن يكونوا من العرب فحسب؟!

وقاص يهودي آخر ، هو (ناتان شاحم) في مجموعته القصصية : (خريف أخضر) ، يحكي فيها قصة اسير عربي متقدم في السن ، وقع في أيدي الجنود اليهود ، فيبرزه في شخصية هزيلة جبانة ، حين افضى بكل ما لديه من اسرار حتى دون أن يطلب منه ذلك ، كما أنه يصر على تقبيل يد الجندي اليهودي في حين يرفض هذا الجندي ذلك و يفك وثاق الاسير ، وهكذا حتى يصل هذا القصاص الى القول على لسان ذاك الجندي اليهودي في وصف نذالة الاسير العربي : «... لقد نفذ كل ما أمرته به ، احضر الماء ، كما قام بمهمات مختلفة كنت اكلفه بها ، وكان يعود إلي في كل مرة كالكلب العائد الى كوخه»(١) وهذا قول غني عن تدخلنا بالتعليق على هذه الصورة ، خاصة وأن نهايته كانت فيها احسان الجند اليهود اليه بقتله مما لا يحتاج الى التعليق أيضاً أما سرد عبارة الكاتب وهي : «... وعندما كان الاسير يسير في طريقه في السلسلة

(١) غانم مزعل ، الشخصية العربية في الادب العبري الحديث ، ص ١٠٦ نقلا عن ناتان شاحم ، خريف اخضر ، ص ٤١.

الجبلية يعلو على لغم. ولقد احسنا معه عملا عندما رميناه برصاصة واحرقنا جثته بعد ذلك»(١) أهكذا يكون الاحسان للاسرى بدفعهم كمجس لوجود الالغام ثم رميهم بالرصاص واحراقهم؟!

أية سلبية هذه بل سلبيات يبرزها هؤلاء الكتاب اليهود ، مما يثير نزعة التشفي والشماتة في نفسيات أبناء شعبهم ، والحقد والكراهية في نفسيات العرب ، والاسى كل الاسى في نفسيات المخلصين من أبناء الشعبين ، ممن يرون الامور وسير الاحداث بعين أخرى مغايرة ، اطلعت على التاريخ واستقت منه العبرة ، والتفتت الى المستقبل متجاوزة حدود الزمن الحاصل لتقرأ نتيجة ما يجري مما سيجلب الاكثر من الو يلات ، وهم هؤلاء المقصودون بهذه الدراسة لعله يستفيق النائم و يصحو السكران و يعقل الجاهل.

ووجه آخر للمسألة من الموازنة بين الاسير العربي في أيد يهودية ، والاسير اليهودي في أيد عربية ، مما نقف عليه في كتاب (دان مرغليت) : (مظليون في السجن السوري) ، حيث يسرد هذا الكاتب حكاية خمسة جنود اسرائيليين وقعوا في أسر السوريين عام ١٩٥٤ ، فيصور السوريين بصورة على درجة عالية من القسوة في معاملة اسراهم الاسرائيليين ، اذ يقول بلسان أحد الجنود السوريين : «... دعنا نذبح أبناء الكلبة»(٢) الى أن يقول بلسان جندي سوري آخر : «... دعنا نقتل اليهود»(٣) ثم يعاود القول بلسان جندي سوري أيضاً : «... دعنا نقتله ونقول أنه حاول الهرب»(٤) ، و يواصل هذا الكاتب حكايته الى أن يبرز اخلاص ورجولة الاسير الاسرائيلي ، حيث يؤثر الموت انتحاراً على المثول أمام المحقق السوري ليفضي بمعلومات عن جيشه ، هذا بالطبع مقابل صورة الاسير العربي التي سبق وذكرناها ، يقول هذا الكاتب : «... لقد ذهل السوريون ذهول احترام بسبب اخلاص ذلك الاسير اليهودي. ولا سيما عندما وجدوا أنه كتب ورقة وضعها بين اصابع قدمه،العبارة التالية : لم أخن...»(٥).

هل تستقيم هذه الموازنة ، وهل يمكن لها،ن تصدر أن اناس يدعون بل يسعون الى تحقيق التعايش السلمي؟! لا غرو في ذلك ونحن نعلم زيف هذا الادعاء حول معاملة العرب لاسراهم ، مما سمعناه من على موجات الاثير ومن خلال بث التلفاز ، من شهادات الاسرى اليهود

(١) المصدر نفسه ، ص ١٠٧ ، نقلا عن ناتان شاحم ، خريف اخضر ، ص ٤١.
(٢) المصدر نفسه ، ص ١١١ ، نقلا عن دان مرغليت ، مظليون في السجن ، ص ٣٣.
(٣) المصدر نفسه ، نقلا عن المصدر ذاته ، ص ٣٧.
(٤) المصدر نفسه ، نقلا عن المصدر ذاته ، الصحيفة ذاتها.
(٥) المصدر نفسه ، نقلا عن المصدر ذاته ، ص ١١٤ ، ١١٥.

العائدين الى ذويهم ، وكلها شهادات افادت بحسن معاملة وطيب اقامة في الاسر في أيد العرب ، سواء السوريون أو الفلسطينيون ، بل نعلم وقد علمت الدنيا بأسرها أن العرب قد حفظوا جثة الجندي الاسرائيلي باحترام بالغ الى أن سلموها لدولة اسرائيل ، مما يعتبر شهادة لصالح العمل العربي مما يساير أروع القيم الانسانية في اوقات الحرب والسلام ، بل أن ذلك من شؤون الاسلام ، مما لا يجوز تشويهه أو الحط منه.

وعن حوار اليهود فيما بينهم حول التعريف بالعرب ووصفهم باسوأ الصفات ، يحدثنا الكاتب (ناتان شاحم) في كتابه : (غبار الطرف) حين يدير محاورة بين يهوديين يتجاذبان اطراف الحديث على العرب ، فيقول بلسان احد اليهوديين : «... العرب مثل الكلاب ، فاذا رأوا انك مرتبك ولا تقوم برد فعل على تحرشاتهم يهجمون عليك ، أما اذا قمت بضربهم فانهم سيهربون كالكلاب...» ويضيف احدهما في مكان آخر : «إن افضل عربي هو العربي بدون نقود» ، ويعلق الكاتب غانم مزعل على هذا بقوله : «أما اليوم فتسمع الجمل التالية : «العربي الجيد هو العربي الميت». و«اذا اردت أن تعرف العربي على حقيقته فيجب أن تفتح رأسه»(١).

إن أرحب ميدان يخوض غماره الكاتب اليهودي مبدياً اصرار بيناً على أن يقف ككاتب معاد للعرب والعربية ، هو الميدان الاجتماعي ، بحيث يبدو هذا الكاتب غريب الاطوار بعيداً من أدنى درجات الانصاف والواقعية. ونضرب لهذا مثلا من خلال موقف الكاتب اليهودي (موشيه سطابسكي) في كتابه : (القرية العربية) ، حيث يدخل الى عقر دار العربي بل يحاول التسلل الى تحت جلده ، فها هو يقول : «... إن شروط النظافة والمحافظة على الصحة تكاد تنعدم بين العرب ، والاجراءات الصحية التي لا يستطيع الانسان العربي أن يعيش بدونها ولو ساعة واحدة غير متوفرة في أية قرية عربية ، حتى في القرى الكبيرة الغنية. ولعدم وجود المراحيض يقضي العرب حاجاتهم في أي مكان ، فالاولاد يقضون حاجاتهم في الساحة ، أو في الاسطبل ، أو في الحظيرة ، أو في البيت .. أما الكبار فيأخذ الواحد منهم ابريقاً ويخرج الى خارج القرية حيث الحقول ، وهكذا لا يجد العربي الذي يريد أن يصلي خارج بيته مكاناً طاهراً يؤدي الصلاة فيه ... وعادة الاستحمام تكاد تكون غير مألوفة عند العرب باستثناء غسل بعض اعضاء الجسم من اجل الصلاة كما أن غسل الايدي بعد الطعام تقتصر على بعض الافراد فقط. وهناك بعض الفلاحين الذين لم يمس الماء اجسامهم منذ زمن طويل...»(٢).

(١) المصدر السابق ، ص ١٢٠.

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٥٠ ، نقلا عن موشيه سطابيسكي ، القرية العربية ، ص ٣٣٠.

ويلخص لنا غانم مزعل جانباً من مواقف هذا الكاتب بقوله : «يذكر قول امرأة ليثبت صحة اقواله فيدعي أن تلك المرأة أقسمت بالله أنها ولدت ستة اولاد دون أن يمس الماء جسدها. كما يزعم أن عند العرب قولا مفاده : أن الطفل اذا اتسخ يصح جسمه ويشتد. كما أن الصابون لا يجد له ذكراً عند العرب. ويورد ما حدث معه شخصياً عندما زار احدى القرى في منطقة السهل (اللد والرملة) بمناسبة زواج ابنة صديقه حاملا له بعض الهدايا ومن بينها صابونة. وعندما يعود مرة أخرى بعد فترة طويلة لزيارة صديقه ذاك ، يجد أن قطعة الصابون التي احضرها في المرة السابقة لا تزال معلقة على الجدار مع أدوات الزينة والزخارف الاخرى. ويصدق الامر نفسه على الملابس ، فهم يلبسون الثوب ولا يغيرونه الى أن يبلى ، ويكون مليئاً بالقمل والبراغيت ويكلح لونه. ويزعم سطابيسكي أن ثمة عند العرب قولا مأثوراً وهو (عيد الفلاح يوم غسل ثوبه). كما أن الوضع نفسه ينطبق على كل ما يتعلق بأدوات المطبخ ، ولا يشعر سطابيسكي بالكذب عندما يقول إنه (لا يستبعد أن يبصق صانع القهوة في الفناجين كي ينظفها)(١).

لا شك في أن هذا الكاتب اليهودي قد بلغ حد الشطط في الطعن بالعرب من خلال الغالب الاعظم من أقواله ، وإن كان في اليسير منها لم يجانب الحق ، ولعله ينتقل الى درك من السخف حين يقارن القرية العربية بالعالم الغربي ، مما لا تستقيم معه المقارنة ولا تستاغ الموازنة ، بل أنه لا يتردد في التخلي عن شرف الكتابة الموضوعية عامداً الى الكذب والافتراء ، فهل يعقل أن تلد امرأة ستة اطفال دون أن يمس الماء جسدها؟ وهل يعقل أن ينظف صانع القهوة العربية فناجينه بأن يبصق فيها؟ والمعروف أن القهوة مشروب عربي أصيل نقله العالم عنهم ، فهم يحتفون بها احتفاء مخصوصاً ، لقد ذهب هذا الكاتب في مذهبه هذا الى حد يثير حفيظة النفس لسوء ما يفتري ويكذب ، حين يدعي أن العرب لا يعرفون الصابون ، مع أنهم من أقدم أمم الارض التي صنعت الصابون وما زالوا يصنعون اجوده ، فالمصبنة من اعلام المصانع العربية منذ القدم الى أيامنا هذه. وبالمناسبة أود أن ادعو هذا الكاتب لاصحبه الى أية قرية عربية من قرانا ليرى أن الصابون من المواد التي يصنعها القروي العربي في منزله ، ويختزنه طيلة العام من موسم زيت لآخر ، تماماً كما يختزن طعامه.

وأخيراً بقي لنا مثل آخر نسوقه في هذا المقام ، ولكنه هذه المرة ، يبرز العربي القذر ، الذي شاءت اسباب رزقه أن يتصل بالوسط اليهودي الراقي المتحضر ، الذي تنتابه تيارات متضاربة

(١) المصدر نفسه ، ص ١٥٠ ، ١٥١ ، نقلا عن المصدر ذاته ، ص ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣.

في التعامل مع هذا العربي المتخلف ، ذاك العربي الذي يتحمل الواناً من الاهانة و يتعلم الرقي من اولئك اليهود الراقين ، نقف على ذلك من خلال قصة : (العاشق) للقاص (أ. ب. يهوشوع) ، الذي يحكي قصة شاب عربي اسمه (نعيم) من قرية البقيعة في الجليل ، يعمل في (كراج) ليهودي يدعى آدم ، و يقيم نعيم في بيت عجوز يهودية تدعى فيدوتسيه ، وتقع دافي ابنة آدم في حب نعيم ، الامر الذي لا يرغب فيه الاب ، في حين رغب فيه المتحابان. أما العجوز كممثل للتيار القديم المتعصب ضد العرب ، تذهب الى محاربة هذه العلاقة ، فتتوجه بالخطاب الى نعيم : «... تعال أرني اذا لم تحضر لي البق..» و يفتح نعيم حقيبته ليخرج منها البيض والفلفل والبندورة والباذنجان هدية من أمه العجوز التي تقول له : «قل لأمك شكراً جزيلا. ولكن يجب ألا تخلط الملابس بالاطعمة في المرة القادمة ، حتى لا تعشش الصراصير في جيوبك». وعندما ترى العجوز (بيجامة) نعيم تقول له : «من أين سرقت هذه البيجامة»؟ حتى تصل هذه العجوز في وصفها لنعيم معممة وصفها على العرب الى القول : «... يرجع العربي في الهزيع الاخير من الليل متسخاً وحذاؤه موحل ، ولكنه تعلم أن يخلع حذاءه عند المدخل ، ثم الدخول بجواربه فقط الى الشقة ، و يهرع الى سريره دون أن يزيل الاوساخ التي علقت بجسمه ، فتثور قائلة : حرام عليك يا ولد ، نحن لسنا في مكة ، اغتسل قبل الدخول الى سريرك». وهكذا يواصل الكاتب حكايته الى أن يصل الى القول بلسان العجوز وقد أعربت عن ارتياحها ، لأن هذا العربي قد تمكن من أن يتعلم أن يغتسل قبل النوم غير مخفية فضلها في تعليمه ذلك ، فهي التي نقلته هذه النقلة الحضارية(١).

قد يجوز اعتبار أن تكون حكاية هذا الشاب العربي ، فيها الكثير من الواقع ، لو خلت من السخرية والتسفيه والافتراء ، فمقابل هديته للعجوز لقي سخرية ، ولقاء وجود ثوب نوم معه ، لقي اتهاماً باللصوصية ، ثم يبرز صوت الطعن و يعلو لسان تلك العجوز ، حين توازن بين دخول العربي الى مكة متسخاً تماماً كما يدخل الى بيته فسرير نومه ، علماً بأن هذه الموازنة غير صحيحة ، فمعلوم أن العربي المسلم ، لا يمكنه أن يدخل مكة إلا بعد الغسل وحلق الشعر والتطهر من كل درن مؤتزراً بازار الاحرام ، وهذه الاجراءات انما هي من صميم شعائر الحج والعمرة ، بمعنى أنها من مظاهر العبادات في الدين الاسلامي ، فماذا يمكن أن يقال على هذه المطاعن،أنها غنية عن كل قول ، مما يدفعنا الى الشعور بخيبة الامل من جراء مثل هذه الكتابات التي لا بد أن تترك اسوأ الآثار من الاشمئزاز في نفس القارىء اليهودي ، والشعور

(١) المصدر السابق ، ص ١٥٢ ــ ١٥٤ ، نقلا عن أ. ب. يهوشوع ، العاشق ، ص ٢٤٨ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨.

بالأسى في نفس القارىء العربي ، مما لا نرغب فيه وندعو للتخلي عنه اليوم قبل الغد وفي كل أوان.

إن كنا في عجالة هذا المبحث قد سقنا أمثلة لصورة العربي في الادب العبري الحديث ، فكانت على هذا التجسيد المقيت السيء ، فسنعرض من بعد،لصورة العربي في ادب الاطفال العبري ، وهو الميدان الذي يزداد خطورة عن سابقه. لا ريب في ذلك وهو موجه لقطاع من القراء ، وهم صغار السن لا يملكون اداة المناقشة ولا ملكة التحليل ولا القدرة على التمييز ، بحيث يأخذون ما يقرأون على أنه من المسلمات التي تترسخ في اذهانهم ليكبروا وتكبر معهم ، وفي ذلك مكمن الداء الذي يتطلب العلاج.

إن الطفل اليهودي الذي يقرأ مثل هذه الحكايات في أدب الاطفال العبري ، بل يتغذى على هذا الادب فسوف تترتب لديه النتيجة الحتمية بلا ريب ، وهي أن يتخذ موقفاً سلبياً من العرب ، فهذا أمر لا مناص منه ، حين يقف هذا الموقف و باختياره ، وذلك لانه يكون في مرحلة من الطفولة العقلية التي لا يتمكن فيها من تحكيم عقله الطفل ، الذي يفتقر لاحكام المنطق ، وعرض الامور على التحليل والفحص بروية وعمق ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فان هذا الطفل يرى في الاديب ، كاتب هذه القصة أو تلك ، مثلا أعلى ، يميل في الغالب الى تصديقه وقبول ما يروى دون مناقشة وكأنه من المسلمات.

إن هذه الافكار السلبية ، والتي ترسخت في ذهن الطفل ، سوف تواكبه وهو يكبر ، الى أن يصبح شاباً و ينخرط في سلك الجندية ، وعندما تقع مجابهة وقت الحرب بين العرب واليهود ، فلا بد أن يرى هذا الجندي الاسرائيلي في الجندي العربي ، مخلوقاً حقيراً لا يستحق الحياة ، بل أن وجوده يضر بالانسانية ، و يستحسن القضاء عليه والتخلص منه ، وما ذلك إلا بسبب الآراء المسبقة المغلوطة التي ترسخت في ذهنه ، وقد يفسر ذلك استماتة الجندي الاسرائيلي في الحرب وهو يقاتل العرب ، كما يفسر في بعض الاحيان بعض المخالفات لقوانين الحرب ومعاهدات الاسرى من قبل بعض الجنود الاسرائيليين ، ثم إن هذا الطفل الذي نشأ وتغذى على هذا الادب ، عندما يكبر ، وحين يطلب منه ابداء رأيه في امكانية الحياة بسلام مع العرب ، فانه سوف يرفض ذلك ، لما ترسخ في ذهنه من عدم العيش بسلام مع (مخلوق غير حضاري).

من هنا ، فيمكن القول : إن الانتاج الادبي السلبي ، يشكل عائقاً في طريق عقد راية السلام بين الشعوب ، بصورة قد لا يتوقعها الكثيرون ، و بالذات أولئك الادباء والقصاصون السلبيون.

إن هؤلاء الادباء ، لا يمكن بحال من الاحوال ، أن يتخذ لهم العذر قطعاً ، اذ أن أية محاولة بهذا الصدد ، فلسوف تكون محاولة عرجاء بل ستكون ضرباً من المكابرة في واقع وحقيقة ، نقول ذلك لما وقفنا عليه من مثل هذه المحاولات التي نكتفي منها بواحدة نذكرها في هذا المقام.

يقول البروفيسور (شموئيل موريه) المحاضر في قسم اللغة العربية في الجامعة العبرية في القدس لتبرير هذه المسألة في أدب الاطفال العبري :

«... عندما يسود الصراع بين شعبين ، يحاول كل جانب أن يظهر الجانب الآخر بصورة قاتمة سوداء ، وأن يبحث عن سلبياته من خلال مجهر مكبر. إن الصراع ينتج عنه توتر يؤدي الى الميل عند كل طرف من طرفي الصراع ، بأن يظهر كذلك عن مفارقات في المظهر الخارجي مثل اللباس وبنية الجسم ، وتقاسيم الوجه ، ولون الشعر ... الخ. والهدف من ذلك كله ، يكمن في ابراز الفوارق والغرابة عند طرف وآخر لتبرير اسباب الرفض وعدم القبول ، ولذلك كله يوجد هدفان : فمن جهة وعلى الصعيد الخارجي ، يستغل ذلك في اغراض الدعاية من أجل ابادة الطرف المعادي. ومن جهة أخرى وعلى الصعيد الداخلي ، يستغل الامر ذاته لرفع المعنويات والتحول بالصراع الى وجهته من الصراع الاسطوري القومي»(١).

إن هذه التبريرات ومحاولات التماس العذر التي ذكرنا ، يجوز أن نقبلها لو صدرت عن أنسان عادي ، أما أن تصدر عن شخصية اكاديمية متخصصة مثل البروفيسور شموئيل موريه ، فذلك مما لا يمكن قبوله ، خاصة وأن الرجل يعرف العرب والعربية والادب العربي معرفة جيدة ، مفضلا عن كونه من أهل الاختصاص العلمي ، فانه عراقي أصلا ، أي أنه عاش في وسط عربي وبيئة عربية ، وحين هاجر الى هذه البلاد ، تعامل مع العرب وعايشهم بشكل مباشر ، حين اقدم على العمل في قسم اللغة العربية في الجامعة العبرية ، بمعنى أنه درس لطلبة من العرب الفلسطينيين وعايشهم معايشة يومية ، وبذلك يكون مؤهلا للحكم على سلبية أدب الاطفال العبري وكتابه بل غالبيتهم ، أكثر من غيره،وعليه ، فقد كنا نتوقع منه موقفاً أكثر وضوحاً وصراحة في القول الفصل للحكم في هذه المسألة ، بل كان عليه أن يوجه النقد الصريح واللوم الجهر لهؤلاء الكتاب وما كتبوا ، بوضع الامر في نصابه ، لعل يتوجه الكتاب والقصاص اليهود ، الى كتابة القصة الايجابية والواقعية في ضوء معايير الادب الانساني ، ولو كان فعل ، لاسهم كما يرغب كل ذي مسؤولية انسانية اتجاه الطفل ، في علاج هذه المسألة

(١) شموئيل موريه : الصراع العربي الاسرائيلي في مرآة الادب العربي ، ص ٢٥.

الادبية الانسانية التي يعاني منها كم كبير من ادب الاطفال العبري في العصر الحديث.

نقول ذلك ، لما نعلم من أن الرجل المثقف والاكاديمي على وجه الخصوص ، حري به أن يكون موضوعياً بل يحرص على الموضوعية بكل ما أوتي من قوة وجهد ، لقول الحق حتى على نفسه ، تاركاً وراء ظهره ، أية اعتبارات شخصية أو عاطفية ، وأن يبتعد بنفسه عن مشاعر الحقد والغوغائية وتزييف الحقائق ، لا ريب في ذلك إن صحت العزائم وصدقت النوايا في البحث عن سبل الفهم المتبادل وطلب السلم بين الفرقاء.

المبحث الثاني

(مواقف اليهود من العرب حسب الافكار القديمة في اسرائيل)

لما كان الصغار من أي شعب من الشعوب ، يحاكون الكبار من ذويهم وغالباً ما يكون هؤلاء الكبار الوالدين ، فان اللبنة الاولى التي تترسخ في تكوين الشخصية للطفل ، لا بد وأن توضع بأيدي الوالدين ، وحين يدرج الطفل خارج منزله ويحتك بالجيران ، ثم بالشارع الى أن يصل الى مقاعد الدراسة في المدرسة ، أي في الفترة ما قبل تلقيه العلم ليصبح قادراً على القراءة والكتابة ، يكون الكبار مسؤولين مسؤولية تامة عن توجيهه وتربيته ، ذلك الامر الذي لا بد وأن يكون قطعاً ، على صورة يرضاها له هؤلاء الكبار ، تلك الصورة التي تخضع تماماً لمكنونات أنفس هؤلاء الكبار وافكارهم ، بحيث تخضع خضوعاً كاملا لأهوائهم ونزعاتهم المتأصلة فيهم ، وتلك هي المقصودة في الخلفية الفكرية لهؤلاء الكبار تجاه مختلف مناحي الحياة ، والتي تتدخل تدخلا مباشرة في تكوين شخصية الطفل.

إن الخلفية الفكرية للانسان ، تخضع في تكوينها الى عوامل عديدة اجتماعية وثقافية وبيئية وتكون أهمها الافكار القديمة التي تتكون من خلفيات دينية وتراثية تتناقلها الاجيال الابناء عن الآباء وهكذا ، ويزيد الطين بله اذا كانت هذه الخلفية الفكرية موجهة توجيهاً منظماً تحت اشراف سلطة أو سلطات خططت لها أن تكون حسب نمط معين ، تسهم في تكوينها جهات مختلفة عديدة تصب كلها في المصب الاكبر المطلوب لكينونة هذه الخلفية وعلى أي شكل أريد لها أن تكون.

إن من أهم الجهات التي تسهم في تكوين هذه الخلفية الفكرية للكبار في المجتمع الاسرائيلي ، الأدب بألوانه المختلفة الذي ما كان بمعزل عن الدين كما مر بنا ، هذا الأدب الذي يعتبر في غالبيته موجهاً توجيهاً معادياً للعرب والعربية كما سبق وذكرنا منذ القديم والى العصر الحديث ، قد أثر تأثيراً فاعلا في تزيين الخلفية للكبار في المجتمع الاسرائيلي ، وهؤلاء

الكبار الذين يعتبرون بناة نفسية الطفل الاسرائيلي الاوائل في مرحلة تكوينها الاولى ، ليسلموه من بعد الى المدرسة التي تسهم هي الأخرى بنصيب ، ومن بعد يتعلم الطفل ويبدأ في الاعتماد على نفسه في صقل شخصيته ، ولكي نلقي الضوء على ماهية الخلفية الفكرية من الافكار القديمة المتأصلة في نفسيات اليهود ضد العرب ، نلتفت هنا الى مواقف اليهود من العرب. حسب هذه الافكار ، وذلك من خلال دراسات احصائية اجراها باحثون يهود في مجتمعهم.

لقد اجرى (دان شيفطن) الباحث في جامعة تل أبيب دراسة حول مواقف السكان اليهود في البلاد تجاه العرب الذين استمروا في العيش في ظل الحكم الاسرائيلي بعد عام ١٩٤٨م وتوصل في دراسته الى ما يلي :(١)

إن نتيجة الدراسة ابرزت موقف العينة ، التي اشتركت في البحث كموقف سلبي للغاية تجاه العرب ، هذا اذا ضرب صفحاً عن عدد ضئيل جداً من هذه العينة بحيث يمكن اعتبار موقفهم شاذاً الى حد ما في تعاطفهم مع العرب.

فقد كان موقف (٨٠٪) من المشتركين موقفاً سلبياً ومناهضاً للعرب.

وموقف (٦٥٪) منهم كان مناهضاً متطرفاً في عداء العرب.

وموقف (١٠٪) من المشتركين كان متردداً.

وموقف (١٥٪) منهم كان متعاطفاً مع العرب.

وموقف (٥٪) من المشتركين جاء متعاطفاً للغاية.

لقد أوضحت نتيجة هذه الدراسة ، أن نسبة المناهضين للعرب مرتفعة جداً ، وبخاصة في اوساط اليهود الشرقيين ، وذوي الوضع الاقتصادي والمستوى المعيشي المتدني ، فكلما كان اليهودي ينتمي للاوساط المتدينة ، فان استعداده للتعامل مع العربي كأن يتزوج من امرأة عربية يكاد يكون معدوماً ، كما أن ايمانه بامكانية ارتقاء العربي في حياة التقدم الحضاري بحيث يمكن أن يصل الى درجة اليهودي ، منخفض للغاية.

اتضح من خلال هذه الدراسة أن الكثير من اليهود لا يعرفون العرب معرفة حقه ، كما أن هذه الدراسة أثارت اهتمامات كثيرة ، بل اثارت ضجة كبيرة ، بحيث ادعى بعض من رفضوا نتائجها ، أنها اقتصرت على سكان من مدينة تل أبيب ، مما افقدها عمومية التمثيل ، كما أدعى آخرون بأن موقف أبناء الطوائف الشرقية المتطرف ناجم عن معرفتهم باللغة العربية ، مما يؤهلهم للاستماع الى الاذاعات العربية وفهم ما يبث منها من الاقوال المعادية لليهود ،

(١) انظر: אדיר כהן, פנים מבוערות במראה, עמ" 108,25.

وفحوى هذه الضجة التي اثيرت ضد نتائج هذه الدراسة ، انما كانت بهدف عدم الرغبة في اظهار الشعب الاسرائيلي بصورة يكره فيها العرب.

كما أن دراسة اجريت على ٥٢٠ كتاباً تحدثت عن صفات وطبائع العربي ، حسب الآراء المسبقة ، بحيث تناولت اساليب الحياة ، والسلوك ، والعلاقات الانسانية ، والاخلاق ، واللباس والعمل ، والثقافة ، والمركز الاجتماعي ، ومعرفة ما يدور في العالم ، ورتبت النتائج في الجدول التالي :(١)

	صفات ايجابية	صفات سلبية	دون وصف
العربي :	شجاع ٢١	مخادع ٥٢	٨٢
	ذكي ١٩	متلون ٢٨	—
	يهتم بالشعور ١٥	مغرور ١٧	—
	صديق ٥٦	منافق ١٨	—
	رحيم ٢١	سريع الغضب ١٥	—
	مجتهد ١٩	طماع ٣١	—
	—	بخيل ١٦	—
	—	جبان ٤٤	—
	—	قاس وظالم ٦٦	—
	—	شكاك ١٨	—
	—	وقح ٥٠	—
	—	مداهن ٢٢	—
	—	مبالغ وخيالي ١٩	—
	—	كاذب ٣٧	—
	—	خائن ٢٧	—
النسبة المئوية :	٢٣ر٨٪	٦٣ر٥٪	١٢ر٧٪

(١) انظر: المصدر السابق ، ص ٧٢.

وبناء على هذا الجدول الذي اعتمد في احصاء الصفات الخاصة بالعربي ، ايجاباً وسلباً الى جانب تلك التي لم تتطرق للعربي بوصف ــ اعتمد عدداً من الكتب بلغ (٥٢٠) كتاباً من بين (١٧٠٠) كتاباً مما اختص بالحديث على العرب ، نجد عدد الصفات السلبية قد فاق المعقول بالنسبة لعدد الصفات الايجابية بالاضافة الى ما لم يرد فيه صفات ، فالصفات السلبية بلغت (٤١٥) صفة مقابل الصفات الايجابية التي بلغت (١٥٦) صفة ، بالاضافة لما خلا من الصفات وعدده (٨٣). وفي وضع ذلك ضمن النسب المئوية نجد هذه النسب حسب الترتيب السابق : سلباً (٦٣٪) ، وايجاباً (٢٤٪) تقريباً ، ومن غير صفات (١٣٪) تقريباً.

واضح من هذه الدراسة موقف الكتاب اليهود المعادي للعرب ، مما يكون له اسوأ الآثار في تكوين النفسية الخاصة بالطفل اليهودي وبلورة شعوره نحو العرب.

كما أجريت دراسة(١) على (٤٧٠) كتاباً تناولت ذكر الوظائف والمهن التي يمتهنها العرب ، فكانت النتيجة أن ذكر الوظيفة أو المهنة الخاصة بالعربي في هذا العدد من الكتب تكرر (٦٥٤) مرة ، في حين أن (١٢٩) مرة لم يرد ذكر للوظيفة أو المهنة.

وعند وضع تفصيل هذه الوظائف أو المهن ضمن النسبة المئوية نجد الآتي :

ــ أعمال في الارض بنسبة :	١٢ر٧٪
ــ أعمال رعي :	١٢ر٤٪
ــ أعمال التجارة الخفيفة :	٧ر٥٪
ــ أعمال سوداء :	١٣ر٣٪
ــ أعمال البناء :	٤ر٥٪
ــ أعمال تقتضي التجوال :	٥ر٦٪
ــ أعمال التجسس :	٧ر٢
ــ أعمال في سلك الشرطة :	٤ر٤٪
ــ أعمال في السلك الحكومي والدين :	٩ر٣٪

ــ وباقي الوظائف والمهن تتوزع بنسب يسيرة تتقلب بين أعمال العتالة ، والخدمة في بيوت اليهود ، والسرقة ، وتجارة الرقيق ، وتجارة النساء ، والعمل في الاذاعة ، والتعليم ، والقضاء.

كما اجريت دراسة(٢) أخرى على ابراز العرب بأوصاف سلبية من خلال (٣٨٠) كتاباً تتعلق

(١) انظر: المصدر السابق نفسه ، ص ٧٣.
(٢) انظر: المصدر السابق نفسه ، ص ٧٤.

بالموضوع ، بحيث ابرز العرب جانبا مهدداً لليهود ، اذ بلغ عدد المرات السلبية (٥٦٧) مرة ، انحصرت في ابرازهم على أنهم اعداء قساة ، ولصوص ومخربون ، ورجال عصابات ، وجواسيس ، وناهبون للمتلكات ، ومكسرون لأنصبة القبور في المقابر ، وقناصون مغتالون ، ومختطفو طائرات ، وعملاء لدول أخرى ، وغير ذلك.

وتتوالى الدراسات على هذه الكتب التي تعرضت للعرب بالاوصاف السلبية ، نوردها في الآتي :

أجريت دراسة على (٤٧٠) كتاباً ذكرت الاعمال التي يتعاطاها العرب فكانت حسب الجدول التالي : (١)

ـ العمل في الارض :	٨٣
ـ رعي الاغنام :	٨١
ـ بائع متجول :	٤٩
ـ عامل بسيط :	٨٧
ـ عامل في بيت يهودي :	١٩
ـ في سلك الشرطة :	٢٩
ـ عتال :	١٧
ـ حارس :	٢١
ـ معلم :	٠٣
ـ قاض :	٠٦
ـ تاجر	٢٧
ـ مهرب ، وجاسوس لدولة أجنبية	٤٧
ـ عامل بناء :	٢٩
ـ تاجر رقيق :	٠٥
ـ تاجر نساء :	٠٣
ـ قصاص أثر :	٠٨
ـ لص :	٢٩
ـ مذيع في الاذاعة :	٠٣

(١) انظر : المصدر السابق نفسه ، ص ٧٤.

ـ في أعمال التوليد :	٠٣
ـ في أعمال الغسيل :	٠٥
ـ الرعي المتنقل :	٣٩
ـ في أعمال الدين :	١٩
ـ مختار :	١٧
ـ شيخ :	٢٥
ـ غير معروف :	١٢٩

ودراسة أخرى أجريت على (٣٨٠) كتاباً من هذا النوع الذي يبرز العرب بصور سلبية معادية لليهود لما يمارسونه من الاعمال ، جاءت في الجدول التالي :

ـ لصوص :	٤٢
ـ مخربون :	٣٦
ـ في سلك الجيش :	١٠١
ـ مغتصبو أملاك :	٤١
ـ يحرقون الحقول والاشجار الحرجية :	١٧
ـ يحطمون أنصبة القبور في المقابر :	٠٥
ـ قناصون مغتالون :	٢٧
ـ مختطفو طائرات :	٣١
ـ عملاء لدول أجنبية :	٠٩
ـ أعمال قاسية دون تحديد	١٨١

أما عن مواقف الشبيبة في اسرائيل من العربي ، فقد اجريت دراسات متعددة حول هذا الأمر ، وكانت نتائج غالبيتها ، أن مواقف الشبيبة الاسرائيلية من العرب كانت سلبية ، بل أن العربي من وجهة نظرهم يبدو سلبياً ، بل إن هذه النظرة السلبية ازدادت بعد حرب الايام الستة ، التي أدت نتائجها الى ارتفاع الثقة بالنفس لدى اليهود ، مما ادى بالضرورة الى ازدياد النظرة السلبية عمقاً بالنسبة للعربي المهزوم ، وهذا الامر يتعلق بشكل خاص بالعربي الذي يعيش في اسرائيل قبل عام ١٩٤٨ ، فضلا عن العرب الذين يعيشون في المناطق المحتلة الذين ازدادت النظرة اليهودية اليهم سلبية اتسمت بالاحتقار ، أما نظرة اليهود للسوريين ، فكانت

سلبية للغاية ، في حين النظرة الى المصريين اتسمت بسلبية أقل حين اعرب الكثير من الشبيبة اليهود عن استعدادهم النفسي لاقامة علاقات مع العرب المصريين ، ولعل ذلك ناجم عن نتائج معاهدة السلام ، بين اسرائيل ومصر.

إن ما ذكرناه ينطبق الى حد بعيد على ما ورد في كتاب : (لك بمحبة) للكاتبة (دبوره عومر) التي تتحدث بلسان شاب يهودي يدعى أوري اثر لقائه بشاب عربي من نابلس ، يقول اوري : «... نحن نعاملهم (العرب) بلمسات أيد حريرية ، وهو يرون ذلك منا ضعفاً ، وهدفنا أن نكون ـ نحن اليهود ـ بمثابة نور للغرباء ، من خلال دولة عدل وأخلاق ، مع أن هذا يعود علينا بالضرر ، فقد كانوا (العرب) يخافوننا بادىء الامر ، أما الآن فقد صاروا يرفعون رؤوسهم...»(١). أما ميخال ـ من خلال هذا الكتاب ـ فتبدو أكثر تواضعاً وأكثر تفاؤلا في نظرتها للعرب اذ تقول : «... إنهم (العرب) اناس مثلنا تماماً ، فلماذا هذه الكراهية الكبيرة والحروب ، كيف لم نجد بعد الطريق الى السلام؟ ... أنا أعرف أن السلام اليوم شيء خيالي تقريباً ، ويكاد يكون من الامور غير الواقعية ولكن اتذكر قول هرتسل : (اذا أردتم السلام ـ فلن يكون اسطورة) ، وقد تحدث عن دولة عبرية ، فهل لم يكن ذلك خيالياً كما هو اليوم؟...»(٢)

إن ما مر من القولين المتضاربين في هذا الكتاب ، يدل بشكل قاطع على وجود بذور لحسن النوايا في الجانب الاسرائيلي ، فلماذا لا يتوجه الكاتب اليهودي الى تقوية هذا الاتجاه الايجابي ، والتخفيف من الجانب السلبي؟!

ويمس الباحث الاسرائيلي (يشعياهو ريم) في بحث اجراه على صور الآراء القديمة (الستريوتيب) القومية عند الاطفال اليهود ، نشر في مجلة مجموت في اكتوبر عام ١٩٦٨م ـ يمس ـ عمق المشكلة ، متوصلا الى القول بأن الآراء القديمة (الستريوتيب) ، يتعلمها الاطفال في سن مبكرة ـ من الوالدين والمقربين من الطفل ـ ومن الصعب تغيير هذه الآراء التي تعتبر منتشرة انتشاراً واسعاً فالمشاعر القومية لا تنمو بالضرورة اثر لقاء شخصي ، ورغم ذلك فانها تترجم الى سلوك واضح تجاه اناس صنفوا على أنهم معنا أو علينا من الآخرين.

ومن الدراسات التي أجريت حول هذه المسألة ، دراسة اجراها معهد فان ـ لير(٣) في مدينة

(١) انظر: דבורה עומר, לך באהבה, עמ" 132.
(٢) انظر: المصدر السابق ، ص ١٦٤.
(٣) انظر: فان لير ومواقف سياسية واجتماعية عند الشبيبة ، ص ٩ ـ ١٤ نيسان ، ١٩٨٦م.

القدس ، في شهر آذار من عام ١٩٨٦م ، وهي من احدث الدراسات التي اعدت بهدف معرفة مواقف وآراء الشبيبة الاسرائيلية في مناخ سياسية اجتماعية. لقد اجريت الدراسة على عينة شملت (٥٩٩) شاباً وشابة يمثلون نموذجاً له صفة تمثيلية للشبيبة من الفئة العمرية ما بين سن (١٥ ـ ١٨) من الشباب اليهود ، ومن المواضيع التي كانت ميدان الاستجواب في الدراسة :

١ ـ كيف ترى الشبيبة الاسرائيلية حقوق اليهود والعرب في هذه البلاد؟
٢ ـ ما مواقف الشبيبة الاسرائيلية من مسألة المساواة في الحقوق بين اليهود والعرب في اسرائيل ، وكيف تفهم الشبيبة اخلاص العرب الذين يعيشون في اسرائيل قبل عام ١٩٤٨م للدولة؟
٣ ـ ما مواقف الشبيبة الاسرائيلية من مسألة رفض العرب الذين يعيشون في المناطق المحتلة عام ١٩٦٧م الحصول على الجنسية الاسرائيلية؟
٤ ـ ما مواقف الشبيبة الاسرائيلية من تأييد الحركات السرية اليهودية التي تسعى الى الحرب ضد العرب؟

لقد نتج من هذه الدراسة ما يلي :

انقسمت جماعة المشتركين في هذه الدراسة الى قسمين متساويين تقريباً.

النصف الأول :
ـ ٧٠٪ منه يرون أن لليهود الحق الكامل في هذه البلاد.
ـ ٢٢٪ منه يرون أن لليهود حقاً شبه كامل في هذه البلاد.
ـ بمجموع ٩٢٪ يرون حقاً كاملا وشبه كامل لليهود.
ـ ثم ١٪ يرون أن لليهود حقوقاً قليلة في هذه البلاد.

هذا بالنسبة لليهود وحقهم في هذه البلاد أما العرب فقد كان الامر على النحو التالي :

ـ ٧٪ يرون أن للعرب حقاً كاملا في هذه البلاد.
ـ ١٢٪ يرون أن للعرب حقاً شبه كامل في هذه البلاد.
ـ بمجموع ١٩٪ يرون أن للعرب حقاً كاملا وشبه كامل في هذه البلاد.

النصف الثاني : يرون أن للعرب في هذه البلاد حقوقاً قليلة ، أو أنهم لا توجد لهم حقوق البتة في هذه البلاد.

أما فيما يختص بمسألة المساواة في الحقوق بين اليهود والعرب في هذه البلاد فقد كانت النتيجة على النحو التالي :

- ٤٤٪ من افراد عينة الدراسة يرون أن للعرب حق المساواة في الحقوق باليهود في هذه البلاد. وبالمقابل :
- ٥٦٪ من افراد عينة الدراسة يرفضون حق العرب في المساواة في الحقوق باليهود.

وانشعب من رأوا حقاً للعرب في المساواة في اتجاهين من جهة تبرير هذه المساواة ، بحيث يرى ٣٧٪ منهم ، أنه مقابل المساواة في الحقوق ، يجب أن يلتزم الشباب العرب بخدمة وطنية. مقابل ٢٧٪ يرون ضرورة الزام العرب بالخدمة الوطنية دون اعطائهم حقوقاً متساوية لقاء ذلك.

- ٥٠٪ من افراد عينة الدراسة يرون أن من الضروري تقليص الحقوق الحالية المعطاة للعرب في اسرائيل. وحوالي ثلث عدد افراد العينة ، يرى ضرورة تقليص الديمقراطية في اسرائيل ، اذا كان هذا الامر مطلوباً من أجل تقليص حقوق العرب.
- ٦٠٪ من عدد افراد عينة الدراسة يرى أن جزءاً من العرب في اسرائيل مخلص للدولة ، مقابل ١٨٪ يرون أن معظم العرب مخلصون لدولة اسرائيل.
- ٤٠٪ من افراد عينة الدراسة أبدوا تأييدهم لحركة سرية تنتقم من العرب ، بل أن ١٠٪ من هؤلاء ابدوا استعدادهم للانضمام لحركة كهذه لو طلب منهم ذلك.
- ٦٠٪ من عدد افراد عينة الدراسة يوافقون على طرد كل عربي يرفض قبول المواطنة الاسرائيلية ، من عرب المناطق المحتلة عام ١٩٦٧م.
- حوالي ٣٠٪ من عدد افراد عينة الدراسة أبدوا تأييدهم لآراء حركة (كاخ) التي يرأسها (كهانا).

والخلاصة ، أن المواقف المؤيدة لعدم اعطاء العرب حقوقاً ، تعتبر متساوية ، وكذلك المواقف التي تعبر عن عداء سياسي للعرب ، كلها موجودة لدى الشبيبة الاسرائيلية التي تنتمي لابناء الطوائف الشرقية ــ والمتدينة.

إن انعام النظر بعين ثاقبة في نتائج وفحوى هذه الابحاث والدراسات واستطلاعات الرأي ، بالنظر لكونها اجريت من قبل بحاثة يهود ، وذلك اذا أخذت على محمل من الجدية وأمانة المسؤولية ، تضعنا في موقف صعب يعتبر مشكلة معقدة الى ابعد الحدود ، فيما يتعلق بمستقبل

الحياة للشعبين على هذه الارض ، ذلك أن اليهود اذا اطلقوا لانفسم العنان في التخطيط لكراهية العرب وعلى جميع الاصعدة ، والعرب من جانبهم فعلوا ذلك فالصورة المستقبلية للحياة على هذه البلاد. لا بد أن تكون قاتمة الى ابعد الحدود ، مما يستدعي الاسراع في وصف العلاج لهذه المشكلة قبل تفاقمها ، وهذا يصدق تماماً إن صدقت النوايا وصح العزم لدى الطرفين في العلاج ، وإلا فهي الحرب الابدية المؤدية الى الفناء لا محالة.

فاذا كانت هذه هي حال الكبار من الشعب اليهودي ، وعلى رأسهم الكتاب والادباء ، فما هي حال الصغار ، تلك الحال التي سنعرض لها في الآتي من هذه الدراسة ، مما يتوافق تماماً والمثل العربي والعبري القائل : «الآباء يأكلون الحصرم وأسنان الابناء تضرس».

المبحث الثالث

(علاقات العرب باليهود وملامح الشخصية العربية في أدب الاطفال العبري)

يقول صاحب كتاب : «الدليل الى أدب الاطفال מדריך לספרות ילדים» : (١) إن أدب الاطفال كأي انتاج حضاري متأصل في المجتمع الذي انتج فيه ، فانه يمثل اساليب الحياة ، وطرائق التفكير ، والقيم والعادات ، والاتجاهات السياسية المنتشرة في ذلك المجتمع ، وما نقصده هنا التمثيل الذي لا يتم عن قصد وتوجيه – بمعنى أن يكون تلقائياً – وبما أن الكاتب انما هو ابن للمجتمع ، فمن البدهي أن تظهر عناصر اجتماعية مختلفة في انتاجه ، ولو لم يقصد الى ذلك اصلا.

لقد رأى المجتمع منذ القدم أن من أهم واجباته ، أن يربي اطفاله وشبيبته ، بأن يزرع فيهم قيماً واعرافاً ، واساليب سلوكية ، لكي يجعل منهم في المستقبل ، مواطنين ينخرطون في مجتمعهم و يعيشون حسب الاطر المعتادة والمتفق عليها في المجتمع ، ولكي يقدموا لهذا المجتمع و يحافظوا عليه وعلى استمرار بقائه.

من هذا المنطلق ، برزت الحاجة ومنذ بداية ظهور أدب الاطفال في بلدان مختلفة ، الى وجود أدب خاص بالاطفال يكون بمثابة وسيلة لتحقيق أهداف تربو ية واجتماعية. وعليه ، فلم ينصب الاهتمام على أدب الاطفال من حيث كونه من الانتاج الادبي في أيامنا هذه ، وانما انصب على ما اريد له أن يحققه ، وذلك بأن ينتج أدباً يحث على معان سامية ، كحب الوطن ، والبذل والعطاء ، وتقديم المساعدة لمن يحتاجها ، والطاعة واحترام الكبار ، والايمان بالشعور القومي ، والمحافظة على تماسك الاسرة ، وحياة الشعب ، وعلاقاته بالشعوب ، وتحقيق الرغبة في الحصول على نتائج تعليمية واقتصادية.

(١) انظر: מנחם רגב, מדריך לספרות ילדים, עמ" 58 .

لقد كان في القرن الماضي (في بريطانيا مثلا) ، تغاض يكاد يكون تاماً عن الجوانب الفنية والنفسية في هذا اللون من الادب ، أدب الاطفال ، وأوضح ما يكون ذلك لدى افراد الجهاز التربوي ، الذين يقيمون هذا الادب حسب ما يحققه من ترسيخ القيم أو ايصال المعلومات المفيدة للنشء ، ولهذا فقد قدمت قصص واشعار ذات مستوى فني متوسط أو دون المتوسط ، وجدت ضمن كتب قديمة ، هذا رغم أن موازين معرفة الانتاج الادبي الجيد معروفة ومحصورة في المستو يات : مبنى ، واسلوب فني ، وتصميم بنية الشخصيات ، وذلك بسبب الخضوع التام وعلى المدى البعيد ، لاطار القيم والتربو يات التي يحققها الانتاج الادبي السطحي ، الذي انتج بهدف تنمية الطفل وتحقيق تربيته ضمن هذا الاطار.

ووجهة نظر أخرى تتعلق بالقصص التاريخي ، الذي يعمد كتابه الى القاريء من النشء ، فيقدمون له معلومات عن ماضي الشعب ، بحيث يصفون ابطالا كان لهم اثر في تاريخ الشعب والبلاد ، ولكي يوجدوا نقطة التقاء بين هذا القاريء واولئك الابطال ، يبرزون قيمهم واساليب حياتهم ، وهذا بهدف من واقع دوافع مباشرة أو غير مباشرة ، يسعى الى تربية القاريء حسب تلك القيم والاساليب والتي تنحصر عند اليهود في : الاستيطان منذ بدايته وحتى النهاية ، وحرب عام ١٩٤٨م ، وحرب عام ١٩٦٧م أو أيام حرب العصابات ، أو الحرب العالمية الثانية ، أو أيام الكارثة (الاعمال النازية ضد اليهود) ، أو حياة اليهود في المهجر وغير ذلك من المسائل والاحداث ، مع تركيز الكتاب والادباء في انتاجهم ، على الماضي القريب ، الذي له علاقة مباشرة قريبة العهد من القاريء الناشيء.

لقد قدم لنا صاحب هذا الكتاب فكرة قد تكون شافية وافية حول خلفية كتاب ادب الاطفال العبريين اليوم وبالذات القصاص منهم ، مع ابراز هدفهم الرئيس من وراء انتاجهم ، والذي انصب على ما يودون ايصاله للنشء ضاربين صفحاً عن القيم والموازين الفنية التي تفصل في أمر الادب الجيد الراقي ، واذا كان هذا شأنهم فيما يتعلق بالاطر الخارجية التي يبدو أنهم أهملوها الى حد بعيد ، فماذا عن مضمون هذا الادب الذي انصب على ترسيخ الاعتداد بالنواحي السياسية والاجتماعية والتاريخية لشعب اسرائيل ، لقد بين الكاتب لنا في عجالة قوله السابقة أن هذا الامر كان هو الهدف الاكبر المقصود بهذا الادب.

ولما كانت الشخصية العربية وبالضرورة احد العناصر الرئيسة في هذا المضمون الذي ركز عليه الكتاب اليهود ، فلا بد من الوقوف على ملامح هذه الشخصية لنعرف كيف رسمها هؤلاء الكتاب وقدموها لقارئيهم لضمان تحقيق هدفهم المنشود.

يقول صاحبنا نفسه بهذا الصدد(١) : إن إحدى أهم المسائل التي اشتغل فيها كتاب قصص الاطفال العبري ، شخصية العربي في هذا الادب ، وكيف يجب أن ترسم العلاقة بين اليهود والعرب في هذه البلاد ، منذ بداية الاستيطان اليهودي ، وهل يمكن أن توجد أطر معينة بصدد وصف شخصية العربي في كتب قصص الاطفال العبرية؟ وهل يعرف الكاتب لهذا القصص ، اساليب الحياة في المجتمع العربي التي عليه أن يصفها لقارئيه؟ وهل لا بد من ابراز مرتكزات ايدلوجية للمجتمع الاسرائيلي في سياق هذا الوصف؟

يجب أن تعالج هذه المسألة بالمقارنة مع وصف الغرباء في آداب أخرى غير الادب العبري ، وبما أن العرب واليهود يعيشون في صراع وحروب منذ عشرات السنين ، فمن المحتوم ألا يعرف طرف ، الطرف الآخر على مستوى فردي ، بل تكون المعرفة من وجهة النظر المنصبة على هذا الطرف أو ذاك على أنه جزء من العدو الشامل المتربص. وعليه فسؤال أواسئلة تطرح نفسها : من هو العربي الموصوف في كتب أدب الاطفال العبري؟ هل هو شخصية مستقاة من الواقع؟ أم أنه شخصية نسجها خيال الكاتب اليهودي الذي لم يلق أو يتحدث لعربي ولو مرة واحدة؟ ما هو الاساس اللامعقول الذي تظهر عليه شخصية العربي؟ ما سبب الخلاف والعداء الموصوف في كتب أدب الاطفال العبري؟ وهل هناك امكانية لنشوء علاقات ودية أو صداقة حقيقية بين غلام يهودي وآخر عربي؟ وهل هناك فرق بين تصرف الكبار من اليهود نحو العرب ، مقابل تصرف صغارهم في الاتجاه نفسه؟

إن هذا التحليل لعقدة تصوير الشخصية العربية في كتب أدب الاطفال العبري ، وعلى لسان كاتب يهودي ، يعد بحق مدخلا واضحاً للوقوف على ملامح هذه الشخصية العربية ، مع امكانية تحديد المسؤولية الملقاة على عاتق كاتب قصة الطفل اليهودي ، ومدى عمق التبعية التي يجرها وراءه ، إن احسان فاحسان وإن اساءة فاساءة ، ولندخل الآن الى الموضوع فنرى.

هذا هو حوار (غوث) في احدى القصص(٢) : «حايه ، حايه ، » سألتها : هل يمكنك طرد العربي الذي يطاردني في الاحلام؟ لقد حاولت أمي ، ولكنهالم تستطع ، فقد جلست الى جانب سريري كل مساء ، وشرحت لي أن العرب انما هم اناس مثلنا تماماً ، يوجد لهم والدان ، أب

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٦٠.
(٢) انظر: אורי אורליב, חיית החוסך, עמ" 21,20 .

وأم ، وحتى اقارب ، يوجد لابيك اصدقاء من العرب ، وأولادهم يتعلمون مثلي في المدرسة ، وهو يحبونهم ، اذ تضعهم امهاتهم مساء في أسرتهم وتغني لهم الاغاني ، وعلى العموم يوجد عرب طيبون ، وكما يوجد يهود سيئون ، يوجد عرب سيئون. سألت أمي : ولكن ، لماذا لم يأت يهودي ليطاردني في الاحلام؟ أجابت أمي : قد يكون الامر لانه لم يتحقق سلام ــ بيننا وبين العرب حتى الآن».

إن هذا الحوار يعتبر نموذجاً رائعاً لابراز الشخصية العربية على أنه غاية في اثارة الرعب في نفس الطفل اليهودي ، بحيث تلاحقه في حلمه ، وهذا متأصل في لا شعور هذا الطفل مما يسمع أو يقرأ عن مساويء الشخصية العربية ، ومن منطلق انساني محض نقول : أليس هذا حرام؟

ونواصل الاستماع الى هذا الحوار : وفي الطريق ، حدثت «حايه» بكل هذه الامور ، فأكدت لي أنها ستطرد العربي الذي يلاحقني في الحلم ، فسوف تأتي ليلا وتنفخ عليه وسيهرب مثلما طردت النحلة ، وقد لا أحلم به رغم عدم وجود السلام حتى الآن(١).

اليس من الواضح أن التعليل لملاحقة العربي دون اليهودي لهذا الطفل حلماً أثناء نومه ، بأن سببه عدم قيام السلام بين العرب واليهود بعد ، تعليل ارتجالي وغير حقيقي؟ بلى! أقول ذلك لما اعرفه كعربي ، من أنني لم اسمع بطفل عربي واحد ، استفاق من نومه منزعجاً من حلم انتابه فيه يهودي يطارده رغم عدم قيام السلام ، ولعل التعليل لذلك آت على لسان أحد الكتاب اليهود انفسهم وهو صاحبنا السابق الذكر ، اذ يقول : إن العربي الذي لا نعرفه ، هو الذي يظهر ككابوس مزعج مرعب يتهدد ، فالطفل لم يقتنع بكلام أمه المطمئن ، حين ردت على تساؤله ، إنه لماذا لا يحلم باليهودي السيء يطارده؟(٢).

إن تعليل هذا الكاتب اليهودي لهذا الامر فيه كل الحق ، وهو يتوافق مع ما رأينا من أن السبب هو شخصية العربي المرعبة التي رسمت في ذهن هذا الطفل ، والتي باتت تلاحقه كلما خلد الى النوم في سريره.

وهناك موقف آخر من مسألة ملامح الشخصية العربية في أدب الاطفال العبري ، يرجع الى الخلفية التاريخية في هذه البلاد زمن الانتداب البريطاني ، وذلك بانشاء حوار بين أحد قادة حركة البلماخ ــ احدى الفرق العسكرية اليهودية التي كانت تعمل قبل قيام اسرائيل والتي اصبحت فيما بعد نواة للجيش الاسرائيلي ــ الحوار بين هذه الشخصية وابنته واسمها(ايزه) ،

(١) انظر المصدر السابق.
(٢) انظر: מנחם רגב, מדריך לספרות ילדים , עמ" 61 .

حول العرب ، والحوار :

ـ يا أبتي ، هل كل العرب اشرار؟ نعم ، يوجد منهم اشرار ولكن ليس كلهم. أحد طلاب الصف و يدعى كوبي قال لي أنه يكره كل العرب ، فهل حقاً يجب أن نكرههم؟ كلا يا أبنتي ، أنهم اناس مثلنا : فيوجد بينهم اصحاب اراض يعملون فيها و يفلحونها ، أما اولئك الذين هم من كبار الملاك فهم يكرهوننا ، أنهم يرون أننا نبني وننتج ، فيسعون الى الخلاص منا ، ولذلك فيجب ألا نكره شعباً بأكمله يا «إيزه»(١).

إن كانت هذه الفقرة المتضمنة لهذا الحوار قد تضمنت شيئاً من الايجابية في النظرة للعرب وعلاقتهم باليهود ، فهو شيء ايجابي يسير أمام تيار سلبي أكبر ، لن يقوى مع هذه السلبية المنتشرة بشكل واسع في أدب الاطفال العبري على التغيير وهذا ما أيده النقاد اليهود انفسهم ، الذين ذهبوا الى أنه من الصعوبة بمكان على اطفال يعيشون واقعاً مشحوناً وصعباً في العلاقات بين العرب واليهود ـ صعب عليهم ـ أن يتقبلوا الاتجاه الواقعي بسهولة و يسر ، أمام العدد الاكبر من كتب أدب الاطفال التي اشتغل كاتبوها في اثارة جو الكراهية والهزء بالعرب ، وبخاصة تلك الكتب التي كتبت وصدرت بعد حرب عام ١٩٦٧م ، ومثال ذلك ما ورد في واحدة من هذه القصص من وصف لحادثة مفادها ، أن ثلاثة من الفتية الاسرائيليين ـ فتيان وفتاة من سن ١٢ ـ ١٣ سنة ـ سافروا في رحلة الى ايطاليا ، وهناك اتفق أن صادفوا مجموعة تخريبية (مجموعة فلسطينية) والتي تقوم بتفجير باص فيه اسرائيليون يطاردها الفتيان الثلاثة و ينجحون في مطاردتهم ، وهكذا حتى يلتقوا بثلاثة من ذوي الشوارب(٢) ، ومن ثم يدور حوار بين الفتيان على النحو التالي : أحدهم همس في آذان جيله ودافيد : يا جماعة ، أبناء عمنا يقفون وراءنا. وفي الحال جاء رد الفعل على ذلك من الخلف باللغة العبرية بلهجة عربية : نحن لسنا أبناء عمكم ولا بطيخ. كما تشاء. رد دافيد على المتكلم الذي كان شاباً قوياً و يقارب الخامسة والعشرين من العمر. هل تشتمنا؟ قال العربي واسنانه تصطك وعيناه كأعين صديقيه تقدحان شرراً لفرط الكراهية. دافيد همست جيله بخوف : لا تبادئهم أنهم اكبر منا سناً. فقال يؤاب : لا شيء يخيفنا منهم ، فميزان القوى لم يؤثر مرة واحدة على اسرائيل لتتصرف ضد العدو...(٣)

لقد قال الناقد اليهودي نفسه كلمته في مثل هذا الحوار مما نكتفي به اذ يقول : إن طريقة

(١) انظر: יפרח חביב, הזקן שהדליק מדורות, עמ" 86,87.
(٢) اصحاب الشوارب من الاوصاف القبيحة التي يوصف بها العرب في أدب الاطفال العبري كما سيأتي.
(٣) انظر: יגאל גולן, השלישיה בערבות מניחי הפזורות עמ" 45.

الكتابة هذه ، تمثل ادب مغامرات من نوع مميز ، فاستعمال العربية على صورة سيئة ، من خلال الصراخ والسطحية التي ابداها العربي الوارد وصفه ، انما هي اشارات مميزة لاسلوب كتابة من هذا النوع ، كما أن الفارق في السن لم يكن مهما ، فالفتيان اليهود الصغار يفوقون بذكائهم وشجاعتهم العرب الذين هم أكبر سناً. وهذا في حد ذاته يدخل ضمن لهجة الاستعلاء اليهودية على العرب ، هذه اللهجة التي تنتشر باساليب مختلفة في قصص كثيرة تتناول مجالات مختلفة ، كطريقة العيش ، والتعامل بالتقنية التي اعتبرت من مميزات اليهود على العرب ، مما أهلهم لأن يستطيعوا التأثير في تطو ير العرب وبخاصة في القرى المجاورة للمستوطنات اليهودية.

من خلال وجهة النظر هذه فقد انبثقت وجهة نظر أخرى متفائلة الى حد ما ، مفادها أن العرب حين تتطور حياتهم من الناحية الحضارية والتكنولوجية ، فسوف يكفون عن كراهية اليهود ، هذه النظرة التي ظهرت يسيرة في قصص الكاتب (اليعزر شموئيلي) الذي عرف العرب عن قرب ، هذا رغم الحديث عن حضارة العرب ودينهم وعاداتهم ، على أنها موازية من حيث قيمتها لما هو عند اليهود(١).

وهكذا تتواصل حلقات الاعمال الادبية اليهودية في ابراز ملامح الشخصية العربية ، والتي تبنى عليها اسس العلاقة بين اليهود والعرب ، هذه الاعمال التي تنحاز في الغالب الى السلبية ، وأن وجد منها ما هو ايجابي على قلته ، فانه لا يستند الى الواقع بقدر ما يتجه اتجاهاً آخر ، اذ يكون مسيئاً بضحالته أكثر من السلبية بعينها ، وسنقف على نماذج من هذه الاعمال.

الكاتبة تسفيه جرانوت(٢) تقص حكاية فتيان يهود من تل أبيب ينتمون الى طبقات مختلفة ، هربوا من بيوتهم وشكلوا مجموعة خاصة ، وكان زعيمهم و يدعى (إلبس) مجرماً ، وتعثر المجموعة على بيت من الطين على شاطىء البحر يقررون اصلاحه. و يتحاورون حول كيفية اصلاحه ، واحد منهم من أبناء الذوات يرى أن يطلي البيت بطلاء أبيض ، لكن آخر يرى أن يطلي البيت بطلاء أحمر لأن اللون الاحمر ملائم للبيت العربي ، غير أن البس ـ قائد المجموعة ـ يقترح أن يطلى البيت على شكل مربعات باللونين الازرق والاصفر ، كمظهر عصري. اللون هنا يرمز للاراء القديمة (الستيريوتيب) ، مما يمكن أن يكون مؤثراً تأثيراً غير مباشر على العلاقات العربية اليهودية ، وأن بدا أنه كتب بنية طيبة.

و يتساءل بعض الكتاب اليهود : ما هو سبب التوتر بين العرب واليهود؟ ولماذا يكره العربي

(١) انظر: מנחם רגב, מדריך לספרות ילדים , עמ" 62.
(٢) انظر: צביה הגרנות, ילדי השכונה והבקתה של שפת-הים, עמ" 122.

المستوطن اليهودي حتى وصل الى الاستعداد لقتله؟ فهل هم لصوص أم مقاتلون من أجل الحرية ، فقد اجاب الكثير من الكتاب على هذه الاسئلة برد هذا الامر الى اسباب حضارية مفادها ، أن العرب يعارضون الحضارة التي جلبها اليهود الى هذه البلاد ، مما يشكل تشويشاً للحياة التقليدية للقرية (العربي) ، وهناك من الكتاب اليهود من رد هذا الامر الى الحرب التي كان فيها المقاتلون العرب واليهود ، ما هم إلا ضحايا تحريض الزعماء.

نحن من جانبنا نوافق على طرح هذا السؤال ، ولا نوافق على ما ورد من اجابة عليه ، لانها كغيرها من الاجابات لم تمس الواقع في شيء ، اذ أن التوتر بين الشعبين له اسباب كثيرة معقدة ومتشابكة ، أهمها هو الذي لا يجرؤ الكاتب لقصة عبرية واحدة على ذكره ، وهو أن العربي صاحب حق منتزع منه بالقوة ، ثم كل المحاولات تبذل لانكار هذا الحق والابتعاد عنه الى اسباب أخرى واهية وإن كان البعض منها موجود في حياة العرب العامة في هذه البلاد ، ومنها ما يمكن أن يكون صحيحاً رغم أنه لم يرد بحسن نية في الغالب ضمن سرد الاحداث في هذه القصة العبرية أو تلك ومن ذلك نورد هذه الحكاية التي وردت في احدى هذه القصص :

معلم عربي يقوم برفقة تلاميذ صفه بزيارة لمدرسة يهودية ، و يبدي عجبه مما يرى قائلا : ... اقسم بالله أننا نستطيع أن نتعلم الكثير منكم أيها اليهود ، لقد كان هذا المكان خرباً وخاوياً حتى جئتم وحولتموه الى جنة عدن ، خضرة وورود ، واشجار ، فمساحات كهذه وأكبر منها خالية في قرانا ، وتستعمل حظائر للحمير والجمال ، فما اكثر المياه هنا وما الذ طعمها ، في كل يوم أقرأ أقوالا مغرضة ضد اليهود في الصحف ، كثيرون هم الذين يحاولون اثارة الخلاف بيننا في هذه البلاد ، ولكن عندما اعبر شوارعكم وعندما ارى اعمالكم الكثيرة التي عملتموها في التلال الرملية الخالية ، والتي حولتموها الى حدائق غناء ، اقول لنفسي : لقد ارسل الله اليهود الى هنا لكي يكونوا لنا مثالا ، نراهم ونعمل مثلهم ، والمهم أن نعيش واياهم بسلام وحسن جوار ، لقد قمتم بزيارتنا ، وقمنا بدورنا بزيارتكم ، فلتقترب القلوب ولتنقطع الكراهية ، فماذا تفعل لنا الكراهية ، وماذا تفيد؟ ، مئات من السنين كانت البلاد تحت الحكم التركي وها هي قد عادت الى الحياة ، ومنكم جاءتنا البركة ، من مالكم وجهدكم ، من حكمتكم التي منحتمونا اياها. قال معلمنا مصافحاً : نحن نتمنى أن يتفهم ابناؤنا بعضهم بعضا و يعملوا من

أجل مصلحة البلاد(١).

إن هذا القول ليس رغم ما فيه من الايجابية العابرة من وجهة النظر اليهودية في ابراز عربي يقر بفضل اليهود و يتمنى العيش معهم بسلام ، فانه يصب بفحواه في الهدف المقصود من اظهار العرب كشعب متخلف أما اليهود المتحضرين ، هذا بالاضافة الى الشعور بالاستعلاء على هؤلاء العرب الذين يقرون بالنقص في واقعهم ، وتاريخهم ، ذلك الاقرار الذي جاء على لسان شخصية ليست عادية فهي شخصية معلم ، و بهذا ينحاز هذا الموقف الى السلبية اكثر من انحيازه الى الايجابية في اظهار جانب من العلاقة بين اليهود والعرب ، ففضلا عن طرح التساؤل عن سبب الكراهية بين الشعبين ، والذي طرح هذه المرة على لسان عربي ، دون أن يتدخل الكاتب في الاجابة على هذا السؤال اجابة حقيقية ، بل يترك هذا السبب ، دون اية محاولة منه لأن يلمح اليه تلميحاً دون التصريح ، هذا رغم أن هذه الحكاية لم تتطرق الى أية جذور من خلاف ايديولوجي أو تاريخي بين الشعبين ، كما أنها لم تشر الى مصدر الخلاف بينهما أو الى من يبثون بذور هذا الخلاف أو من يحرضون عليه.

نحث الخطى نحو تحديد اكثر لمظهر العلاقات اليهودية العربية فضلا عن ملامح الشخصية العربية في أدب الاطفال العبري ، وذلك من خلال ما صدر لكتاب يهود في هذا المجال فنرى مدى حظهم من التوفيق في ما ذهبوا اليه على محمل الانصاف.

في أيام الهجرة الثانية ساد اعتقاد بأن عرب البلاد وبخاصة الفلاحين منهم ، انما هم يهود أصلا كانوا قد اجبروا على تغيير ديانتهم في الماضي ، ولقد روج لهذا الاعتقاد على أمل من ذوي الشأن في التوجه الفكري اليهودي ، في جعل اليهود اكثرية في هذه البلاد ، بل قد يكون بهذا ضمان موقف أكثر ايجابية نحو اليهود وهجرتهم واستيطانهم من قبل العرب والجهات والقوى الغربية ، هذا فضلا عن الامل في اندماج العرب وانصهارهم باليهود(٢).

(١) انظر: - אליעזר שמואלי, בני היורה כתיבת-נוח, עמ" 172.
- משה שמיר, ח" עם ישמעאל, עמ" 106,57 - 110.
- משה סטביצקי, הכפר הערבי, עמ" 127.
- דבורה עומר, הזבוב שבלב, עמ" 59,41,27.
- יהודה בוזלא, בעל בעמיו , עמ" 305.

(٢) انظر: מנחם רגב, בדרכי הספרות לילדים, עמ" 105.
- ידיעות אחרונות, 18/11/83 , עמ" 10.
- גרשון שקד, אין מקום אחר, עמ" 72.
- ספורים עבריים מח" הערבים, עמ" 101.

لقد كان لهذا الاعتقاد مرتكزات مختلفة من وجهة نظر اليهود ، منها اظهار المشكلة الاجتماعية والثقافية في علاقات اليهود بالعرب ، كالاصل التاريخي المشترك الذي قد يربط بين الشعبين. هذه المرتكزات كانت عماد العقدة لقصص عبرية تناولت جوانب من حياة العرب ، كتبت في الفترة ما بين عام ١٩٠٤ ــ ١٩٦٢م ، وقد ركزت هذه القصص على معان اجتماعية مثيرة وانسانية مثل حكاية حب بين انسان عربي وانسانة يهودية ، أو حكاية متسلل عائد الى قريته .. الخ. وجوهر القصص التي صدرت من هذا النوع واحد ، وأن اختلفت من حيث المستوى والمنهج في رؤية الموضوع ، فمن هذا القصص ما لمس موضوعات خارجية عن حياة العرب في العالم العربي بعامة ، ومنها ما لمس موضوعات داخلية تصف رؤية داخلية لها ، وكلها لا تخرج عن الخط العام لموقف الادب العربي الحديث في ابراز العلاقة بين اليهود والعرب التي تتكرر في سائر القصص الخاص بالاطفال.

أما بعد حرب عام ١٩٦٧م فقد ازدادت الصورة تطرفاً ، بحيث ظهرت أوصاف سلبية للعرب واليهود في كتب كل منهما ضد الآخر مثل اوصاف (خائن وكاذب .. الخ) ، وقد اشتغل بعض الكتاب اليهود في هذا الامر مثل الكاتبة (استير ميلو) في مواضع مختلفة من انتاجها(١).

ولعل «يهوشافاط هركابي»(٢) ، يعتبر من أكثر الباحثين اليهود دقة في تركيز الضوء على فحوى العلاقات العربية اليهودية اذ يقول : هناك خطورة بالغة في معالجة هذا الموضوع ، فيجب علينا ابداء الحذر الشديد حين نتناوله لكيلا تؤثر فينا كراهية العرب العمياء في علاقاتنا معهم ، تلك العلاقات التي أخذت في التوسع في الفترة الاخيرة ، مما يوجب علينا عدم النظر الى كل عربي على أنه يكره اليهود ، كما يجب ألا ننكر عدم وجود كراهية كهذه تجاهنا من قبل العرب.

إن ما ذهب اليه يهوشافاط هركابي مما ذكرنا ، ليعتبر بحق على قدر كبير من الصواب ، الذي نبع عن فهم عميق لطبيعة الحياة المشتركة بين الشعبين في هذه البلاد ، والتي قد تكون حدثت قسراً فيما بعد بعد عام ١٩٦٧م وليت ما توصل اليه هذا الرجل ، يفهمه و يدركه اليهود والعرب على حد سواء.

وتبرز خطورة ما تنبه اليه هركابي وغيره من الكتاب اليهود ، من خلال المواد الادبية في مجال ادب الاطفال ، والتي سنعرض لعدد منها في حدود ما يبرز العلاقة العربية اليهودية في

(١) انظر: אסתר מילוא, החנוך מטנה עברי הגביל (מתוך רמזור שנה די חובי 11 דצמבר 1967).

(٢) انظر: יהושפט הרכבי, עמדת ישראל מהסכסך הישראלי ערבי, עמ" 16.

هذه البلاد ، مع الالتفات الى ما قرره النقاد الاسرائيليون بهذا الصدد ، بحيث لا ندعي تغطية ما كتب من قصص الاطفال كافة ، ولكنها نماذج يتمثل من خلالها الاتجاه العام نحو هذا الموضوع ، من تلك الكتب التي يبرز الموقف فيها ضد العرب بوضوح يصل الى حد يكون معه سافراً ، والكتب التي تبرز الموقف باسلوب هامشي وكأنه محض صدفة ، فضلا عن الكتب التي تحدثت عن حاجة الى احلال السلام بين الشعبين ، وهي تلك الكتب التي كتبت في فترة ما بعد الحرب ، وهذه الكتب في مجملها انما خضعت تماماً لثقافات وامزجة مؤليفها مما يمكن أن نلخصه في طرح الاسئلة التالية : هل يعرف الكاتب العقلية العربية معرفة واقعية حقه؟ هل صدر الكاتب في وصفه للشخصية العربية عن كراهية للعرب أم من وجهة انسانية؟ ، هذا بغض النظر عن المستوى الفني لهذه القصة أو تلك. واذا كان الامر كذلك ، فهل هناك من حلول لحل هذه المشكلة ، فاذا كانت هناك حلول ، فهل تطرح من وجهة النظر اليهودية فقط ، أم أخذت بعين الاعتبار وجهة النظر العربية؟ هذا ماسنقف عليه من خلال عرض النماذج :

«... مرة أخرى سأل افنير أباه : أصحيح يا أبت ، أن أرض اسرائيل هي أرض اليهود؟ وأن العرب يسكنون فيها ، وهل هم موافقون على أن تكون لليهود؟ أجاب الاب : نحن نعتقد أنه يوجد مكان في البلاد للعرب واليهود. لم يواصل افنير اسئلته ، غير أنه لم يبد ارتياحاً لاجابة أبيه ، فالفتى العربي مثلا ، قدم برفقة أبيه لبيع التبن ، وفي ذهنه اعتقاد بأن البلاد له ولكن هؤلاء اليهود جاءوا واشتروا الارض من الافندي ، أنهم يأكلون جيداً و يلبسون جيداً ، وقد صاروا يقولون أن الارض لهم. فلا شك اذن في أن هذا الفتى العربي وأباه يكرهان اليهود ، فهل حدث مرة وتم التفسير لهذا الفتى العربي ، لم يضطر اليهود الى القدوم الى هذه البلاد؟! وهل تم له شرح لكيفية تحقيق عيش العرب واليهود جنباً الى جنب في هذه البلاد ، وانها تكفي للجميع»(١).

يقول مناحيم ريجف(٢) : إن هذه الفكرة من وجهة نظر النقاد اليهود ، وردت في أحد كتب ادب الاطفال العبري ، مما يمكن اعتباره محاولة لرؤية واقعية متزنة لهذه المشكلة ، بحيث سما التفكير ، الى درجة وصل معها الى أنه من الممكن أن يكون قد لحق ظلم بالسكان الاصليين في هذه البلاد. ولكن هل الحق في هذه المسألة كله الى جانبنا؟

وفي قصة أخرى يدور حوار بين رجل من الكيبوتس ، وبين متسلل عربي القي القبض عليه

(١) انظر: יוסי מרגלית, אש בחורשה, עמ" 15.

(٢) انظر: מנחם רגב, בדרכי הספרות לילדים, עמ" 107.

، وهو ابن صديق قديم لذلك الرجل اليهودي من الكيبوتس ، علماً بأن مضمون القصة قد ابرز العلاقة الحسية الثابتة للمتسلل بمدينته التي كان يسكنها والتي اصبحت اليوم جزءاً من دولة اسرائيل ، غير أن جواب رجل الكيبوتس اليهودي لهذا المتسلل العربي ، يشوبه الاختلاط والبلبلة بين الخيال والواقع ، من الاعتراف بحق العربي مع الاشارة الى مأساة اليهود ، اذ قال : «... أنه (العربي) صادق ونحن (اليهود) صادقون ، نحن لم نطردهم ، ولكنهم مطرودون ، ماذا أقول له؟ هل أحدثه بأمر كارثتنا ، وما حل بنا في المهجر ، هل احدثه عن المغامرين ، أم عن معسكرات الابادة والموت ، أم عن ملايين اللاجئين اليهود؟!...»(١).

إن في هذه الفقرة شيئاً من الايجابية العرجاء ، حين ينظر الكاتب الى هذا اللاجيء بل المتسلل العربي على أنه ليس مخرباً بل كعائد الى مدينته ، ولكن لم يستطع هذا الكاتب ابراز كارثة اليهود على درجة موازية للكارثة التي حلت بهذا اللاجيء العربي ، بل أنها غير واردة في الحسبان ، وهذا ما قال به الناقد اليهودي نفسه(٢).

ونموذج آخر نورده من هذا النمط الذي فيه ابراز ايجابي للعلاقات بين العرب واليهود في أدب الاطفال العبري ، لا تخلو الايجابية فيه من الافتعال والطعن الخفي بالعرب ، تدور القصة حول ما مفاده أن احدى المعلمات الاسرائيليات خرجت مع صفها في رحلة الى منطقة نهر الاردن ، وراحت تقص على الاطفال ، كيف كانت وهي فتاة صغيرة تتبارى هي واصدقاؤها في السباحة مع أولاد القرية العربية الواقعة على الضفة الاخرى للنهر ، وكان رد فعل تلاميذ صفها حيال ذلك : «... قولي لنا يا زيفه ، هل سمحوا لكم بأن تستحموا في مياه نهر الاردن دون أن يطلقوا النار عليكم؟ هذا ما سألت ياعيل. فاجابت زيفه : كلا يا أولاد ، فقد ساد السلام بيننا وبين العرب الذين يسكنون على الضفة المقابلة لنهر الاردن في تلك الايام. وسأل يجئال : ولماذا تسود الكراهية بيننا وبين العرب الذين يسكنون هنا الآن؟»(٣).

واضح من فحوى هذا النموذج أن الحقيقة في أمر المشكلة علقت بالسلام دون التطرق من قبل الكاتب ، الى اجابة السائل عن سبب الكراهية الذي تهربت منه المعلمة ، غير أن كاتب هذه القصة يحاول مرة أخرى ابراز شيء من الايجابية في موقف الفتيان اليهود من العرب ، محملا النهاية السلبية للعرب الى جانب رغبة اكيدة لدى الفتى اليهودي ، في اجراء اتصال

(١) انظر: בנימין הלוי, אורי ועירן, עמ" 148.
(٢) انظر: מנחם רגב, בדרכי הספרות לילדים, עמ" 107.
(٣) انظر: דבורה עומר, עד השמים, עמ" 30.

بالقرية العربية ، ويعرض ذلك من خلال حوار بين فتى وأبيه أثر محاولة احد الفتيان اليهود اجراء اتصال هاتفي بين فتيان الكيبوتس وفتيان القرية العربية ، بأن يمد خيطاً يصله بعلبة ويحاول التحدث من خلاله دون الحصول على جواب من الطرف الآخر ، ويأتي الجواب على لسان الاب الذي يقول لابنه: «... الخيط مقطوع يا بني ، فلا يوجد اتصال هاتفي بيننا وبينهم. ويأتي سؤال من الابن لابيه : متى سيصلحون خط الاتصال مرة أخرى يا أبي؟»(١). ويقول مناحم ريجف :

واضحة محاولة الكاتبة في هذا النموذج أن يبرز ايجابية الكبار في أنهم يتطلعون الى قيام السلام بين اليهود والعرب فيما وراء النهر مع أن المشكلة بعمقها هنا غربي النهر ، ثم يحاول جاهداً ابراز الرجل اليهودي وكأنه يسعى جاهداً لانشاء السلام بل أنه يعتقد أن بمقدور الصغار أن يبنوا الجسر ويبادروا في الاتصال مع أبناء القرية العربية البعيدة وراء الحدود ، ونحن بدورنا نسأل : ماذا لو حاول الكاتب أن يجعل ابطال قصته يحاولون اجراء هذا الاتصال مع أبناء قرية عربية هنا قريبة وفي متناول اليد؟!(٢).

ولكن ما ذكرناه من نماذج خادعة في ابداء الايجابية العرجاء في العلاقات بين العرب واليهود ، سواء تلك التي تطرقت الى عرب في الداخل أم الى عرب في الخارج ، لا تفتأ أن تضيع ويخبو نورها الخافت أمام العدد الهائل من القصص السلبي ، الذي يصر كاتبوها على التعلق بالآراء القديمة والافكار المسبقة (الستيريوتيب) ، ولنضرب مثلا لذلك ، من خلال نماذج ابرزت جوانب من مظاهر الصراع الحربي والمناوشات الشعبية بين الشعبين في الايام الخوالي ، فمن هذه النماذج ما اظهر العرب على صورة من التوتر في نظرتهم لليهود على خلفية الاستيطان وما صحب ذلك من مناوشات وصراعات دموية وحروب ، مما يستلزم طرح السؤال : ماذا سيترك هذا من رواسب في نفسية القاريء اليهودي الصغير؟! وذلك مثل ما جاء في احدى القصص :

«... قلقيلية! هذا الاسم الذي اثار في انفسنا هزة خفيفة ، فقلقيلية مدينة سكانها يخططون لاعمال عدائية ضد اسرائيل ، فقبل حرب سيناء (عام ١٩٥٦) قام جنودنا بتفجير مركز الشرطة في المدينة...»(٣).

ومثل آخر :

(١) انظر المصدر السابق.
(٢) انظر: מנחם רגב, בדרכי הספרות לילדים, עמ" 108.
(٣) انظر: מ. גרעין, השד 2 יוצא לגבול, עמ" 5.

«هذه هواجس ولدين كان عليهما كتابة موضوع انشاء بعنوان : (ماذا تعرف عن الوضع في الحدود) ، ولذلك ولكي يجمعوا المعلومات ، انضموا الى احدى دوريات حرس الحدود».

وعبارات أخرى في احدى القصص وهي : (قصة استيطان الحارس عبري):

«... أبي ، أبي ، في الخليل ذبحوا الكثير من اليهود ... ومنهم كثير من الاطفال ، أبي ، أبي ، وفي أماكن أخرى – ذبح اليهود – مخيف ، بكت عليه ... كان الناس غاضبين ، قصوا اشياء غريبة مثيرة للغضب ، وتجمد الدم في العروق ، قتل في القدس ، ومذبحة رهيبة في الخليل...»(١).

ومما ورد في قصة أخرى حول خلفية حرب عام ١٩٤٨م :

«... كانت القدس محاطة من جميع الجهات بعرب متعطشين للحرب ، وعلى جنبات الطريق الى القدس ، كمائن عربية معادية ، وكان سلاحنا قليلا في تلك الايام ، والسيارات المصفحة قليلة ، وقد هوجمت القوافل التي كانت تحاول الوصول الى القدس محملة بالغذاء والسلاح ، وحطام السيارات المتناثرة على جنبات الطريق الى القدس والتي ما زالت الى الآن ، تشهد على ذلك ، تلك السيارات التي لم ينجح ركابها في الوصول الى القدس...»(٢).

يقول الناقد اليهودي مناحم ريجف في هذه النماذج السابقة:(٣)

إن القاسم المشترك بين هذه الفقرات الثلاث ، يتمثل في تجسيد مواقع الصراع ، فقد ذكرت اسماء هذه المواقع ، الخليل والقدس ، والطريق الى القدس ، وقلقيلية ، بحيث اصبحت رمزاً لتاريخ الصراع ، وجاء الحديث فيها مباشراً مثيراً للدهشة والعجب.

الاستيطان هو الآخر حين كان يحدث في أي مكان ، ارتبط في صراع على الحياة والموت بين المستوطنين اليهود والعرب والبدو ، وهذا ما تجسد في احدى القصص وهي قصة شاب تطوع لمساعدة المستوطنة المحاصرة وقد لقي مصرعه في النهاية :

«... بالاضافة الى مرض الحمى ، كانت هجمات البدو من شرقي الاردن ، اولئك البدو الذين لم يطب لهم مقدم اليهود واستيطانهم على حدود بلادهم ، فراحوا يزورونهم و يعتدون عليهم من حين لآخر...»(٤).

(١) انظر: אליעזר שמואלי , אנשי בראשית, עמ" 260,259 .
(٢) انظر: נעמי זורע, אל חול דיום כחול, עמ" 24
(٣) انظر: מנחם רגב, בדרכי הספרות לילדים, עמ" 109 .
(٤) انظر: אליעזר שמואלי, אור הגליל, עמ" 7.

وإن كانت هذه النماذج التي مر ذكرها كمواقع للتوتر بين العرب واليهود قد انحصرت في داخل البلاد ، فان قصصاً أخرى قد وسعت المجال الجغرافي لهذا التوتر في خضم العلاقات العربية اليهودية ، حتى خرجت به الى ما وراء حدود هذه البلاد ، وقد استغل الكتاب خدمة لذلك اساليب مختلفة ، منها الخيال وخرق العادات ، ومن ذلك مثلا : عبور ثلاثة شبان اسرائيليين في نفق سري الى القاهرة ، وبعد مغامرات مثيرة ، ينجحون في اقناع مجموعة من اليهود في الهجرة الى اسرائيل عبر هذا النفق نفسه ، وفي بداية طريقهم ، يصلون الى مطعم صاحبه يهودي من سكان القاهرة ، وكانت احدى الاشارات الدالة على أن هذا المطعم ليهودي ، جاء وصفها على لسان احد ابطال القصة على النحو التالي : «... صحيح ، اضاف شاؤول ، انتبهوا الى النافذة المكسورة ، وهي كما يبدومن آثار حرب سيناء (عام ١٩٥٦م) ، عندما اقدم المصريون على الانتقام من اليهود المحليين (الساكنين في مصر) اعراباً عن فشلهم الذي منوا به على يد الجيش الاسرائيلي...»(١).

و يبتعد كتاب هذا القصص العبري ، حين يضمون الى دائرة المتضررين اليهود على ايدي العرب ، يهوداً آخرين ليسوا من سكان اسرائيل ، فيبرزون معاناة هؤلاء اليهود ، الذين قاسوا بسبب انتصار اخوانهم على المصريين (في حرب عام ١٩٥٦م) ، فالمصريون ما كان بمقدورهم الرد على اسرائيل بشن حرب مضادة انتقامية ، فكان على عادة المهزوم أن ينتقم من الضعفاء. إن حرب العرب لم تكن فقط حرباً ضد لصوص ، بل كانت جزءاً من مخطط عام(٢). ففي قصة حول حرب عام ١٩٤٨م في القدس ، يحكي فتى يهودي بطل جانباً من الحكاية :

«... إن العرب الآن يعدون للهجوم علينا فور خروج الانجليز من هنا لكي ينهوا الوجود الاستيطاني اليهودي ، وهم يعلنون عن ذلك بكل صراحة»(٣).

و يقول مناحيم ريجف(٤) : إن كانت النماذج السابقة قد ابرزت سلبيات مختلفة في العلاقات العربية اليهودية ، فقد وضعت العدو دون تحديد لاسم وعنوان ، فهناك نماذج كانت أكثر تحديداً ووضوحاً في تحديد العدو ، مع ابراز جانب ممارساته ووصفها بصورة أكثر دقة ، فضلا عن التصريح بعبارات الوصف السلبي للعربي ، والاعراب عن احتقار هذا العربي ، ومن ذلك ما جاء في احدى القصص :

(١) انظر: ערן שורר, שלילות חבריא, עמ" 71.
(٢) انظر: מנחם רגב, בדרכי הספרות לילדים , עמ" 109.
(٣) انظر: דוד שחר, הכפתקותיין של ריקי מעוז עמ" 26.
(٤) انظر: מנחם רגב, בדרכי הספרות לילדים, עמ" 109.

«... لقد كان على قناعة تامة بأن المهاجمين ينتمون الى احدى العصابات العربية ، التي كان قد سمع عن شراستها حين كان على ظهر السفينة قادماً من المهجر ، بهذا لم يكن صعباً على (موطي) أن يصل الى هذه النتيجة ، فهو كمقاتل مدرب عرف أن عصابات من الزعران ليس عندها امتثال للاوامر ، وتفتقر الى اخوة المقاتلين ، بل أنهم يتركون اصدقاءهم الجرحى في ميدان القتال..»(١).

والقول الآن في التعقيب على هذا نتركه للناقد اليهودي :

حتى هنا نرى العربي يظهر بصورة العدو الظالم القاسي قلباً ، والذي لا يتردد في قتل الاطفال ، فضلا عن أنه عدو غير جدير بالاحترام ، لانه يترك جرحاه في ميدان القتال. إن القسوة شائعة في العلاقات بين العرب أنفسهم ، مما قد يساعد على امكانية احلال السلام بين العرب واليهود ، فمن الواضح أن العدو العربي صفوفه غير موحدة(٢). فالعصابات العربية تظهر من خلال قصص الاطفال ، وكأنها كلها عصابات من الزعران القساة الارهابيين ، الذين يسعون فقط وراء الغنيمة ، وذلك مقابل اليهود الذين يظهرون كمدافعين ايدولوجيين متزنين ، وسنورد نماذج من القصص والحكايات مما يبرز ما ذكر :

في احدى القصص يقع ثلاثة من الصبية في اسر رجال العصابات في حوادث عام ١٩٣٨ ، فيرد وصف للصدام المباشر بين رجال العصابات القساة من العرب وبين الفتيان اليهود ، ولنستمع :

«... وعندما أدار شمشون – وهو يركض – وجهه الى الوراء ، رأى العرب يصوبون بنادقهم باتجاههم و يهددونهم قائلين : اذا كنتم تكذبون ، فانكم ترون هناك على التلة عموداً وحبلا يتدلى منه ، أنه حبل المشنقة .. بحيث نضع الحبل حول الرقبة وكفى...»(٣).

هذه الصورة المرعبة التي توقفت عند التهديد ، بحيث تنتهي القصة دون موت أي من الفتيان ، بل يتحول كاتبها في نهايتها الى ايجابية مفاجئة حين يصور حكاية صداقة تتم بين احد العرب وغلام يهودي ، ومع مرور الايام ينقذ احدهما الآخر خلال حرب عام ١٩٤٨م(٤).

ونموذج آخر تضمن ظاهرة غريبة تبرز من خلال هذه الفقرة :

«... هل تكفينا النساء؟ إن شاء الله ستكفي ، سوف يأخذ كل من المقاتلين الممتازين امرأة

(١) انظر: בייזי יפת, הסמה אומץ לב, עמ" 40-41.
(٢) انظر: מנחם רגב, בדרכי הספרות לילדים , עמ" 110.
(٣) انظر: זאב דומניץ, עבילת אפ, עמ" 43.
(٤) انظر: מנחם רגב, בדרכי הספרות לילדים, עמ" 110.

اضافية ، سوف نبين لليهود الكلاب من نحن..»(١).

كم هي سخيفة حاقدة هذه الصورة التي جاهد كاتب هذه القصة كي يبرز من خلالها العرب وقد تحللوا من كل قيم الانسانية إلا الشهوة البهيمية التي سيطرت على تفكيرهم وهم يتأهبون للهجوم على اليهود.

وفي معرض التحديد في وصف العرب ، باستعمال اوصاف سلبية بدلا من كلمة (عرب) وكلمة (عدو) من خلال لمس جوانب من علاقات العرب باليهود ، نرى هذا النموذج :

احدى الفتيات اليهوديات تسافر لزيارة ابيها الذي يخدم في الاحتياط في النقب ، وخلال الزيارة ، يجلس الاب ليتذكر احداثاً من حرب عام ١٩٤٨م فيقول : «شبان كثيرون ذهبوا للدفاع عن بلادنا ، معاً قاتلنا وطردنا الاشرار الذين دخلوا الى ارض اسرائيل ، وارادوا تدمير وانهاء الاستيطان اليهودي ، ولكننا تغلبنا عليهم»(٢).

لقد استعمل الكاتب وصفاً محدداً هو (الاشرار) بدل استعماله كلمة (عرب) أو (عدو) ، كما هو واضح في النص السابق ، وبدلا من كلمة (هجموا) أو (اعتدوا) استعمل كلمة (دخلوا) ، وذلك بقصد الايحاء بأنهم ليسوا من أهل البلاد وساكنيها ، بل أنهم معتدون يدخلون كمتسللين.

ملامح الشخصية العربية في أدب الاطفال :

بعد العرض الذي قدمناه آنفاً من الذكر لنماذج من مضامين جمع من قصص الاطفال العبري ، مما ابرز جوانب من علاقة العرب باليهود سواء داخل البلاد أو خارجها ، مما كانت فيه العلاقة عموماً سلبية الى حد وصل الى أدنى درجات التسفل في كثير من الاحيان ، نتقدم من بعد الى بيان ملامح الشخصية العربية في هذا الادب ، لنرى كيف رسمتها أقلام كتاب هذه القصص ، مما يصلح أن يبين لنا عللا حقيقية لسوء العلاقات العربية اليهودية ، بل مما شكل الارضية الاساسية لمسار هذه العلاقات وفي مختلف جوانب ومناحي الحياة ، تلك الملامح التي سوف نرى أنها خضعت تماماً للآراء القديمة (الستيريوتيب) كما خضعت العلاقات من قبل.

يقول ناقد يهودي كلمة في هذا الامر نوردها:

«من هو العربي الجاري وصفه في كتب ادب الاطفال العبري؟ أهو مدني؟ أم قروي؟ أم بدوي؟ إن معظم الكتاب الذين كتبوا في هذا المجال ، لم يقابلوا عربياً أبداً ، بل أنهم لا

(١) انظر: צבי ליברמן, בהרי ירושלים, עמ" 85.
(٢) انظر: אוריאל אופק, מסע אל אבא הח"ל, עמ" 36.

يجيدون اللغة العربية ، ولا يعرفون شيئاً عن حياة العرب وعالمهم ، بل إن التركيز في الوصف ينصب على العربي البدوي دون العربي المدني – الذي يعيش في المدن – رغم أن هذا المدني هو الذي كان يشترك في الصراع ضد اليهود ، فقد يكون الكتاب فعلوا ذلك ، بهدف الهروب من الوصف العصري الآني ، الى الوصف الفلكلوري»(١).

إن في هذه المقولة لهذا الناقد اليهودي الكثير من الحق ، وسوف يتضح لنا ذلك من خلال نماذج نوردها ، ومنها :

«أبو سالم بعظمته وبنفسه بدأ بتجهيز القهوة منذ البداية ، فقد وضع حبيبات القهوة في مقلاة حديدية صغيرة (المحمصة) ، ووضعت المحمصة على النار حتى فاحت رائحة حسنة من حبيبات القهوة ، ثم القيت الحبيبات في الجرن الخشبي(*) ، وأخذ المضيف يضرب حبات القهوة التي في الجرن ، بعصا خشبية (المهباش) بضربات حسب تسارع ثبات متناغم ... حتى انتهى دق القهوة ، لتوضع القهوة المدقوقة في الابريق النحاسي الاسود (دلة القهوة) ، وصب المضيف الماء في الابريق واضاف السكر ، ووضع الابريق فوق النار ليغلي الخليط ، ثم اضاف حبيبات من حب الهيل الذي لا ينسى وضعها كل خبير في صنع القهوة...»(٢).

لكم هو دقيق هذا الوصف لعملية قيام العربي البدوي بصنع القهوة العربية ، التي تعتبر من مقومات الضيافة التقليدية للشخصية العربية العامة ، كغيرها من المقومات السائدة الاخرى ، تلك المقومات التي أخبرنا الباحثون الاسرائيليون ، بأن كتب أدب الاطفال العبرية قد القت عليها الضوء كثيراً في معرض الحديث على الشخصية العربية ، بأهداف متعددة مختلفة ، ولنستمع لاحدهم يقول بهذا الصدد :

«إن وصفاً كهذا – وصف عمل القهوة – ووصفاً لركوب الخيل ، وعادات الأكل ، واجراءات الصلح بين المتخاصمين ، وطريقة شرب الماء من الجرة وغير ذلك ، كلها وصفها منتشر في كتب أدب الاطفال العبرية ، كما هو في أدب الكبار الذي يصل الى درجة من الحسد للزعامة العربية البدوية ، ومعرفة البدو بالصحراء ، مما يبرز رغبة أكيدة في التشبه بهم لكي يحسب الانسان (اليهودي) كواحد من أبناء البلاد»(٣).

(١) انظر: מנחם רגב, מדריך לספרות ילדים, עמ" 62.

(*) المحمصة والجرن : كلاهما من أدوات تجهيز القهوة ، الاولى كالمقلاة لها ذراع طويلة تصنع من الحديد ، والثاني على هيئة علبة من الخشب لها فتحة صغيرة على قدر سمك المضرب الخشبي الذي يسمى بالمهباش ، يستعمل لدق حبات القهوة بعد الفراغ من تحميصها.

(٢) انظر: יהואש ביבר, שנה מחנות, עמ" 23,22.

(٣) انظر: מנחם רגב, מדריך לספרות ילדים , עמ" 63.

وتترسخ هذه النظرة لحياة البادية العربية بوضوح وجلاء في كتاب مذكرات دافيد هوربيتش ، الذي ينقل وجهة النظر الرومانسية التي كان يتبعها رجال هشومير (الحرس) ، حيث يقول :

«... إن الوحيدين من بين رجال الفرقة (فرقة العمل) ، والذين عرفوا العرب كانوا رجال هشومير (الحرس) ، اولئك الذين عاشوا في واقع اقرب الى الوهم والخيال ، فقد رأوا سكنى العربي في خيام البدو ، في حين كانت الانتفاضة القومية بين سكان المدن العرب ، فهم الفئة المثقفة العربية بما فيهم الشباب ، تلك الفئة التي كانت غريبة عنهم (رجال هشومير) وغير مفهومة»(١).

لعل هذا النص السابق ، يبرز خيبة فهم المجتمع العربي الكامل ، من خلال الوهم الذي ساد الاعتقاد معه ، أن العربي البدوي يكفي فهمه لرسوم ملامح الشخصية العربية العامة بعيداً عن المجتمعات العربية الاخرى كالمدينة مثلا ، غير أن هذه النظرة انتشرت انتشاراً واسعاً في كتب أدب الاطفال العبري ، فهذا نموذج آخر :

في قصة بعنوان : (زوهر وزكية) ، يقع زوهر – الفتى اليهودي – بحب زكية الفتاة البدوية ، ويدور حوار بين الاب المتردد والابن المحب : «إن البدو شعب مهم ، بل أود أن أقول : شعب جيد ، فخورون ، اقوياء ومهذبون ، ولكنهم ما زالوا يتصرفون بوحشية في بعض الاحيان ، انظر كيف يأكلون بأيديهم من القدر الكبير! لا أعرف يا أبتي ، من وجهة نظري ، فان هذا يعتبر اسلوباً حسناً لتناول الطعام ، وانني معجب به ، ألا يذكرك هذا بطريقة الاسيويين قديماً ، فقد تناولوا طعامهم في مجموعات من مائدة واحدة ، ويمكن الافتراض أنه لم تكن لديهم ملاعق وسكاكين. هذا صحيح ولكن مع فارق واحد ، فالآسيويون ما كانوا يأكلون اللحم ، بل كانوا نباتيين وحافظوا على نظافة اجسادهم وملابسهم»(٢).

في هذا النص نلاحظ مغالطة خفية في تحديد ملامح شخصية العربي البدوي ، حين يرى زوهر في البدو تجسيداً عاماً للاسيويين ، ولقد وافق الناقد اليهودي على هذا الرأي ، مضيفاً اعتباراً قديماً مفاده الاعتقاد السائد في اوساط اليهود منذ أيام الهجرة القديمة لهم من البلاد ، بأن عرب هذه البلاد وبخاصة الفلاحين منهم ، هم في أصلهم يهود اكرهوا على ترك دينهم عندما لوحقوا وطوردوا(٣).

(١) انظر: דוד הורביץ, האחמול שלי, עמ" 193,192.

(٢) انظر: מיכאל דשא, זוהר וזכיר, עמ" 21.

(٣) انظر: אבינר פולק, מוצאם של ערבי א.

لعل هذا الاعتقاد تبعه أمل في أن يأتي يوم من الايام ، يعود فيه هؤلاء العرب الى اخوانهم اليهود ، بأن ينضموا الى المستوطنات اليهودية ، ليشكلوا اغلبية يهودية في هذه البلاد ، هذا الامل الذي لم يتحقق ولن يتحقق ، وذلك لما قام عليه من اعتقاد تاريخي خاطىء ، فضلا عن أنه من التخطيط الصهيوني الذي أخذ في اعتباره احياناً مرتكزات خاطئة في فهم وتحديد ملامح الشخصية العربية ، هذا مع عدم الحط من قدر الايجابية الباهتة في النص السابق حيال البدو العرب من وجهة النظر اليهودية.

إن ابراز ملامح الشخصية العربية في أدب الاطفال العبري أمام الشخصية اليهودية ، اقتضى في كثير من القصص ، أن يكون الابطال كلهم اطفالا ، وذلك لضمان اندماج القارىء اليهودي الصغير بالقصة ، فضلا عن ضمان الفهم التام للفحوى المقصودة بهذه القصة ، ففي قصة : «دوجيت تبحر في البحر» يدور حوار بين الابطال (الفتيان الثلاثة) الذين كانوا يعيشون في مدينة يافا عقب حرب عام ١٩٤٨ ، الفتى الاول يهودي اشكنازي (من أصل غربي) ، والثاني يهودي يمني ، أما الفتى الثالث فهو عربي اسمه حميد. وخلال القصة يكتشفون كنزاً اثرياً مكوناً من جمع جرار قديمة ، فيأتي الثلاثة و يسلمون الكنز الى دائرة الآثار الحكومية ، وذلك بعد أن وجه اليهم أمر من قبل جنرال في الجيش بضرورة التسليم ، تلك المسألة التي لم ترق للفتى العربي حميد ، بالطبع ليس لرغبة منه في الاستيلاء على الكنز ، بل لاسلوب الامر الذي وجهه الجنرال ، و بعد الحوار يوافق حميد مع زميليه اليهوديين و يسلمون الكنز(١).

و يعرب كاتب القصة على لسان حميد عن ماهية وسبب استيائه من فحوى الأمر اذ يقول :

«... عندما اشاهد جندياً باللباس العسكري ، بدأ حميد كلامه هامساً ، فانني اتذكر الحرب التي دارت بين اليهود والعرب ، فأنا اعلم أنه لا بد وأن يخسر أحد الاطراف. أمام طرف منتصر ، هذه هي طبيعة الاشياء ، ونحن خسرنا في هذه المرة فهل تفهمني؟... ولكن الآن لم تعد الحرب قائمة ، الآن أيام سلم ، فاذا جاء جندي بملابسة العسكرية ، وأخذ مني شيئاً ما بالقوة ، يكون ذلك تصرفاً غير مستحسن وغير عادل ، إن هذا ليس صحيحاً فالآن نحن لسنا في حرب ــ يواصل حميد قوله للجنرال ــ كان يجب عليك أن تخاطبني بلهجة أخرى ، كان يجب عليك أن تعرف أن هذا يؤلمني في القلب ، وكان عليك أن تتحدث بلهجة مستحسنة مقبولة ، كما تخاطب شخصاً لم يأخذ منك شيئاً ، ولم يتصرف نحوك تصرفاً سيئاً»(٢).

(١) انظر: מנחם רגב, מדריך לספרות ילדים, עמ" 63.
(٢) انظر: בנימין תמוז, דוגית מפליגה אל הים, 108,107.

نستطيع القول بأن هذا النص انما حاول كاتبه رسم صورة حسنة ايجابية للفتى العربي ، بل أنها محاولة طيبة لاخراج صورة العربي من نطاق الوصف الخاص بالآراء القديمة (الستيريوتيب) المعتم ، وذلك بأن سمح الكاتب لهذا العربي ، أن يعبر عن آلامه وآماله.

إن هذا النموذج الايجابي نوعاً ما ، انما هو نادر الوجود في أدب الاطفال العبري ، الذي انصب غالباً على رسم ملامح الشخصية العربية وعلاقتها باليهود ، على الاجابة على السؤال العام القديم المتجدد وهو : هل من الممكن أن تقوم ثقة متبادلة بين العرب واليهود؟ وهل يمكن أن نتحدث عن أخوة بين الشعبين على ارضية من التوتر المستمر المتواصل؟ ولنقف على نموذج يشوبه النزاع بين موقف يهودي ايجابي وآخر سلبي نحو العربي :

كانت فرقة من الشباب اليهود تقوم بأعمال التدريب من أجل الدفاع أيام الانتداب البريطاني ، وفجأة يظهر شاب عربي يرعى الاغنام ، فيدور هذا الحوار :

«... بعد أن سار مع عزيز ، قال عامي (المرشد) أن الأمر لم يرق له ، واذا اعتاد أن يرعى هنا ، فلماذا جاء في هذا اليوم؟ لقد جاء لكي يتجسس علينا. وحين سمع الفتية اتهامات عامي ثاروا ضده. فان كان ضيفهم الصغير عربياً فهل يجب أن يشكوا في أمره؟ ، ولماذا لا يصدقون أنه جاء اليهم عن طيب قلب؟ وهل كتب على اليهود والعرب أن يكونوا فقط اعداء؟ غير أن عامي لم يأبه لاقوالهم وفي الحال أخرج رزمة فيها ثلاث بنادق ، كانوا يعرفونها ولا يعرفون كيف يستعملونها اذ لم يسبق لهم أن اطلقوا من أي منها رصاصة واحدة...»(١).

إن هذه الفقرة تفيد أن ما جرى بين الفتية اليهود ، انما كان صادراً عن قبول ورفض خلفية استقوها جميعاً من ذويهم الكبار اتجاه الشخصية العربية وعلاقاتها باليهود ، فالكل منهم وضع في واقع مشحون بالتوتر ، منهم من يتمشى معه ، ومنهم من هو مستعد للتمرد عليه ، والتعامل مع منطق الواقع كمن يكون خالي الذهن في مسألة ، تمر ومن خلالها يصدر حكمه ، وهناك نموذج آخر نذكره من قصة بعنوان : «صديق حدود» تتحدث فيها فتاة اسمها (عدنه) تعيش في حي في القدس يقع على الحدود قبل حرب عام ١٩٦٧م ، وترى كل يوم بأم عينها الجنود الاردنيين يهددون حيها ، ولنستمع لجانب من القصة :

«... بجانب المخفر من الناحية اليمنى ، يوجد بيت مهدم في ركن منه يسكن فتى عربي مع امرأة طاعنة في السن يبدو أنها جدته ، كان للفتى قميص واحد من القماش (الخاكي) يلبسه منفرداً صيفاً ، و يلبس فوقه معطفاً عسكرياً رثاً وطويلا في الشتاء ، وكان الركن من البيت

(١) انظر: אסתר שטרייט-ורצל, נערי המחתרת, עמ" 65.

المهدم بنوافذ بلا زجاج ، يغلفونها عوضاً عنه بالحجارة ، والواح الخشب في أيام الشتاء الباردة

تقول عدنه: لقد اصبحت أنا وهذا الفتى ـ العربي ـ اصدقاء ، نعم من الممكن أن نكون اصدقاء من على البعد ، وفي الصيف كنا نستمتع معاً بدفء اشعة الشمس ، وكنا نلعب في الشتاء في تجمعات الماء والوحل ، هو هناك وأنا هنا»(١).

نلاحظ الايجابية في هذا النص ، بحيث ورد فيه التعبير عن نشوء صداقة بين فتى عربي وفتاة يهودية من بعيد ، الى أن قامت حرب عام ١٩٦٧م ، وابتعد الجنود الاردنيون ، وصارت لعدنه امكانية لتقابل صديقها ، فتذهب الى البيت المهدم مكان سكناه ، غير أنها لم تجد فيه أحداً ، وتتواصل احداث القصة ولنستمع :

«... عربية في طريقي فسألتها : فتى ... قبل الحرب ... كان يسكن هنا مع جدته .. أين هو؟ ولكن المرأة لم تفهم قولي باللغة العبرية ، غير أنها فهمت اشارتي ـ آه سعيد! قالت المرأة ، عمان ... عمان ، اشارت بذراعيها ممثلة كيف فروا الى عمان ... عدت ووقفت الى جانب الشاخصة الصفراء ، انحنيت وكتبت على الشاخصة كلمتين : (على جانبها الشرقي سعيد ، وعلى جانبها الاسرائيلي عدنه)»(٢).

لكم هي مأساوية هذه النهاية على المحمل الانساني ، حين يعجز الكاتب عن رسم نهاية سعيدة لقصته ، لكي يتمسك بالواقع المر الذي لا يستطيع فهمه القارىء الصغير ، ذلك الواقع الذي يعتبر الكبار هم المسؤولون عن التخطيط له وانشائه في حيز الوجود. إن الايجابية الواردة في هذا النص وإن كانت عابرة ، إلا أنها تجسد المأساة الانسانية كاملة ، كما تعتمل في نفس تلك الصغيرة اليهودية حين كتبت عبارتها في لحظة من هيجان الذكرى بعيداً عن تدخل الكبار ، فهل لهؤلاء الكبار أن يفهموا فيعلموا فيعملوا؟!

اشك في ذلك الآن والأمل يحدوني في المستقبل ، هذا وأنا اخطو بك أيها القارىء العزيز من الطرفين ، لأقف بك على الصفات السيئة التي الصقها كتاب قصص الاطفال العبري بالشخصية العربية ظلماً ، في معرض جهودهم لرسم ملامح هذه الشخصية العربية ، ومن ثم تقديمها للقارىء اليهودي الصغير على اسوأ ما تكون ، مما تؤدي به الى العيش في مظلة الخوف المستمر من الانسان العربي ولنبدأ :

سنعرض لنماذج مختلفة من قصص الاطفال ، ترد فيها صفات قصد بها رسم ملامح الشخصية العربية ، من خلال التأثر بالآراء القديمة (الستيريوتيب) ، ومنها : عيون تنشر

(١) انظر: רבקה קרן, ידידי גבול, עמ" 144.
(٢) انظر: المصدر نفسه עמ" 145.

الرعب ، الجبهة الضيقة ، الانف المستدير ، الوجه الرفيع ، العيون التي يبدو فيها العداء ، الشارب المسترسل ، السحنة الجافة (الناشفة) ، الوجه الشبيه بوجه الطير الجارح .. ولنقف على عرض بهذا الصدد لصاحب كتاب (وجوه مشوهة) وهو (ادير كوهين) ، حيث يتتبع هذه المسألة تتبعاً حسناً(١):

«قرر طلبة ثلاثة من طلبة مدرسة ابشالوم الثانوية في مستعمرة ريشون لتسيون ، وهم ميخائيل هرتسبرغ ، وايلي اديطو ، وارئيل سوبلمان ، قرروا كتابة قصة على حلقات من اللون الفكاهي على نمط قصص (حسمباه) الشهيرة والتي كتبها يجئال موسينزون ، وتدور حول شخصيات (حسمباه) وهي شخصيات ليست أدبية فحسب ، وانما تشكل العمود الفقري لشخصيات أدب الاطفال العبري الحديث ، في مدى الاعوام الخمسة والثلاثين الاخيرة ، فمنذ طباعة الجزء الاول ونشره على حلقات ، على صفحات مجلة (حارس للاولاد) ، ثم نشرت ضمن كتاب مستقل عام ١٩٥٠م ، فصار الاصطلاح (حسمباه) مكاناً بارزاً بين كتب الاطفال ذات الانتشار الواسع في الاوساط الشعبية. ومنذ البداية كان قصد الطلبة الثلاثة ، حين قرروا انشاء هذه السلسلة ، وهم ما زالوا في السابعة عشرة من أعمارهم ـ قصدوا ـ أن يكون انتاجهم فكاهياً مضحكاً مثيراً الى حد المبالغة.

فظهر في هذا الانتاج الادبي التقليدي ، الذي ابرز يارون زهابي القائد ، وتمار ، وعوزي النحيف ، وشراجا السمين ، بمظهر تعبيري فكاهي مكثف ، فيه تطرف شديد في الآراء القديمة (الستيريوتيب) التي تصف شخصية العربي المنتشرة في أدب الاطفال العبري. ونورد هذا النموذج :

«... لقد مكث يارون زهابي ، صاحب الشعر الذهبي والعيون الزرقاء في غرفة القيادة ، ومعه (سكرتير قسم ادارة المخربين) ، وفجأة فتح الباب بدفعة قوية وبدأ عامل التنظيف العربي الذي لم يحلق ذقنه ، والقمل ينتشر بين شعر رأسه ، وراح يتكلم متلعثماً : لم اعرف أنك هنا ، سأنظف فيما بعد. وهم بالخروج ، غير أن فكرة داعبت خيال يارون زهابي ، فاستوقف العربي ، كان اسم هذا العامل فيصل سليم ، الذي نظر الى عيني يارون زهابي بكراهية وقال : ماذا تريد؟ وقد تطاير اللعاب من بين اسنانه السود ورائحة كريهة تفوح من فمه ، وداخل يده ذات الندبة والقذرة التي لم يمسها الصابون أبداً ـ ادخلها ـ في جيبه البالي ، وفي الوقت نفسه فتح الباب بدفعة قوية ، ودخل شراجا بسرعة فائقة الى الغرفة قائلا : لا اعرف أنك هنا ، اننا

(١) انظر: אדיר כהן, פנים מכוערות במראה, עמ" 63.

نبحث عن مخرب خطر وشرس هارب. وراح شراجا ينظر في ارجاء الغرفة متابعاً قوله : أنني لا أراه هنا وهم بالخروج ، غير أنه سمع صوتاً : لا تتحرك. صدر بايقاع مرعب من الخلف. فالتفت ليرى عامل النظافة العربي (فيصل) الذي كان يبدو بسيطاً ساذجاً مغفلا ، يشهر في وجهه وفي وجه يارون زهابي القائد بندقية من طراز (م١٦)».

وفيما بعد يتضح أن الكل كانوا عملاء للقادة العرب ، فكذلك شراجا النحيف ابن عم شراجا السمين ، كان عميلا شرساً لملك لبنان ولحاكم سوريا ، فقد كان صلباً وغبياً كالحجر ، هذا حسب أقوال شراجا السمين ، لقد كان غبياً كالحجر الذي يبنى به بيت عربي.

لكم في هذا النموذج من وضوح سوء النية الهزلة تجاه رسم صورة العربي ، فضلا عن التناقض المتعمد ، المقصود به اضاعة الحقيقة ، التي ما كانت هدفاً في حد ذاتها ، بقدر الوصول الى تشويه صورة العربي ، فشراجا كان من الابطال اليهود أولا ، فهل قصد الكاتب أن يبرز وقد تنكر بشكل جيد في شخصية يهودي وهو عربي ، هذا ما لا يمكن فهمه من خلال النص ، ليبقى من اسرار الكاتب نفسه ، الذي لا يصدر إلا عن خلفية مسبقة تخضع تماماً للآراء القديمة (الستيريوتيب) ، هذا المصطلح الذي انبرى له بعض النقاد اليهود بالنقد والتفنيد ، ولنستمع لما يقوله ادير كوهين نفسه من أن هذا المصطلح الآراء القديمة (الستيريوتيب) ، له مفهوم سلبي ، ومعناه حسب تعريف (اليوت أرونسون) ، أنه شمول مبالغ فيه ، بحيث يعم صفات متشابهة على افراد جماعة دون الاخذ بالحسبان ، الفروق القائمة بين انسان وآخر من الجماعة نفسها. فكما يبدو فعلا أن هذا المصطلح في مضمونه ، لا يتعلق بالضرورة بصفات مهنية أو صفات سيئة ، بل أنه في كثير من الاحيان يكون بمثابة تبسيط لرؤيتنا للعالم ، وكل الناس يستعملون هذا المصطلح بشكل أو بآخر ، هذا مع تأكيد ارونسون على أن الآراء القديمة (الستيريوتيب) ، انما تكف البصر عن رؤية الفروق الفردية بين انسان وآخر ينتمون الى مجموعة واحدة ، لا تخفي ما لديها من خطر ، زد على ذلك أن معظم الآراء القديمة (الستيريوتيب) ، ليست قائمة على اساس من التجربة ، بل على مسموعات أو على مواقف من تشويه الشخصية تروج من خلال وسائل الاعلام ، أو على تلك المتراكمات التي تكدست في مخيلتنا لنثبت معلوماتنا التي نملكها قبلا ، ولنبرر بها شراستنا ، فكان الأمر فعلا بأن نعمد من خلال ذلك الى اراحة انفسنا وجني الفائدة من وراء تصنيف العرب ، على أنهم خونة وقساة ينشرون الرعب ، وأنهم مخربون وما شابه ذلك .. وهكذا كله من أجل حاجتنا الايدلوجية في عقد لواء الحرب بصورة مستمرة ، وفي أحوال كهذه ، فان التفكير ينصب على هدف اذلال

الخصم مع سبق الاصرار. وهنا يجب أن نؤكد على أن الآراء القديمة (الستيريوتيب) ، قد تكون مؤلة وسلبية ، حتى لو كانت ترتكز على أسس ايجابية أو حيادية. إن التعميم في الآراء القديمة (الستيريوتيب) فيما يتعلق بالعربي على أنه يكرم الضيف ، ويرعى الاغنام وغيرها من الحيوان ليس في حد ذاته سلبياً ، غير أنه يكون سلبياً ومهنياً ، لكونه يحرم الانسان العربي من حقه في أن يجد معاملة شخصية ملائمة لميزاته الذاتية ، ايجابية كانت أم سلبية. ويستمر كوهين قائلا :

إن النظر الى العربي بمنظار الآراء القديمة (الستيريوتيب) ، موجود في أدب الاطفال العبري ، منذ بداية عهد الاستيطان ، بل منذ فترة الصراع الاستيطاني اليهودي في فلسطين (أرض اسرائيل حسب قول الكاتب). فاحدى الشخصيات العربية الشريرة في أدب الاطفال العبري ، تلك الشخصية التي رسمت صورته استناداً للآراء القديمة (الستيريوتيب) فيما يتعلق بالشخصية العربية ، ظهرت من خلال بطل كتاب اليعزر شموئيلي : (رجال سفر التكوين) الذي صدر عام ١٩٣٣م ، ومنذ ذلك الحين تكررت طبعاته غير مرة. لقد قال شموئيلي على كتابه هذا : شعرت شعوراً عميقاً ، أن من واجبي أن أقدم للطفل اليهودي ، قصة صهيونية ، من شأنها أن تشجع روحه وتقوي نفسه وتقربه الى القرية ، وتظهر له الجمال والبطولة في حياة الفلاح العبري (القديم)(١).

ونوردفي الآتي دراسة احصائية للكتب التي اعتمدت على الآراء القديمة (الستيريوتيب) في رسم ملامح الشخصية العربية من كتب ادب الاطفال العبري ، الى جانب هذه الملامح.

لقد بلغ عدد الكتب التي برزت فيها الملامح الخارجية للشخصية العربية خمسمائة وعشرين كتاباً ، تضمنت عدداً كبيراً ، من الصفات المستندة للآراء القديمة ، وقد تكررت كل صفة في تلك الكتب مرات عديدة واليك البيان :

ـ تعميم الوصف الخارجي المنفر :	٥٧ مرة
ـ وصف ستيريوتيبي لا يظهر عليه أنه عربي	٢٦ مرة
ـ تعميم صفة أن العربي ذو ندبة(*) :	٩١ مرة
ـ أحول العينين :	٣٨ مرة
ـ وجه ذو جروح (مشطب) :	٤١ مرة

(١) انظر : المصدر السابق ، ص ٦٥.

(*) الندبة : اثر الجرح بعد أن يلتئم ، وتكون في اماكن مختلفة في الوجه أو اليد ، وهي صفة تنم عن أن اصحابها من وسط الاجرام.

ـ انف معقوف (مائل أو محن) : ٥٩ مرة
ـ وجه طير جارح : ٤٩ مرة
ـ وجه كدر ذو ملامح شريرة : ٧٧ مرة
ـ شارب مبروم : ١٣١ مرة
ـ شفاه ضخمة : ١٧ مرة
ـ وجه خشن : ٣٧ مرة
ـ ذو عاهة : ٤٧ مرة
ـ اسنان صفراء متعفنة : ٤٣ مرة
ـ عيون تبث الرعب : ٥٧ مرة
ـ وصف واقعي : ٨٨ مرة
ـ مجرد ذكر العربي : ٢٢٠ مرة

وعليه ، فتكون حصيلة هذه الصفات (١٠٧٩) صفة (ستيريوتيبية) ، و(٨٨) صفة و(٢٢٠) صفة ذكرت العربي مجرد ذكر(١).

لقد بات جلياً تماماً أن الآراء القديمة (الستيريوتيب) ، هي الاساس الاكثر انتشاراً في تحديد ملامح الشخصية العربية في كتب أدب الاطفال العبري ، وذلك كما أوضحت الاحصائية السابقة ، وسوف نقف على تحليل لبعض هذه الكتب في حدود ما يخدم الغرض الذي نقصد اليه ، فمن امثلة الكتب التي تتكرر فيها الاوصاف الستيريوتيبية التي صدرت بعد حرب عام ١٩٦٧م نذكر:

كتاب : «رجال سفر التكوين» لاليعزر شموئيلي والذي يقول فيه(٢):

لقد استغرقت عملية جمع مادة هذه القصة سنوات عديدة ، وذلك بأن أجرى الكاتب احاديث مطولة مع عشرات الطلائعيين (الذين هاجروا الى البلاد وبنوا المستوطنات) ، فكان يلاحق حراس المستوطنات كظلالهم. اذ يقول : أنه وصف لباسهم واصغى الى احاديثهم وامضى اوقاتاً في بيوتهم ومزارعهم ، بل انضم اليهم في أعمال الحراسة. وبالفعل فقد ثبت ذلك من خلال دقة أقواله ونظرته الثاقبة الواضحة في كتابه ، من خلال نجاحه في وصف حياة عائلات الطلائعيين (رجال التكوين) ، وعلاقتهم بالعرب ، وذلك من خلال شخصية أبي نعمي (العربي) ، التي ظهرت في الكتاب وقد امتزجت تماماً بالاوصاف التي اطلقها الكاتب عليها ،

(١) انظر: אדיר כהן, פנים מכוערות במראה, עמ" 66.
(٢) انظر: אוריאל אופק, אינצרלופצי לספרות ילדים, עמ" 741.
وانظر: אדיר כהן, פנים מכוערות במראה, עמ" 65.

هذه الاوصاف عينها ، تعودوتتكرر في مئات الكتب من أدب الاطفال الى يومنا هذا ، الذي لا يرى كتاب القصص الآن ما كان في الماضي ، غير الصور الستيريوتيبية التي ترسخت حتى تأصلت في أنفسهم وما زالت مستمرة الى اليوم ، من مثل تلك الصور والاوصاف التي جعلها شموئيلي لشخصية العربي أبي نعمي ، الذي يظهره بصورة الفارس الذي يترجل من على ظهر حصانه بقفزة واحدة ، ذلك العربي قال عنه شموئيلي : أنه رجل يناهز الاربعين من عمره ، طويل القامة عريض المنكبين ، تشع عيناه بالغضب ، ووجه قاسي الملامح ، وجبينه ضيق ، وشارباه مفتولان الى أعلى كقرنين ، وانفه المعقوف أظهره بمظهر الطير الجارح الشرير. ولما كان هذا الكتاب قد طبع لمرات عديدة بلغت ما يزيد على الاثنتي عشرة طبعة ، يمكن القول : أنه من الكتب التي مارست تأثيراً فاعلا ومستمراً على الاطفال منذ صدوره أول مرة الى اليوم ، هذه من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فقد مارست التأثير نفسه على الكتاب الذين جاؤوا بعد شموئيلي كاتب هذا الكتاب ، الذي يعتبر مصدراً خصباً للاوصاف الستيريوتيبية للشخصية العربية مما ذكرنا بأنها انتشرت في مئات الكتب ومنها : العيون الغاضبة ، والوجه القاسي الملامح والجبين الضيق والشارب الطويل المفتول والانف المعقوف على صورة جوارح الطير .

وقد وردت هذه الصفات في كتاب لعوديد بيتسر(١) غير مرة ، اذ يلبسها الرجل العربي الذي يقوم بدور ايجابي تجاه المستوطنة ، فيصف عمله بايجابية ، غير أنه حين يتحدث عن شكله يحجم عن هذه الايجابية الى سلبية الصفات ، وذلك حين يعلن عن تلقي سكان المستوطنة المساعدة من سكان قرية (جبرات) العربية ، اذ يقدم سكان المستوطنة الدقيق للعرب ، فيرد اليهم خبزاً ، والرجل العربي الذي كان يحمل الخبز الى المستوطنة ، اسمه أبو لطيف ، وهو رجل مقبول ، ولكن ما هو شكله وما هي ملامحه؟! أنه يلبس كوفية بيضاء وعقالا اسود ، وله انف دقيق معقوف كمنقار النسر ، وشارباه دقيقان يزينان شفته العليا وفمه العريض ، كما أن ذقنه كذقن التيس شعرها مبعثر ، ثم أنه قصير القامة نحيف يرتدي عباءة حريرية ، وقد نظر الى من حوله نظرة خاطفة ثم انحنى كما يفعل الشرقيون وسلم ووضع يديه على صدره . فماذا يمكن أن يقال من نقد لهذا التناقض العجيب في رسم شخصية هذا الرجل العربي الذي يقوم بعمل مساعدة لسكان المستوطنة؟!

وفي موضع آخر نرى من الكتاب صفات أخرى سلبية لشخصية العربي ، وذلك حين يصف الكاتب ثلاثة فرسان من قبيلة معادية : الفارس الاسمر الذي الهب خيال الكاتب رغم بعده ، غير أنه يظهر فيما بعد ، على أنه غلام له وجه صبوح ، أما صاحبه ـ فارس آخر ـ فله ندبة

(١) انظر: עודד בצר, נאלא לדכוך של הדשו, עמ" 15.

قبحت جبينه الاسمر ، اذ أن له وجه يذكر بطير جارح ، أما عيناه الصغيرتان فكانت تنطلق منهما نظرات شرسة(١).

لقد أثرت الصفات السلبية للشخصية العربية مما ذكره شموئيلي في الكتاب بالذين جاءوا بعده وتتبعوا خطاه ، كما مر ، ومن ذلك أن ذوي الندب من العرب تكرر ظهورهم من بعد كما في كتاب : (ليس في طريق الملك) ، الذي يعرض شخصية عربية باسم (أبو نمر) الذي شوهت وجهه ندبة عميقة تمتد من أذنه اليمنى الى أنفه. ومثله شخصية عربية أخرى هو سعيد حمد الله ، الذي له عينان متأججتان وانف كمنقار النسر وذقن مبعثرة الشعر كذقن التيس ، وغيرهما كعبد اللطيف وأبيه ، فكل هؤلاء قصار القامة نبت من ذقونهم شعر مبعثر كذنب التيس(٢).

وبمثل ذلك وصف يتسحاق بن نير العربي ، حين راح يسرد قصة حول أيام التوتر بين العرب واليهود عام ١٩٤٧م عندما كانت العلاقات بين الطرفين على وشك الانفجار ، حين كان القتال واشعال النيران في الحقول من الامور السائدة ، من خلال سرده للاحداث ، نلاحظ أن هذا الكاتب هو الآخر ، لم يستطع أن يتخلى عن الوصف الستيريوتيبي للشخصية العربية ، سواء في وصفه للعربي الذي يشعل النيران ، أم ذلك الذي يتسلل من سوريا ، يوصف كل بأنه ذو ندبة اعترضت صفحة وجهه اليمنى ، حتى عرف في اوساط الفتيان بلقب «صاحب الندبة» أو «أبو الندبة» ، أما عينا هذا الرجل ذي الندبة والشاربين ، فكانتا دائماً براقتين متوهجتين(٣).

و يعلق ادير كوهن(٤) على هذه النماذج : ها هو الثالوث المعتاد في وصف العربي ، العيون البراقة والشاربان والندبة ، ولا يكتمل الوصف اذا لم تضف الى ذلك صفة الاسنان الصفراء ، فعيناه براقتان ، وابتسامته تسفر عن اسنان صفراء.

إن العيون التي تنشر الرعب في مجموعات كتب ادب الاطفال العبري. كما أن المقاتل الذي يهدد ابناء البلدة القديمة في كتاب حاييم اليآب : «أولاد البلدة القديمة وحربهم ضد المتسللين» ، يبدو بعينيه البراقتين اللتين تحدقان وهما تتعطشان لسفك الدماء ، وكذلك فقد راح هذا العربي يضحك و يوزع نظرات مثيرة للاشمئزاز ، وعندما اقترب الاولاد (اليهود) قفز هذا المقاتل ، وبدأ يضربهم بمؤخر بندقيته وهو يصرخ : يا أبناء الكلبة سأفصل رؤوسكم عن أجسادكم(٥).

(١) انظر: المصدر نفسه ص" 184.
(٢) انظر: עודד בצר, לא בדרך המלך, עמ" 64.
(٣) انظر: יצחק בן-ניר, בערבות מ בעיר השדות, עמ" 25,24.
(٤) انظر: אדיר כהן, פנים מכוערות במראה עמ" 67.
(٥) انظر: חיים אליאב, ילדי העיר העתיקה ומלחמתם במסתללים, עמ" 14,11.

وهكذا فان العيون التي تبث الرعب ، تخيف كذلك حنه وشوشانا بطلتي قصة «المحققون الشباب في عملية سيناء» للكاتب افنير كرميلي ، تلكما البطلتان اللتان اختطفتا وجعلتا في صندوق ، وفجأة فتح الصندوق لتشاهدا على ضوء المصباح الكهربائي القوي ، عيوناً تنظر اليهن بحقد وكراهية ، وكانت العيون في وجوه متلونة متكدرة متعطشة للانتقام(١).

لعلنا نكتفي بهذا القدر من الامثلة من نماذج كتب الاطفال وقصص الاطفال العبري ، مما يرسم ملامح الشخصية العربية ، رسماً سلبياً غاية في التقيد بالنهج الستيريوتيبي الهادف الى الحرص على اثارة الرعب وتعميق الكراهية ، في نفسيات الاطفال اليهود ، لينشأوا وتنشأ معهم هذه الاحاسيس نحوالعرب ، فكيف يمكن أن يستقيم الحديث عن السلام وعن التعايش السلمي بين الشعبين ، مما نستمع اليه اليوم ، واليوم بالذات ، مما لا شك في أنه من التشدق بالكلام المفرغ من حقائق معانيه ، بل أنه من سقط القول الذي ما أن يخرج من افواه قائليه حتى يذهب ادراج الرياح ، وإن كان لا بد من حل لهذه المعضلة ، فانه يكمن في ضرورة تحول جيل الكتاب اليهود المعاصرين ، الى كتابة عدد من الكتب الايجابية في حق العرب ، بقدر تلك الكتب السلبية بحقهم إن لم تزد ، مع استغراق زمن قد يزيد على الزمن الذي سادت فيه الكتب السلبية ، ولا اقصد بهذا القول عنتاً قد اتهم معه بأنني انشد المستحيل أو اكون كمن يضرب في الخيال ، بل أنني اصرح بهذا القول من روح الصدق الخالص قاصداً التشديد على صدق النوايا وصحة العزائم إن توفرت في اوساط اليهود اليوم ، مما أثق بوجوده ولكن بنور خافت لا يقوى على شق طريقه بين الضباب الكثيف بعد ، فيظهر ، ضباب مخلفات السنين الحالكة من تاريخ أرى أنه رسم للشعبين دون أن يستشارافي مساره أو يشاركا في التخطيط له.

(١) انظر: אבנר כרמלי, הבלשים הצעירים במבצע סיני, עמ" 36.

المبحث الرابع

(الخوف من المواجهة واللقاء في حالي السلم والحرب)

لا شك في أن الشعور بالخوف يعتبر من أهم الجوانب اظلاماً وحساسية في النفس البشرية ، ولعل هذا الشعور الذي واكب حياة الانسان منذ وجد على هذه الارض كان دافعاً مهما له لأن يتخذ الكثير من المواقف أو يمارس الكثير من الممارسات التي كان لها بالغ الأثر في توجيه حياته ، دون علم أو تخطيط مسبق ، وربما كان خوف الانسان من المجهول هو السبب في رفعة أو هلاك الانسان اثر عمله تجاه ذلك المجهول ، بحيث تتحكم الصدفة والنتيجة العشوائية لاعمال يأتيها الانسان حيال أمر أو ظاهرة واجهته لم يفهمها ولم يعرف كنهها ، وكان عليه أن يتصرف ، بل إن فكرة التدين والعبادة كانت في الاصل وليدة الخوف من المجهول ، ولقد حدثتنا عشرات الكتب من تلك التي تناولت هذه المسائل من ذات الاختصاص بعلوم الانسان (الانثروبولوجيا) والاديان ، بهذا الامر.

لقد سبقت الاشارة الى الكثير من كتاب ادب الاطفال العبري ، كتبوا عن الشخصية العربية ، دون أن يلقوا عربياً واحداً ، بمعنى أن هذه الشخصية ومن جميع جوانبها كانت من المجهول لدى اولئك الكتاب ، ولقد اعترف النقاد اليهود بذلك كما ذكرنا ، مما أخضع اولئك الكتاب في حديثهم على الشخصية العربية خضوعاً تاماً لما ترسب في أذهانهم من الآراء القديمة (الستيريوتيب) ،فكان ما رأينا وما سنرى من المواقف السلبية لهؤلاء الكتاب من العربي في كتبهم التي نقلوا من خلالها رواسبهم الى النشء اليهودي على اسوأ ما تكون الصورة من السلبية.

إن هذا الامر في حد ذاته ، والذي كانت فيه الشخصية العربية من المجهول لدى الكتاب اليهود ، ذلك المجهول الذي يثير الرعب والخوف سلفاً ، بحيث اذا حدث اللقاء بين الطرفين ، سواء أكان بموعد مسبق أم بمحض الصدفة ،لا بد أن يتحكم الشعور بالخوف من المجهول

تحكماً تاماً بمسار اللقاء ومجرياته ، وذلك بأن يترجم باديء ذي بدء بالنظرة التي يشوبها الشك والريبة ، مما يخضع اللقاء كله الى سير العفوية وجهل الطرف المقصود بمشاعر الطرف الآخر الخائف ، فبقدر ما تنجح عفويته في التصرف بلباقة ، بقدر ما يؤدي ذلك الى نجاح اللقاء ، ولعل هذا القول الذي أقوله هنا ، هو في حد ذاته من الاهداف الرئيسة لبحثنا هذا برمته ، فضلا عن الفائدة التي نأمل في أن يجنيها العربي حين يقرأ هذه الدراسة ، فيعلم لدى لقائه بيهودي ولو مصادفة واتفاقاً أن ذلك اليهودي يجهل شخصيته ، وبالتالي يخافه مما يجعله ينظر اليه بعين من الريبة والشك ، هذا من جانب ، وأما من الجانب الآخر ، فنأمل في أن نقدم فائدة لليهودي اذا ما قرأ هذه الدراسة ، مفادها أن نعرف بالعربي ولو من خلال بعض الجوانب الايجابية التي ابرزها بعض الكتاب اليهود للشخصية العربية ، فيقبل هذا اليهودي على لقاء العربي من غير خوف ولا نظرة ريبة أو شك ، فيمنح لنفسه ولنظيره العربي فرصة من اللقاء الطبيعي دون خلفية مسبقة ، ليخضع نتيجة هذا اللقاء الى الامتحان الفردي ، دون التعميم في النظرة السلبية كانت أم ايجابية.

ومن بعد فندخل الى الحديث عن ظاهرة خوف اليهود من العربي بدءاً باللقاء وما يتبعه من صور الاحتكاك المختلفة ، حتى المواجهة العسكرية ، حسب ما جاء في كتب الاطفال العبري ، لعل نصل الى بيان درجة الصواب والخطأ فيما قرر كتاب هذه الكتب في ثنايا كتبهم ، ليمكن في النهاية اصدار الحكم على كنه وابعاد ما قرروا وما صدروا عنه فيما قالوا ، ليس لدى الوسط العربي فحسب ، بل ولدى الوسط اليهودي ، وكل بهذا الصدد سواء في رأينا.

عند اللقاء بين اليهودي والعربي ، يكون شعور بالغرابة ومخاوف ترتكز على اساس وأخرى لا ترتكز على اساس ، ويختلط ذلك برغبة في الاقتراب مشوبة بعدم الثقة وبالريبة ، ذلك ما ينشر في كتب الادب العبري ، وكتب أدب الاطفال على وجه الخصوص.

ففي احدى القصص يكون القاص في رحلة على مقربة من نهر الليطاني – في جنوب لبنان – وفجأة يهطل مطر غزير ، فيصل الى بيت رجل درزي وشعوره مختلط مشوب بالحذر ، فيصف الكاتب ذلك بالقول : «ستنام هنا هذه الليلة يا خواجه ، هذا ما قال صاحب البيت عندما لاحظ علامات الخوف بادية في وجهي ، وتابع الرجل : وغداً ستعود الى مستوطنتك – إن شاء الله – لا تخف واضاف وهو يضحك : نحن لن نذبحك ، الدروز لا يأكلون لحم إنسان...»(١).

(١) انظر: אליעזר שמואלי, אור בגליל, עמ" 52.

كما هو واضح من هذا النص ، فان مشاعر الخوف تبدو واضحة عندما يقوم عربي بمساعدة يهودي وانقاذه وهكذا...

في قصة أخرى ، نقف على حكاية اولاد من اليهود يتجولون في النقب بين البدو و يصادفهم شاب اسمه احمد ، فيصطحبهم الى مساكن قبيلته ولنستمع للنص : «... ربما وقعنا في المصيدة ، وربما نكون قد تجاوزنا حدود اسرائيل ، بل ربما نقلنا أحمد الى ما وراء الحدود ، الى حدود العدو..»(١) وفيما بعد يتضح أن كل هذه المخاوف غير صحيحة ، وذلك حسب تتابع احداث القصة.

وقصة أخرى تروي حكاية فتى يهودي يخرج من البلدة القديمة في القدس ، ليصل الى والده الذي كان من مؤسسي مستوطنة بتاح تكفا(*) ، وفي الطريق يصادف بدو ياً يركبه على جمله ، وفجأة يبدأ شعور الفتى بالخوف و يهجس في نفسه : «... ربما خدعني الاسماعيليون(*) ، فربما في قلوبهم نوايا سيئة ، لقد وجدوا فتى يهودياً ضائعاً ، فكان في نظرهم اسير حرب ... وربما سيأخذونني الى مصر فيبيعونني هناك كعبد رقيق كما فعلوا ذات مرة بيوسف..»(٢).

واضح تماماً تأثر الكاتب بالآراء المسبقة (الستيريوتيب) من خلال هذا النموذج الذي سرده على لسان هذا الفتى اليهودي حين تلقى مساعدة من عربي يجهله ، فتبادرت الى ذهنه حادثة بيع يوسف عليه السلام ، في مصر من قبل العرب حسب ما جاءت في العهد القديم وتذكرها في هذا المقام كدليل على ما ذهبنا اليه : «... فذهب يوسف وراء أخوته فوجدهم في دوثان. فلما ابصروه من بعيد قبلما اقترب اليهم احتالوا اليه ليميتوه. فقال بعضهم لبعض هوذا صاحب الاحلام قادم. فالآن هلم نقتله ونطرحه في احدى الآبار ونقول وحش رديء أكله ، فنرى ماذا تكون أحلامه. فسمع رأوبين وانقذه من ايديهم وقال لا نقتله. وقال لهم رأوبين لا تسفكوا دماً. اطرحوه في هذه البئر التي في البرية ولا تمدوا اليه يداً. لكي ينقذه من ايديهم ليرده الى أبيه. فكان لما جاء يوسف الى اخوته أنهم خلعوا عن يوسف قميصه القميص الملون الذي عليه. وأخذوه وطرحوه في البئر وأما البئر فكانت فارغة ليس فيها ماء. ثم جلسوا ليأكلوا طعاماً. فرفعوا عيونهم ونظروا واذا قافلة اسماعيليين مقبلة من جلعاد وجمالهم حاملة كثيراء و بلساناً

(١) انظر: גרעין, הקדלים יורד דרומה, עמ" 31.

(*)مستوطنة بتاح تكفا : تقع بالقرب من تل أبيب على انقاض قرية عربية اسمها (ملبس) وتعتبر من اوائل المستوطنات في البلاد ولذلك سميت بهذا الاسم الذي يعني بالعربية : مفتاح الأمل.

(*)الاسماعيليون : من الرموز الدالة على العرب حسب نصوص العهد القديم وقد ذكرنا ذلك في المقدمة.

(٢) انظر: משה סמילנסקי, על הוץ הירקון, עמ" 46.

ولاذنا ذاهبين بها الى مصر. فقال يهوذا لاخوته ما الفائدة أن نقتل أخانا ونخفي دمه. **تعالوا نبيعه للاسماعيليين** ولا تكن ايدينا عليه لأنه أخونا ولحمنا فسمع له اخوته. واجتاز رجال مديانيون تجار فسحبوا يوسف واصعدوه من البئر و باعوا يوسف للاسماعيليين بعشرين من الفضة فأتوا بيوسف الى مصر. ورجع رأوبين الى البئر واذا يوسف ليس في البئر فمزق ثيابه. ثم رجع الى أخوته وقال الولد ليس موجوداً وأنا الى أين أذهب»(١).

إن المطلع في هذا النص انما يقف على حقيقة مذهلة مفادها أن التوجيه الستيرتيبي الذي استمعنا اليه في الحكاية على لسان الفتى ، كان مغالطاً لما ورد في نص العهد القديم المذكور ، لانه اغفل حادث تآمر أخوة يوسف عليه لقتله ، بل القاءه في البئر ليواجه مصير الرق ، ثم تجاهل ما قاله أخوه يهوذا من الدعوة الى بيعه للاسماعيليين ، هذه المهمة التي اعفاهم منها المديانيون ، فهل هذه الصورة السلبية لحادثة يوسف عليه السلام جدير بها العرب أم أخوة يوسف انفسهم ونقول : أن الاسماعيليين العرب اشتروا يوسف كبضاعة من تجار آخرين هم المديانيون ، على غير علم منهم بشخصية يوسف الذي كان قد القى به أخوته في البئر ، فعذرهم واضح في شرائه و بيعه ، مما لا يمكن القاء تبعته على عاتقهم ، بل أن التبعة تقع على من فرط بأخيه وهم بقتلة بل الخلاص منه بشتى الوسائل وذلك لانه رأى رؤيا تميزه على أخوته مفادها ، أنه رأى احد عشر كوكباً كرمز لاخوته الاسباط والشمس والقمر كرمز لوالديه ساجدين له ، فمن هو الطرف الجدير بالظهور بمظهر سيء بعد هذا.

لعلنا بهذا التحليل نضرب مثلا للتوجيه السلبي لما ورد في الحوادث والافكار في النصوص الدينية الاسرائيلية ، وترسيخ هذا التوجيه في انفس النشء اليهودي ضد العرب. وهكذا فنواصل سرد الامثلة لهذا القصص في هذا المبحث.

يصادق الفتى اليهودي الفتى البدوي أحمد في أحدى القصص و يحدث ما وصفه : «... دافيد شعر الآن بأقل راحة مما كان عليه شعوره قبل لحظات ، لقد تكلم العربية اذ كانت له علاقة مع فتية عرب في المغرب ، ولكنه يعيش الآن في النقب منذ زمن طو يل ، ثم أنه يعرف مدى خطورة أن يصادق عربياً هنا ، كما أن الفتية في المستوطنة تحادثوا فيما بينهم حول مدى الخطورة في ابتعادهم عن المستوطنة ، وتحدثوا أيضاً عن سياح لم يكونوا حذرين ، فأخذوا كأسرى الى ما وراء الحدود...»(٢).

(١) سفر التكو ين : ١٧ ـ ٣٧/٣٠.

(٢) انظر: קרה פדר, הוה נעשה שלום, עמ" 17,16.

يقول الكاتب والناقد اليهودي مناحيم ريجف على هذه النماذج السابقة : هناك ميزتان مشتركتان لما ورد في هذه القصص السابقة ، الاولى : إن الحال السائدة ليست حال حرب ، ورغم ذلك فالشعور بالتوتر والخوف ما زال قائماً في نفسيات الفتيان اليهود من العرب ولقائهم. أما الثانية : الشعور الذي يذكر بفحوى اللقاءات مع الاجانب ما زال سائداً في قصص المهجر ، وعند اللقاء بعربي يشعر اليهودي إن جذوره ليست عميقة كما يشعر العربي بعمق جذوره(١).

و يواصل ريجف القول : إن اسباب عدم الاتياح لدى اليهودي في عدم معرفة اللغة التي تربط بين الشعبين ، ففضلا عن عدم معرفة العادات الخاصة بالعرب ، هذا الى جانب أن ذوي الاطفال والفتية اليهود أنفسهم يسهمون بدورهم في خلق الشعور بعدم ارتياح هؤلاء الاولاد ، ففي قصص كثيرة نلاحظ نشأة عدم الشعور بالارتياح ناتجة عن تلون الاهل وعدم استقامتهم وتقديراتهم غير الصحيحة. وهذا له علاقة بالسؤال العام القديم المتجدد : ما هي وجهة نظر اليهود بالنسبة للعرب ، ففتية يهود يتقابلون مع فتية عرب و يصادقونهم ، وفجأة يأتي رجل بالغ (وهو الشخصية السلبية في القصة العبرية) و يقول : «إن العرب كلهم انما هم اناس سيئون ، و يجب طردهم ، بل يجب قتلهم». و يأتي رد فعل الفتى اليهودي ، فيقول : «فكرت في ذهني ، كيف يمكن التلفظ بهذا الاسلوب؟ اليس هذا من الامور السيئة؟ بل ألا يوجد بين العرب كما هو الامر بالنسبة لليهود من هم اناس طيبون وودودون؟ لماذا فقط تبث فينا مشاعر الكراهية؟ أنها اكاذيب ، لماذا لا نتكلم إلا في الطرد والقتل والدمار ، لقد كان واضحاً لي أن الغريب انما هو انسان شرير ومنحط...»(٢).

وفي قصة أخرى يتجلى تدخل الكبار بصورة أكثر سلبية وقسوة ، اذ يحاول شاب يهودي يسكن في احدى المستوطنات ، أن يقيم علاقة مع شاب عربي من قرية مجاورة ، و يحدث هذا الحوار بينه وبين أبيه : «.... وفي احدى المرات سأل أفنير (البطل) : صحيح يا أبي أن كل العرب لصوص؟ من قال لك رد الاب باستهجان ، وواصل قوله : يجب ألا تتكلم بهذا الاسلوب ، فعندما يدخل عرب عليك في الغرفة ، عليك أن تنتبه لكي لا يسرق منها شيء. ورد الابن : أنت تقول لي أن انتبه دائماً ، واذا دخل يهودي فأنت لا تخاف أن يسرق شيئاً. فصار الاب في وضع حرج وقال : يوجد اصناف من العرب ، فبينهم لصوص بحيث لا يمكن التفريق بين من هو لص ومن هو ليس كذلك..»(٣).

(١) انظر: מנחם רגב, בדרכי הספרות לילדים, עמ" 119.
(٢) انظر: פנחס, הגנב למטמון הזהב של שמונקין הזקן, עמ" 144.
(٣) انظر: יוסי מרגליח, אש בחורשה, עמ" 14.

يقول الناقد اليهودي رأيه بهذا الصدد مما لا يجعل لنا مجالا للقول ، حيال هذا الامر : نتجت حلقة مغلقة مفادها : إن ازالة الغرابة واقامة الجسر بين الطرفين ــ من العرب واليهود ــ أن تحدث من قبل الفتيان من الشعبين وليس من قبل الكبار ، ولكن اذا قام الكبار ــ اليهود ــ بتربية الاطفال على الشدة وعدم الثقة ، فكيف سيتمكن هؤلاء الاطفال من التغيير؟! وعليه فهل بمقدور الاطفال والفتيان أن يتحرروا من هذا التأثير ، بحيث يرون في الفتى العربي جاراً من الممكن العيش معه؟!(١).

لعل ما سقناه من أمثلة على الشعور بالخوف من العربي لدى اليهودي كما تصوره قصص الاطفال العبري ، تبرز جانباً مهماً من المشكلة ، بحيث نقف على حد فارق بين اتجاهين متناقضين هما : اتجاه الصغار اذا اتيحت لهم الفرصة في خلو من الذهن في نظرتهم الى العرب ، واخالهم سوف يكونون ايجابيين تجاه العرب عموماً ، وهذا مقال الكبار الذين تأصلت في انفسهم آراء مسبقة (الستيريوتيب) من شعور الخوف من العربي الذي تأصلت صورته بسلبيات متنوعة من نفسياتهم ، فهؤلاء الكبار اذا تدخلوا في توجيه الصغار من منطلق هذه الخلفية السلبية ، عندها تكمن الكارثة ، لذلك فعلى المخلصين من أبناء اليهود بخاصة وكذلك العرب ، أن يبذلوا جهوداً مضاعفة للحد من تدخل هؤلاء الكبار لكي لا يتدخلو تدخلا سلبياً في توجيه الصغار على هذا الصعيد أولا،وثانياً بذل الجهود لتخليص هؤلاء الكبار مما يشعرون به من سلبيات الشعور بالخوف من العرب ، إن ترسخت القناعة بأن لا مفر من الاتصال بين أفراد الشعبين ، داخل الاوضاع الراهنة في هذه البلاد أو خارجها.

إن الشعور بالخوف المؤدي الى النظرة المشوبه بالريبة والشك ، تعتبر بمثابة السكين الحاد الذي لا بد أنه قاطع لأية عروة من عرى الاتصال الايجابي الممكن أن يحدث بين الشعبين افراداً أو جماعات وعلى جميع الاصعدة وفي مختلف الميادين.

فيما مضى من الحديث بينا أن الشعور بالخوف من العربي قد انتشر بين اوساط اليهود صغاراً وكباراً في حال السلم وعلى مختلف المستويات ، ذلك الشعور بالخوف الذي يبرز في اسوأ صوره في المجال العسكري ، حين يرتبط قتال الجندي الاسرائيلي للجندي العربي بمشاعر الخوف المتأصل في النفس على صعيدين ؛ صعيد عسكري شخصي يمس خلجات نفس الجندي في خضم القتال ، وصعيد شعبي عام ، يمس شغاف قلوب افراد الشعب اليهودي كافة من جهة خوفهم على مصير شعبهم وكيانهم من التهديد العربي المستمر ، مما ترك في أنفسهم شعوراً عاماً

(١) انظر: מנחם רגב, בדרכי הספרות לילדים, עמ" 120,119.

بضرورة الاستعداد المستمر للقتال ، بل الرغبة المستمرة في شن الحرب ضد العرب وهذا تطلب اجراءات مساندة لهذه الرغبة ، أهمها ابراز العربي دائماً في صور سلبية كمقاتل،للتقليل من شأنه العسكري ، في محاولة للتخفيف من الشعور بالخوف من ذاك العربي في ميدان القتال ، وهذا الامر ينطبق على العرب من أفراد الجيوش النظامية ، أما المقاتلون الفلسطينيون ، فالامر يختلف بالنسبة لهم الى درجة معينة ، مما دفع بنا الى افراد مبحث خاص بهم فيما يتعلق بهذا الامر. وعليه ، فسوف يكون حديثنا في الآتي مقتصراً على الشعور بالخوف في المجال العسكري بخاصة ، والعربي العسكري عموماً في حال الحرب.

إن البحث حول شخصية العربي في أدب الاطفال العبري لم يكن كافياً ، اذ لم تجر دراسة حتى الآن لابراز صورة العرب كمقاتلين كما وردت في هذا الادب ، فمن خلال مجموعة لا بأس بها من الكتب التي تعرضت للعرب ، تلح الحاجة بشكل مباشر أو غير مباشر للوقوف على شخصية العرب كجنود أو كرجال مغاوير ، وذلك من خلال اشتراكهم في أي من الحروب التي نشبت بين العرب واليهود ، بدءاً بحرب عام ١٩٤٨م وما يليها ، فمن خلال البحث بدا وصول البعد التقليدي من الآراء القديمة (الستيريوتيب) الى القمة ، فظاهرة انكار الصفات الانسانية لدى العرب تبدو منتشرة في هذا الادب ، فضلا عن تعابير الاستهزاء والاحتقار القاسية ، والصفات المتطرفة المشحونة بظلال الرعب واثارة مشاعر الخوف بفعل العبارات التي توحي بمعاني الاجرام والقسوة وعبارات الاذلال والسخرية ، كما أن هذه التعبيرات عن هذه الصفات السلبية ، تبدو وكأنها استغلت في محاولة تخفيف حدة الشعور بالخوف المتأصل في النفوس من رغبة العدو العربي في القاء اليهود الى البحر.

وعليه ، فكلما كان الخوف أكبر و يستمر لفترات أطول ، كلما كانت الحاجة اكثر الحاحاً لنفي الصفات الانسانية عن العرب في حال الحرب تماماً كما كان الأمر في حال السلام. وهذا ما قاله النقاد اليهود حيال هذه المسألة ومنهم تسفي لام اذ قال : «إن الخوف مستشار غير مؤتمن ، و يسوء اكثر واكثر عندما ينحدر و يستغل للتقليل من قيمة شخصية العدو»(١).

وعن التحليل النفسي لتأثير الخوف على الانسان في رد الفعل تجاه الطرف الآخر ، تحدث ادير كوهين(٢) بقول مفاده : إن الانسان الواعي يعترف بينه و بين نفسه بمخاوفه ، وعندما

(١) انظر: אדיר כהן, פנים מכוערות במראה, עמ" 139 .
(٢) انظر: المصدر السابق ،

يفعل ذلك ، تصبح لديه القدرة على تقويم شخصية العدو بشكل ادق ، لأن الخوف الذي لا يمكن انكار وجوده ، يؤثر على تقدير الانسان بقدر أقل من تأثير الخوف الذي لا يعترف بوجوده ، اذ أن فقدان المقدرة على الاعتراف بالخوف من الخصم ووجود ذلك الخوف،بل ومحاولة التغلب عليه باحتقار العدو ، كل هذا يؤدي الى تقدير خاطىء لوضع العدو. هذا الامر الذي شاع في أدب الاطفال العبري ، الذي اعتمد في كم كبير منه على نفي الصفات الانسانية عن العرب وعلى احتقارهم ونظرة الاستعلاء اليهودية ، وعلى تصو ير جماعات من الفتيان اليهود كأبطال لا يقهرون ، بحيث تستطيع مجموعة صغيرة منهم السيطرة على فرق والو ية عسكرية بل تستطيع التغلب على جيوش بكاملها وافشال الخطط وتدمير مراكز قيادات العدو ، والتغلب على جماعات الفدائيين. فمن خلال وصف هذا الادب للمقاتلين العرب على أنهم قليلو الكفاءة ولا يطيعون الاوامر ، وكذلك بأنهم جبناء يسارعون الى الهرب ، وأنهم اغبياء لا يعرفون الحذر ، وأنهم ما أسرع ما يستسلمون ، كل هذا ادى الى تخدير الحس الواقعي بالحرب ، ولهذا فان الكتب الخاصة بهذا الادب ، والتي صدرت تعالج حرب عام ١٩٧٣م قليلة بالقياس الى الحروب الاخرى ، وذلك لما نعرفه من قلب هذه الحرب لموازين كانت في الحروب السابقة.

و يعترف الباحث اليهودي بأن الشعب الاسرائيلي وقع تحت تأثير التخدير على أيدي زعمائه ذوي الخطب المفوهة ، حين نسجوا صورة المقاتل الاسرائيلي كبطل لا يقهر ، والذي هزم كل الجيوش العربية في اسبوع واحد ، ذلك المقاتل الذي دمر جميع الطائرات العربية خلال ساعات معدودة ، والذي وضع حداً لكل مظاهر المقاومة في لمح البصر ، خلال حرب عام ١٩٦٧م ، التي كانت بمثابة سم التخدير النفسي ، الذي نمى الشعور بالثقة في النفسية الاسرائيلية ، مما ادى زيادة الشعور بالاستعلاء نظير انحطاط العرب ، هذه الامور التي وجدت لها صدى واسع الانتشار في أدب الاطفال العبري(١).

وهكذا يتجسد الشعور العام نحو العرب من خلال اقوال ابطال كتاب : «الرياضيون الشباب يعودون» للكاتب افنير كرميلي ، ومنها : «هذا هو هدف العدو في الماضي والحاضر ، والذي ينصب على ابادتنا من على خريطة العالم بأية وسيلة ممكنة مهما كانت»(٢). فالخوف العام يتزايد و يتغذى من زيادة الخوف الشخصي ، من خلال التجارب القاسية التي مر بها ابطال هذه الكتب ، فمن هؤلاء الابطال نرى (روبي) أحد شخصيات قصة دبوره عامر : «خلف الشارع

(١) انظر: المصدر السابق، עמ" 140 .
(٢) انظر: אבנר כרמלי, הספורטאים הצעירים שבים, עמ" 10 .

أو جماعة مفقودة» ، نرى روبي يتألم لموت أبيه الذي قتل بفعل انفجار لغم وضعه العرب في الطريق المؤدي الى مقر عمله ، فبسبب هذه الكارثة ، تطارد روبي كوابيس مزعجة في الليل ، اذ يحلم في كل ليلة بعرب يحضرون لقتله ، لذا فهو يخاف العرب و يخشى أن يقتلوه ، فهم ليسوا من عالمه المحسوس ، غير أنهم يتجسدون في مظهر يخيفه و يطارده ، فهو عندما يركب الحافلة المتجهة الى مستوطنة (بن شيمن) ، وتمر به في مدينة اللد ، وتكون الحافلة محاطة بالعرب ، و ينظر من خلال النافذة الى الشارع الرئيس ، ينتابه الشعور الذي تعبر عنه هذه العبارة :"لقد رأى الرؤوس التي ارتفعت ، والأعين البراقة المعادية التي ارسلت نظراتها نحو الحافلة ، لقد شعر بالخوف من أن يحدث له ما حدث لابيه ، فالعربي يتعاظم كعدو خطر ، ذلك الشعور الذي تفاقم من خلال هذا الوصف ، حين سمع كلمات : يهود ، يهود صدرت بصوت مفعم بالكراهية ، والأيدي التي راحت تلقي الحجارة نحو الحافلة التي كانت تسير على مهل في الشارع المزدحم بالمارة. فقد رأى روبي من خلال كل ذلك بحراً زاخراً بالكراهية العمياء والعداء في جو مشحون بالتوتر"(١).

فالتعميم والاعلان بأن هدف العرب ابادة اليهود ومسح وجودهم من على خريطة العالم والقائهم الى البحر من جهة ، والتجربة الشخصية للابطال من اليهود وقت اصطدامهم بالناقمين من العرب من جهة أخرى ، يؤدي هذا كله الى تعاظم الشعور بالخوف ، الذي تأسس على واقع من الحياة ، ومن ثم تطور الى الدخول في الخيال المسحور ، ليلتقي بالخوف الذي يسكن في أعماق النفوس ، فضلا عن الصفات الوحشية المتطرفة التي وصف بها العرب بازدياد في كتب أدب الاطفال العبري وذلك ــ كما سبق واشرنا ــ حين تصور هذه الكتب اللقاء بين الفتى العربي والفتى اليهودي ، وقد وضع في اطار من الشعور بالخوف المسبق الذي اعتمد الى جانب ما اعتمد عليه اصلا ، على الآراء القديمة (الستيريوتيب) الذي ترسخ في نفس الفتى اليهودي ، يثير دائماً الشعور لدى ذلك الفتى بأن العربي قاتل ومتسلل وسارق ومخرب ، مما يؤدى الى نتيجة حتمية فحواها ، أن الخوف ينبع من مجرد كون الملتقي بالفتى اليهودي شخص عربي معاد تجب مقاتلته ، فهو مجرد عدو دون تحديد لاسمه أو شخصه ، بل أنه عدو مجهول الهوية يجب قتله(٢). ونقف على شيء من هذا من خلال كتاب : «هرب من البيت»

(١) انظر: דבורה עומר, מעבר לכביש, עמ" 20,19.
(٢) انظر: אדיר כהן, פנים מכוערות במראה, עמ" 140.

للكاتبة القصصية تسيفيه شالوم ، التي تصف اصطدام «عيران» ــ الفتى اليهودي ــ الذي هرب من بيته بعربي عجوز ، عندها يتسمر عيران في مكانه كالصخرة قائلا في نفسه : عربي!؟ ربما متسلل أو لص ، أنه يستطيع قتله ، بل بالفعل سيقتله هنا في الحقل ، حيث لا يوجد أحد... عليه أن يهرب أو يصرخ..»(١).

ومثل ما سبق من الصفات ، تعم صفات العرب في كتب ادب الاطفال ، على أنهم مقاتلون جبناء غلاظ القلوب لا خلاق لهم ، فهم متعطشون للدماء متسلطون منافقون ، مترددون في أخذ المبادرة يسارعون في الهرب ، بحيث يهاجمون مواطنين آمنين لا يملكون ما يدافعون به عن انفسهم من النساء والاطفال ، أما في ميدان القتال الحقيقي فيسارعون الى الفرار ، فكل هذه الصفات التي تطلق على العرب ، تبدو صفات سطحية تعتمد في الغالب على الآراء القديمة (الستيريوتيب)(٢) ، مما يندر معه أن تحظى الشخصية العربية بالتحليل والوصف العميق ، مما لا يثير الاستغراب وصف العرب بالجبن ، حين يتمكن فتى يهودي صغير من التغلب على ملوك ورؤساء ما دامت جيوشهم مهلهلة ، فجموعهم ممزقة وجيوشهم جبانة ، ومثل هذا قال فيه افنير كرميلي : إن الساحة الفسيحة التي وقف فيها آلاف من رجال المنظمة الانتحاريين ، هؤلاء الرجال الذين عرفوا بمجدهم و بطولاتهم الخارقة في البلدان العربية ، هم انفسهم عرفوا على أنهم ملعونون وجبناء واندال في اسرائيل .. يتجرأون فقط على مهاجمة مزارعين عزل من السلاح نهاراً ، وفي الليل يهاجمون أمهات واطفالا آمنين في فراشهم(٣).

وتعقد مقارنة غير مستقيمة في احدى القصص تتخذ مرتكزاً لها في الخيال ، هذه المقارنة التي يريد منها الكاتب ، أن يصل الى رسم رشخصية الفتى الاسرائيلي الخارق ، وذلك من خلال طرح السؤال التالي : من هم الجنود؟! العرب أم (دنيدين) الفتى الاسرائيلي الاسطوري؟! ، فاذا ماقيس الجنود العرب بصيق دنيدين المدعو (أفيجدور) الذي يبلغه دنيدن بمعلومات سرية ، يقوم أفيجدور اثرها بمهاجمة المصريين الذين حل عليهم رعب الموت فألقوا سلاحهم رافعين ايديهم ، وهم ينظرون مرتعدين الى البطل الذي لم يتردد في الاسراع اليهم بمفرده ، وحين تقوم دبابة مصرية بتهديده بالاسر يتوجه أفيجدور اليها و يسيطر عليها ، ثم يأسر القائد المصري(٤).

(١) انظر: דביה בן שלום, הוא ברח מן הבית, עמ" 45.
(٢) انظر: אדיר כהן, פנים מכוערות במראה, עמ" 150.
(٣) انظר: אבנר כרמלי, הבלשים הצעירים מתישבים בנגב, עמ" 97.
(٤) انظر: און שריג, דנידין במלחמת ששת הימים, עמ" 56.

وهكذا يصنع دنيدن العجائب ليس في البر فحسب ، بل وفي البحر أيضاً ، فقد كان في زورق مع اربعة من اصدقائه ، وتصادفهم غواصة مصرية متجهة نحوهم ، فيصوب المصريون مدافعهم الرشاشة نحو الزورق ، وعندها يبدأ دنيدن العمل ، فيلقي بالمصريين جنوداً وقادة الى البحر بما في ذلك الضباط الذين يرتدون البزات الانيقة بأوسمتهم الذهبية الجميلة ، هم الآخرون رمى بهم دنيدن الى الماء الواحد تلو الآخر ، حتى امتلأ البحر بأعداد كبيرة من المصريين الذين راحوا يتخبطون في الماء(١).

وفي حرب عام ١٩٦٧م ، قام من هم ببطولة دنيدن بتطهير البيوت من القناصة المصريين المتمركزين في تلك البيوت لاطلاق النار على القوات الاسرائيلية ، فواحد من أمثال دنيدن بمفرده ، يقتحم البيوت و يتغلب على أحد القناصة ، و يدب الرعب في نفوس القناصة الآخرين ، فيبادرون الى الاختباء والفرار بأنفسهم واسلحتهم(٢).

ومن هؤلاء الابطال الخارقين ، بطل (ملكه فيشكين) ، الذي ينضم الى الابطال اليهود الصغار الذين منهم (دوركه) ابن الخمسة عشر سنة ، والذي يقاتل في صفوف المدافعين عن مستوطنة في غور الاردن ، فعندما تقترب ثلاث دبابات من المستوطنة يتجه نحوها مسرعاً ، و يقذفها بقنبلة فتشتعل الدبابة الاولى و يتراجع المهاجمون(٣).

ومنهم أيضاً احدى شخصيات قصة : «في الاعالي» للكاتبة دبوره عومر ، واسم هذه الشخصية عاموس ،الذي يثير الاعجاب حين كلف بمهمة هو وصديق آخر في منطقة أبو رديس في طائرة داكوتا خلال حرب سيناء ، تمثلت المهمة في ايصال عتاد للفرقة التي كانت تؤدي واجبها هناك ، لكنهما حين وصلا تبين لهما أن الفرقة لم تحتل هذه المنطقة بعد ، وما زالت هناك فرقة مصرية بدأت تتقدم نحوهما ، وفجأة رفع افراد الفرقة المصرية اعلاماً بيضاء ، بل مناشف أو شراشف ... ، بعبارة أخرى ، فقد اعلنوا عن استسلامهم عندئذ لم يكن للبطلين خيار إلا الموافقة على استسلام افراد الفرقة ، ليتم لهما الاستيلاء على المطار واسر الفرقة(٤).

لا ندري الى أي اساس يستند كاتبو هذه القصص في رسم صور شخصيات قصصهم ، فمن خلال ما أوردنا من نماذج ، يتضح تماماً البعد الخيالي الخلاب الذي اعتمدت عليه بنية هذه الشخصيات ، مما يدفع بنا الى التساؤل : هل يخدع هؤلاء الكتاب انفسهم أم قراءهم من

(١) انظر: אהרן שריג, דנידין מפליג בים, עמ" 43.
(٢) انظر: " " , דנידין בשכ, עמ" 27.
(٣) انظر: מלכה פישקין, גבורינו הקטנים, עמ" 8.
(٤) انظر: דבורה עומר, על הגובה, עמ" 79.

الصغار والكبار على حد سواء؟ ، بل ما المصلحة في بث روح من الوهم في نفسيات ناشئة ابرياء ، يفترض أنهم يجب أن يربوا على ارضية من واقع الحياة وحقيقة الصراع الدائر بين العرب واليهود في هذه المنطقة. كما اننا نتصور أمانة الكاتب في نقل هذا الواقع الذي نشأ على حروب متواصلة ما نتج عن الواحدة منها إلا الاعداد لحرب تتلوها ، وفي كل واحدة منها الموت والقتل والدمار ، ولم يتحقق الهدف المنشود لأي من الاطراف في التخلص من كابوس الموت والعيش بأمان وسلام ، وهو الهدف المفترض من وراء أية حرب تنشب اصلا ، وكنا نود لو نقف على نتاج لكاتب اسرائيلي واحد ، تحدث فيه عن الحرب حديثاً يفيد بعدم جدواها لحسم الصراع ، ذلك الصراع الذي لم ولن تحسمه الحروب المتعاقبة ، ومما يزيد الطين بلة ، هو اتجاه بعض الكتاب الى الاعتزاز والفخر بنشوب هذه الحروب وسير المعارك فيها وسير ابطالها من اليهود ، بأسلوب يخلطون فيه بين الواقع والخيال مرة أخرى ، ونقف على نماذج من ذلك تباعاً.

يقول ادير كوهين(١) في مقدمة كتاب ؛ «انسان في الحرب»:اشرت الى أن الادب انما هو المرآة الواضحة للنفس ، فهو يظهر ما يجول فيها من انعكاسات للتجارب الواقعية ، وخلجات الشوق والفرح ونزعات التفكير ، ففي هذه المرآة يظهر صراعنا للتحرير والدفاع عن ارضنا والمحافظة على الوجود لضمان استمرار الحياة والبناء ، لهذا فاننا ننشد مرآة صادقة وليس زخرفة وتجميلا مفتعلا أو فخراً ذاتياً ، بل نريد كشفاً لوصف واقعي لما يميزنا عن غيرنا ، فنزين حربنا التي خضنا من أجل شعبنا ، فنرصعها بفسيفساء الاغاني والقصص مما يعبر عن حرب اسرائيل ووصف معاركها وتسجيل تجاربها ، فعشرات الكتب التي صدرت منذ حرب عام ١٩٦٧م ، تعالج وتصف وقائع من حرب اسرائيل ، وتبرز مواضيع ومشكلات تبدو من خلال قصص المعارك المختلفة مما نريد التعرف عليه ، ومن ثم التعرف على صورة العربي فيها ، مقابل صورة المقاتل الاسرائيلي ، فنرى ما اذا كان يوجد فيها وصف انساني أم أنها مجرد قصص فخر و بطولة! وهل تبرز في الحرب فكرة الكراهية وحب القتل وسفك الدماء؟ وهل يبرز الانسان في معترك هذه الحرب بانسانية ، أم أنه يبرز كانسان خارق اسطوري؟ وهل هذا القصص صادق وثابت ما م الامتحان التاريخي أم أنه قصص ينسج حكايات بطولية خيالية؟ وهل هذه الحرب هي حرب لا مفر منها بحيث يعقبها السلام المنشود وحسن الجوار المشترك ، أم أنها حرب كراهية وعداء تقوم على احتقار العدو ومحاربته الى الابد؟

(١) انظر: אדיר כהן, אדם במלחמה, עמ" 9.
وانظر: " " , פנים מכוערות במראה, עמ" 129.

إن هذا الحديث الذي صدر على لسان باحث يهودي ، يعتبر بحق حديثاً على قدر عظيم من الواقعية والوعي في نقد الادب العبري الحديث بعامة وذلك الذي يتعلق بأدب الحرب على وجه الخصوص ، وذلك بالنظر لما سنلاحظه من أن التساؤلات التي طرحها هذا الكاتب مما ذكرناه ، لقيت ردوداً سلبية في الغالب ومن ذلك :

كتاب جليلة رون ـ فدر :«موشيه ديان» بجزئيه الاول : «الفتى من نهلال» والثاني : «المقاتل من المرج» تبرز شخصية الانسان الذي تحمل جزءاً مهما من عبء الصراع الذي دار في السنوات التي سبقت قيام اسرائيل بدءاً بطفولته في العشرينات في (نهلال) ، ثم اشتراكه الفاعل في جميع حروب اسرائيل ضد العرب من حرب عام ١٩٤٨م الى حرب عام ١٩٧٣م.

تصرح الكاتبة في ثنايا كتابها ، بأنه رغم أن أبطال الكتاب قد نشأوا من الواقع ، وأن معظمهم ما زال على قيد الحياة ، فالكتاب لا يشكل سيرة شخصية لاحد منهم .

هذا على الرغم من أن الكتاب مفعم بروح الدعابة والهزل ، بحيث تختلط الحقيقة بالخيال ، تلك الحقيقة التي ترد غير كاملة ومجانبة للدقة ، مما جعل هذا الكتاب بعيداً عن أن يرقى الى مرتبة الانتاج الادبي الخيالي ، فهو مثال لكتاب محير بين ضروب الادب،فيه من الجفاف الفني . ما يمكن اعتباره مجرد منبر للادلاء بالمعلومات وسرد الوقائع ، وتسجيل سريع للحوادث يحاول ربطها وذكر المعلومات حولها على نهج كتب التاريخ ، ولكن باسلوب سطحي من حيث رسم الشخصيات ، أما من حيث الافكار الايدولوجية فهي تبدو سطحية هي الأخرى ، ومما يتضمنه الكتاب وصف العلاقات بين العرب واليهود ، والتي لا تخرج عن مواقع القتال رغم خلوها من الآراء القديمة (الستيريوتيب) ، إلا ما نجده من تعبيرات متفرقة مثل قول الكاتبة : هذا ما يجب أن تذكر ، نخيفهم فيهربون على الفور. وقولها : (العرب) غير جديين ، ولا توجد لديهم روح التضحية ، لقد ارسلوهم للقتال فجاءوا رغماً عنهم ، هذا هو الفرق الواضح بيننا وبينهم وهذه الميزة التي لا يستطيع احد انتزاعها منا(١). ربما لا تقصد الكاتبة بهذه التعبيرات اثارة السخرية ، بل تقصد خلق الحافز والتشجيع في أوقات صعبة يمر بها ابناء شعبها من اليهود.

ومن الحوادث التي تسردها الكاتبة ، حادث وصول المظليين الى حائط المبكى في حرب عام ١٩٦٧م ، فتصف وصولهم حين يحضر موشيه ديان ويكتب على ورقة صغيرة عبارة : «سلام على اسرائيل» ويدسها بين حجارة حائط المبكى ، ثم يلتفت الى جنوده ويصيح فيهم : «سلام

(١) انظر: גלילה רון-פדר, משה דיין, עמ" 20.

على اسرائيل ، هذا ما طلبته ، سلام على اسرائيل هذا هو مطلبي الوحيد الآن»(١).

كما هو واضح من سرد هذه الحكاية التي توردها الكاتبة ، تظهر الحرب ظهوراً باهتاً بحيث لم يتحقق لها أن توصف بأنها حرب نشبت من أجل السلام ، ففي ثنايا متفرقة كثيرة من الكتاب ، تظهر الحرب وكأنها معارك ووقائع وحوادث ، وليست كعمل تم من أجل حياة الشعب الاسرائيلي ، يجب أن ينتهي بالخروج من هذه الحرب بانشاء علاقة سلام وعمل مشترك مع الجيران العرب ، وما تلا تاريخ هذه الحوادث ـ عام ١٩٦٧م ـ اثبت أن الفرصة أمام المسألة العربية اليهودية قد أهدرت ولم يستفد بها في شيء(٢).

ومثل الكتاب السابق ، كتاب : «مقتحم الحواجز» لعاموس بار ،الذي يسرد فيه حكايات عن حوادث حدثت بين العرب واليهود في أحوال من السلم والحرب ، ويقارنها مقارنة غير مستقيمة بما حدث لليهود في اوروبا وأيام الحوادث النازية مستغلا الآراء القديمة (الستيريوتيب) اسوأ استغلال ، ومن الحكايات التي يرويها واحدة مفادها : أن أبناء صف الفتى زرو بابل يخرجون في رحلة باشراف معلمهم موشيه ، فيمرون بقرية عربية ، يهاجمهم الشباب من ابنائها وهم يصرخون ويتهددون «يهود ، يهود ، يهود» ويقذفونهم بالحجارة ، إن الكلمة : (يهود) ، تثير في نفس زرو بابل ذكريات سيئة ، أنها تذكره بالصيحات التي كان يطلقها الفتيان البولنديون في بولندا ضد اليهود ، وفجأة يقذفه احد الشبان العرب بحجر كبير ، يسقط على حقيبة الفتاة (بات شيبع) التي وضعها زرو بابل على رأسه ليتقي بها الحجارة. وبدأ الغضب يتأجج في نفوس الجميع ، وعندها بحث زرو بابل عن حجر كبير ، غير أنه امسك بشيء اسود (جثة قط ميت) وتقدم نحو احد الشباب العرب المتحمسين ، وكان اطولهم ولا ينفك يحرضهم ، فهمس زرو بابل في نفسه : «هذا هو زعيمهم»! ولوح بجثة القط وقذف بها بقوة ، فطارت الجثة المتيبسة النتنة في الهواء وسقطت على عنق زعيم الشباب (العرب). لقد أدى ذلك بالشاب الزعيم الى أن يطلق الصراخ ، بينما استغرق باقي صحبه من الشباب في الضحك ، وهم يفرون هم وزعيمهم المقهور ... كانت هذه الحادثة فاتحة سخرية لطريقنا ، فقد اعقبت ذلك صدامات اخرى مع الشباب العرب اقتضت منا قوة وشجاعة للخروج منها. وهكذا تواصل القصة سرد حياة زرو بابل والاحداث التي مر بها وقد تخللتها الصيحات المتكررة : «يهود ، يهود ، اذبحوهم» ، مما يعتبر من اسوأ ما كان من هذه الحوادث(٣).

(١) انظر: المصدر السابق,عمّ" 166.
(٢) انظر: אדיר כהן, פנים מכוערות במראה, עמ" 123.
(٣) انظر: עמוס בר, פורץ המחסומים, עמ" 47.

و يقول صاحب كتاب (وجوه مشوهة) حول هذه القصة : أن الموقف السلبي في هذه القصة لا يكمن في سرد هذه الامور وتلك الحوادث ، ولا في لهجة السخرية والاستعلاء على العرب ، بل يكمن هذا الموقف في مواصلة سرد الاحداث دون الالتفات الى أمور ايجابية ، إلا ما يدور حول الشعور بالعداء المستمر الناتج عن الحرب. حقاً إن الفترة التي يغطيها الكتاب ــ حرب عام ١٩٤٨م ــ تزخر بالاعمال العدائية ، والاضرار بالممتلكات و بالارواح ، اذ وصلت حد القمة في الايام العصيبة لحرب عام ١٩٤٨م ، وهكذا فان سلبيات الكتاب لا تتوقف عند وصف اعمال العداء ، بل في طبيعة الاوصاف التي لا نبالغ إن قلنا عليها : إن اليهود يفرحون و يحتفلون بالعيد ــ عيد الاستقلال ــ في ظلال اعمال العنف والارهاب التي كانت في تلك الايام(١).

ومما يثير ضغائن النفس من العداء ، الاوصاف التي تخللت التعبير عن هجوم العرب على قافلة مدرعة كانت قد غامرت وتوجهت الى القدس لانقاذ اليهود المحاصرين فيها : لقد هاجم مئات من العرب الاشرار القافلة ، اذ اصيبت ثماني عشرة مركبة بقيت في مواقعها ، في حين تمكنت باقي مركبات القافلة من التراجع ، ثم نزل العرب من الجبال وصياح الانتصارات يدوي من حناجرهم مع العبارات المثيرة للاشمئزاز بما فيها من معاني الاحتقار : اسحق سيموت اليوم ، يعقوب سيذهب الى الله. اذبح اليهود. وقد احتشدت جماهير غفيرة انحدرت الى الوادي لتهاجم المركبات المدمرة ، وقد شرعوا يتشاجرون للاستيلاء على اكياس الدقيق والمعلبات والملابس واشياء أخرى من الاغذية والعتاد ، التي كانت مبعثرة هنا وهناك ، و بعد أن استولوا على كل شيء ، اشعلوا النار بالمركبات وراحوا يرقصون حولها(٢).

و يوجه صاحب كتاب : «وجوه مشوهة» نقداً لاذعاً لوصف هذه الحوادث بقوله : هل يمكن أن نثور ضد من وصف الهجوم على القافلة من المركبات في باب الواد؟ إن حطام المركبات المصفحة التي ما زالت ماثلة للعيان الى يومنا هذا ، تثبت أنه يحق لنا أن نثور أو نغضب من هذا الوصف ، ألم تسفك الدماء ــ اليهودية ــ في هذه الهجمات؟ إن التاريخ يحدثنا كم كانت هذه المعارك قاسية ، ولكن نطرح السؤال التالي : ما هو فعل العبارات التي تقول : «اسحق سيموت اليوم. يعقوب سيذهب الى الله»؟! ثم لماذا ذكر الرقص والغناء حول النار والذي يذكرنا برقص الهنود الحمر؟! فما هي العلاقة بين هذا و بين التعبير المثير للاشمئزاز واللذين لا فرق بينهما ، ولو فرضنا أن ما حدث قد طابقه الوصف المذكور ، لكان حرياً بالوصف الادبي أن

(١) انظر: אדיר כהן, פנים מכוערות במראה, עמ" 127.
(٢) انظر: עמוס בר, פורץ המחכומים, עמ" 197.

يتوخى الحذر من المبالغة(١).

و يواصل صاحب كتاب : «وجوه مشوهة» ضرب الامثلة من هذا الميدان ، حين يقتبس نصاً من الوثيقة المذيلة بتوقيع رئيس الدولة حاييم وايزمن ووزير الدفاع دافيد بن غوريون ، والمرفقة بوسام البطولة الذي منح لزرو بابل هوريبتس بعد موته :

«لقد كان هوريبتس زرو بابل قائداً لفرقة مقتحمي الحواجز في القافلة التي هوجمت من قبل عصابات العدو ، على مقربة من النبي دانيئيل ، وعندما رأى أنه لا سبيل أمامه وأمام رفاقه للنجاة من العربة المصفحة ، وجه الامر للذين ما زالوا أحياء منهم داخل العربة ، بأن يخرجوا و يلتحقوا بالقافلة ، على أن يقوم هو بتغطيتهم بالنيران ، واستمر ولم ينسحب مدافعاً عن الجرحى الذين معه ، وربما يكون قد فجر العربة المصفحة بنفسه و بزملائه الجرحى حين انتابه اليأس من امكانية النجاة لئلا يقع هو ورفاقه اسرى في يد العدو ، لذلك فقد منح وسام الشرف والبطولة ، وهذا هو اعلى وسام في الجيش الاسرائيلي»(٢).

يقول كوهين : قد تطرح اسئلة معقدة ومتعددة مثل : كيف توصف الحروب؟ وكيف توصف المعارك؟وكيف توصف الاعمال العدائية والقاسية منها بالذات؟ وهل من الافضل وصف الاعمال الحربية والتغاضي عن حوادث سفك الدماء ، بأن نجعل الوصف ميالا للايجابية؟ وهل يمكن أن يكون الوصف ميالا للاتزان؟ وهل مثل هذا الاتزان ممكن؟ ولو حدث ذلك هل يمكن أن يخالف الواقع؟ وهل ما كتب عاموس بار ــ في كتابه "مقتحموا الحواجز" سابق الذكر ــ يعتبر من الكتابات السلبية غير المقبولة؟

الاسئلة كثيرة وخطيرة ، والاجوبة عليها يكون فيها شيء من الرمز ، فبأي اسلوب يمكن أن نتغاضى أو نتغافل أو نخفف من الاوصاف السلبية ، أنه لا يوجد مجال للاتزان الكاذب ، بحيث يجب أن نصف المعارك واحداث الحروب بكل أهوالها ، ولكن يجب أن يكون الوصف واقعياً وصادقاً ، بل يجب أن لا يكون هذا الوصف زائفاً ، كما يجب أن يكون بعيداً عن عبارات السخرية والتعالي ، وغير خاضع للاراء المسبقة (الستيريوتيب) ، كما يجب أن تكون الكتابة الادبية خالية من عبارات النصح والارشاد والتوجيه ، مع مراعاة أن يكون الوصف الادبي وصفاً دقيقاً للواقع. إن فحص الانتاج الادبي يبدو وكأنه امتحان للقيم ، فمجابهة القاريء تكون للنص بكامل تعابيره ، وهو ما يجب أن ينتبه اليه القاريء ، وأن ينعم النظر بالشيء الموصوف ،

(١) انظر:אדיר כהן, פנים מכוערות במראה, עמ" 124.
(٢) انظر: المصدر السابق، عمّ" 125 .

الى اقصى حد ممكن ، الركبتان مضغوطتان في البطن ، والرأس ملقى الى الصدر ، وعندها ستغمض العيون...»(١).

كيف يوجد الجنين في رحم مفقود؟ الرغبة في الفرار من الحرب ، ومن الخوف ، ومن الوحدة ، كم هي خطرة هذه المعاني!...

ما الغرابة في أنه في ساعة الامتحان ، وعندما كانت المصفحات الاردنية تقترب من موقع المقاتلين وتهددهم بالابادة ، وفي اللحظة نفسها يأتي الخلاص على يدي (نسيم) ، الذي يظهر حاملا بيده زجاجة مليئة بالنفط وقد تدلى منها فتيل ، يشعله نسيم مختفياً بين انقاض المنازل المهدمة ، ليعود و يظهر ثانية من خلف المصفحات الاردنية ، التي كانت طواقمها ما زالت تهدم المنازل واحداً تلو الآخر ببرود تام ، لما يشعرون به من الاطمئنان ، في حين كان مقاتلونا يشاهدون هذه الاحداث والخوف يملأ قلوبهم ، لقرب المصفحات من فوهة نار جهنم ، بل أن النار المشتعلة في الفتيل اذا وصلت الى النفط في قلب الزجاجة ، قبل أن يتمكن نسيم من القائها ، فانه سوف يصبح شعلة ملتهبة.

... و يتسلق نسيم المصفحة ،ويصل الى فوهتها ضارباً بقدمه على الغطاء ، فيفتح الباب ليطل منه عربي برأسه وقد علته كوفية حمراء ، والخوف باد على وجهه. يضرب نسيم العربي على رأسه و يلقي بالزجاجة الى داخل المصفحة و يفر بسرعة قبل أن تشتعل النار ، وتمر دقائق قبل أن نرى نسيم مرة أخرى ، تلك الدقائق التي كانت تعادل زمناً طو يلا ، كانت النيران والدخان واصوات الانفجارات المتلاحقة قد ملأت الاسماع من داخل المصفحة المشتعلة ، و بعدها يعقب سكون الموت. ومن خلال الدخان الكثيف الذي خيم على الشارع ، اقترب نحونا نسيم زاحفاً ، وقد اصطبغ جسمه باللون الاسود ، اذ كانت بعض اعضاء جسمه قد اصيبت ببعض الحروق ، وكان الدم ينزف من مواضع أخرى في جسمه...»(٢).

يقول كوهين(٣) : نلاحظ في هذا النموذج وصف الآلام المبرحة وانزفة الدم ،والدمار والنيران والدخان ، والخوف المسيطر على الطرفين ، ولا نلاحظ تعابير للكراهية والاحتقار والسخرية من العدو ، كما لا نلاحظ تماماً آثار الآراء المسبقة (السيتريوتيب) ، من ملامح الفخر بالبطولات الخارقة والاستعلاء ، ولعل ذلك يبدو واضحاً في هذا الكتاب من خلال العناو ين التي نجدها في ثناياه ، مما لا نجده في كتب أخرى من هذا النوع ، ومن هذه العناو ين : «رسالة الى الله» ،

(١) انظر: אברהם בן שחר, שועלים בחורבות, עמ" 26.
(٢) انظر: المصدر السابق، עמ" 102 - 104.
(٣) انظر: אדיר כהן, פנים מכוערות במראה, עמ" 132.

«زيارة الى الموتى» ، «الابطال أيضاً يخافون».

يمكن أن نجد مثيلا نادراً لهذا الكتاب في تعابيره التي تحمل ابعاداً انسانية ، مثل كتابات ايلي نيتسر : «البطولة والخوف أو رحلة في صحراء سيناء» ، ففي كتابه : «شمشون كان فتى ضعيفاً» ، حيث يصور لنا الكاتب (أحيعام) العجيب باقدامه واعماله البطولية ، وذلك حين يتسلل بمفرده نحو بيت كان العدو يطلق النار من داخله باتجاه القافلة التي توقفت على طول الطريق. لقد كمن احيعام خلف شجرة نخيل ، واستل قنبلة يدو ية من حزامه ، و بانفاس متقطعة تعقبنا تحركاته ، اذ ادركنا ما سيفعل ، ولكن ما الذي سيحدث اذا لم ينجح في القاء القنبلة الى داخل البيت من النافذة؟! اذ أنهم سوف يكتشفونه حالا و يصيبونه. اصابت القنبلة حافة النافذة وانفجرت ، فانتاب الرعب جنود العدو الذين كانوا في داخل البيت ، فتوقفوا عن اطلاق النار ، فاستغل احيعام لحظات الهدوء القصيرة الثمينة ، لينطلق نحو شجرة أخرى قريبة من البيت ، وعندها عاود جنود العدو اطلاق النار من جديد باتجاه شجرة النخيل التي صدرت من خلفها القنبلة ، غير أن أحيعام لم يكن هناك. ثم القى احيعام قنبلة ثانية ، دخلت الى داخل البيت من نافذته لتنفجر هذه المرة. انتظرنا بضع دقائق ساد فيها السكون لنبدأ الهجوم. لقد وجدنا داخل البيت ثلاثة جنود من جند العدو جرحى ، في حين تمكن رفاقهم الآخرون من الفرار بعيداً الى التلال المجاورة. والى جانب عربة الجيب كانت اربع جثث من جندنا ملقاة على الارض ، كانت جثث افراد من طاقم احدى عربات الجيب ، التي اصيبت بضربات من العدو.

وهكذا فقد اصبحت الطريق الآن مفتوحة ، ولكن الثمن الذي بذلناه كان باهظاً(١).

و يعلق صاحب كتاب : «وجوه مشوهة»(٢) على هذه القصة بالقول : إن الاوصاف التي في النص ، انما هي اوصاف لاعمال قتالية ، تتمركز فيها شخصية فردية تتطوع فتسكت مواقع العدو بشجاعتها وجرأتها ، لا يوجد ما يحول هذه الشخصية الى شخصية (سو برمان) ، (الرجل الفولاذي) ، بل أنه جندي شاب استطاع أن يتغلب على الخوف ، دون أن يحمل في نفسه شيئاً من الكراهية ، بل كل ما يشعر به أنه مرغم على خوض الحرب من واقع الشعور بالمسؤولية قد خاطر بحياته. غير أن هذا البطل الذي تغلب على الخوف في صحوه ، لا يستطيع التخلص منه في نومه ، فيصوره الكاتب وهو يتعرض لكابوس في نومه ، فيفزع صارخاً : «أيها الاصدقاء ساعدوني ، اربطوا رجلي و يدي ، تعالوا انقذوني ، قال ذلك أحيعام والعرق البارد يكلل جبينه

(١) انظر: אלי נצר, שמשון היה ילד חלש, עמ" 90,89.
(٢) انظر: אדיר כהן, פנים מכוערות במראה, עמ" 133.

، وهو يضرب بيده و يمزق بحركاته غطاء نومه»(١).

وإن كان هذا النموذج على عدم شيوعه في ادب الاطفال العبري ، قد ابرز بعداً انسانياً عميقاً ، فقد قصر هذا البعد بشكل واضح على الجانب اليهودي من البطولة ، في حين ابرز الجانب العربي على أنه جبان وخائف ، وإن كان وحد بين الطرفين في الخوف ، فقد فرق بين خوف اليهودي في نومه ، و بين خوف العربي وجبنه وفراره في صحوه بل اثناء المعركة ، وربما يتجلى التوحد الانساني الذي سعى اليه الكاتب في تصو يره للجرحى والمصابين وقتلى الحرب من الطرفين ، والخسارة الانسانية في النهاية.

ومهما يكن من أمر ، فنتمنى لو أن هذا النموذج أكثر شيوعاً وانتشاراً في أدب الاطفال العبري ، ولكنه للأسف نادر لدرجة الغرابة كتفرد قطعة غيم في سماء صيف ، مما جعل الكاتب والكتاب مخالفاً لركام كتب هائل من تلك التي تعرضت للحرب ، فوصفتها بسطحية واضحة ، بحيث تظهر العربي دائماً بأوصاف غاية في السلبية ، كأن يكون دائماً بلون اسود قاتم ، جبان للغاية بحيث يثير السخرية والهزء ، وهو قاس لدرجة كبيرة جداً ، مما يدفع بالكتاب اليهود في وصف الحرب من خلال كتبهم لاطفالهم ، الى المبالغة في مدح الطرف اليهودي والقدح ، غاية القدح في الطرف العربي ، سواء اثناء اشتعال أوار الحرب واحتدام القتال ، أم بعد أن يسكت الرصاص وتخمد النيران وتلفظ الانفاس ، وتتجلى هذه الصور مما اشرنا في كتابات حاييم الياب(٢) ، في سلسلة كتبه عن فتيان البلدة القديمة ، حين نجد عشرات الصفات السلبية التي يصف بها العرب وهم يهاجمون العربات التي كانت تنقل اسرى البلدة القديمة من اليهود ، فيبرز اعداد المهاجمين على صورة (الزعران) المحرضين ، وقد اصطفوا على جنبات الطريق وهم يحملون في ايديهم الحجارة والعصي والسكاكين ، مطلقين صيحات السخرية والاستهزاء ، وقد راحوا يقذفون بالحجارة الى داخل العربات ، و بعضهم يتعلق بها و يضرب بالعصي والسكاكين من فيها من الاسرى اليهود ، وهم يتلفظون بعبارات نابية و يبصقون داخل العربات ، و يصور في الجانب الآخر مشاعر اولئك الاسرى الذين تملكهم الخوف حتى ظنوا أن نهايتهم قد اقتربت.

ولم يتوقف الامر بهذا الكاتب عند هذا الحد ، بل أنه يستل شخصية يهودية من بين شخصياته ، و يتخذ منها مشجباً يعلق عليه صفات الطعن بالعرب ، حين يصف المصير القاسي ،

(١) انظر: אלי נצר, שמשון היה ילד חלש, עמ" 92.
(٢) انظر: חיים אליאב, ילדי העיר העתיקה בשבי הלגיונ, עמ" 29.

الذي لاقاه (ألحنان) في الاسر ، فقد حققوا معه ليلا ونهاراً لقد ذاق الأمرين ، هذا بالاضافة الى الشتائم والصرخات : «أنت تعرف كل شيء. بهذه العبارة كان يصيح في وجهه الضابط صاحب الجسم الضخم ذي الوجه الذي ينم عن الغباء وقد واصل صراخه : أنت تعرف كل شيء ، قل حالا ، وإلا فسوف نشنقك على الشجرة»(١).

وفي السجن في عمان ، هجم عليه السجناء العرب ، الذين حين رأوا (إلحنان) هذا الفتى اليهودي ، اشتعلت في أعينهم نار نظرات غريبة تنذر بالشر ... وقد قالوا : «يهودي ، يهودي ، أنت يهودي» قالوا ذلك وهم يلتفون حوله ، ثم عاودوا القول : «غداً سوف يشنقونك». لقد اقتربوا منه ، وراحوا يتناوشونه بأيديهم ، كأنهم يريدون خنقه..(٢).

وفي نموذج آخر نقف على الصورة السلبية السابقة نفسها ، مما حدث للفتى (نسيم) في كتاب : «أولاد البلدة القديمة في الحصار» للكاتب نفسه حاييم اليآب ، اذ يصور نسيم وهو جريح و يعاني من المرض ، حين وقع اسيراً في أيدي سعيد (العربي) وعصابته ، والذين راحوا يصرخون : «اقتلوه ، اقتلوه ، اذبحوا ابن الكلبة هذا». وقد بدأوا يضربونني و يجرونني(٣).

أما في كتاب هذا المؤلف نفسه : «أولاد البلدة القديمة وحربهم مع المتسللين» ، يصور الكاتب احد جنود جيش الانقاذ (العربي) ، على أنه كان يتربص بأطفال البلدة القديمة (اليهود) ، و يلاحقهم بنظرات عينيه الثاقبتين البراقتين ، اللتين تشع منهما الرغبة في رؤية الدم. وعندما امسك بمجموعة من هؤلاء الاطفال ، بدأ يضحك و ينظر بنظرات تنم عن الاجرام ، ثم قفز اليهم وراح يضربهم بكعب بندقيته ، وهو يصرخ : «يا أبناء الكلبة ، الآن سأفصل رؤوسكم عن اجسادكم»(٤).

وفي كتابه : «أعمال أبناء البلدة القديمة» يرسم الكاتب نفسه حظاً للفتى اليهودي نسيم ، الذي يفاجئه صوت باللغة العربية : «تعالى الى هنا يا أبن الكلب ، ارفع يديك وإلا ستطلق عليك النار كالحمار». وعندما اقترب من موقع العرب ، قفز اليه عربي مسلح ببندقية وحزام للرصاص غطى جسمه ، وانهال على نسيم ضرباً بكعب بندقيته وهو يشتمه قائلا : «تعال يا ابن الكلب ، سنقطعك ارباً ارباً ، ثم اقتاد نسيم الى غرفة سفلية ، حيث يوجد ضابط الماني ، فقال له العربي : «لقد القيت القبض على هذا الجاسوس يا سيدي القائد». فصرخ الضابط الالماني :

(١) انظر: المصدر السابق, عمّ" 59.
(٢) المصدر السابق نفسه, عمّ" 60.
(٣) المصدر السابق نفسه, عمّ" 72.
(٤) المصدر السابق نفسه, عمّ" 14.

«جاسوس؟ فتشوه جيداً!» فأجاب العربي : «نعم سيدي القائد». وراح يفتش ثياب نسيم ، وقد انهال عليه بالضرب والشتائم ، اذ شتم اليهود والعالم أجمع ، ثم هدد نسيم بأنهم سيذبحونه بعد قليل»(١).

مما يلاحظ على هذا النموذج ، أنه تضمن أمراً آخر غير ما شاع في سائر الكتب من وصف العرب بالصفات السلبية ، والامر هو أن الجنود العرب يأتمرون بأمرة قادة المان ، وخطورة هذا تكمن في الصاق معنى من اتهام العرب بالنازية لتحميلهم اكثر مما يطيقون من الاتهام في معاركهم مع اليهود ، وكأن الكتاب اليهود لا يكتفون بالصفات السلبية التي وصفوا العرب بها بكتبهم ، حين وصفوهم بالظلم والقسوة وأعمال التعذيب ، واطلاق عبارات الشتائم ، واجراءات الضرب الممتزج بالتهديد والوعيد بالقتل والتقطيع والشنق والذبح.

وجدير بالذكر أن صاحب كتاب : «وجوه مشوهة»(٢) يقر بأن كتباً كثيرة من كتب أدب الاطفال العبري ، تورد صوراً من ارتباط العرب بالالمان اذ يقول : «وهناك عدد كبير من الكتب التي نجد فيها محققين من الالمان ، فالرابطة بين الالمان والعرب تتكرر في كتب مختلفة ، مثل كتاب : «الثلاثة في اسر المخربين» للكاتبة جولان : الذي يبرز الالماني ذا العينين المتوحشتين والوجه المتكدر الغليظ الملامح ، يبرزه مشاركاً المخربين (العرب) في كل اعمالهم ضد اليهود».

كما أن أدير كوهين(٣) يجمل الصفات السلبية التي عممت على العرب في كتب هذا اللون من الادب العبري التي تتعرض لاحوال الحرب فيقول : في كثير من قصص الحرب ، يظهر العرب بقسوتهم وظلمهم وتعطشهم للدماء هذا من ناحية ، أما من ناحية أخرى ، فيظهرون بجبنهم وذلهم ، وعدم معرفتهم بفنون القتال ، اذ يهربون دائماً ، ففي اللحظة التي يطلق فيها رجال الأمن السري النار ، يتملك الخوف قلوب جنود العرب ، وكذا يحدث حين يفتح الجنود اليهود نيرانهم ، اولئك الجنود الذين يظهرون دائماً على أنهم يجيدون اطلاق النار لكثرة ما يتلقون من التدريب العسكري ومنذ صغرهم ، فحين يطلقون النار على مواقع الجنود الاردنيين ، تخمد نيراهم ، ويشاهد الاردنيون وهم يفرون بين الجبال.

أما الجنود المصريون ، فيكفي تصويرهم حين اقتحم عليهم (دنيدن) الفتى اليهودي مواقعهم ، فما لبثوا أن استسلموا فوراً ، لما حل في نفوسهم من الرعب خوفاً من الموت ، فبادروا الى القاء اسلحتهم ، وانتصبوا بقاماتهم رافعي الايدي والرعب باد في عيونهم ، هذا كله

(١) انظر: חיים אליאב, עלילות ילדי העיר העתיקה, עמ" 54,53.
(٢) انظر: אדיר כהן, פנים מכוערות במראה, עמ" 134.
(٣) انظر: المصدر السابق نفسه, عمّ" 135,134.

كان بفعل بطولة ذلك الفتى اليهودي ، الخارق ، الذي لم يتردد في أن يهاجم عدداً من الجنود المصريين بمفرده.

لا يتوقف الامر عند هذا الحد من السخرية والهزء بالمقاتل العربي بل تطرق الكتاب اليهود في كتبهم ، لدرجة أنهم سخروا بالجيوش العربية على أنها جيوش كاملة ، وهذا ما يمكن أن نقف عليه في كتاب : «ناتي ورهبة الصخر الاحمر» لكاتبه باروخ نادل ، الذي يصف فيه عملية احتلال مدينة بئر السبع أثناء حرب عام ١٩٤٨م ، حيث يبدو الاستهزاء بالجيوش العربية واضحاً ، حين يبرز صورة الجنود العرب غاية في الجبن وانعدام القيم والمبادىء ، وهكذا القائد العربي الذي يصوره الكاتب في صورة يكون مستعداً معها لترك مدينة بكاملها ، وكذلك يترك جنوده جميعاً ، لكي يظهر بمظهر محترم أمام الناس ، ولتحقيق ذلك يضعه الكاتب في موقف يكون فيه مستعداً لقبول اقل المقترحات ، ويتمثل ذلك عندما تقترب العربة المجنزرة الاسرائيلية من البناية التي يتجمع فيها رجال الأمن المصريون ، وعندها يقول القائد المصري : «لا تخافوا ، لا تخافوا ارفع يديك أنا اصيح عليه». ويرفع القائد المصري البدين يديه ويخرج من مبنى الشرطة ، ويلحق به نائبه ، ويتبعهم سائر الضباط ، فخلال خمس دقائق يخرج هؤلاء الضباط ، وعددهم خمسون أو ستون ضابطاً تقريباً ، بل قل مائة ضابط ، هذا كله حدث أمام عشرة جنود يهود كانوا في العربة المجنزرة ، كل هؤلاء الضباط اخرجوا مستسلمين وقد لحق بهم جنودهم بعدد قد يصل الى مائة وخمسين جندياً أو يزيد ، خرجوا جميعاً واصطف الضباط والجنود وقد قارب عددهم الثلاثمائة ، وعندما علم القائد المصري بأن عدد الجنود اليهود لا يزيد على العشرة ، ظهرت عليه علامات الدهشة والاستغراب ، وراح ينظر الى هذا العدد الكبير من جنوده أمام عدد الجنود الاسرائيليين القليل ، ففكر القائد الاسرائيلي متسائلا في نفسه : ربما يأمرهم بالهجوم علينا!؟ ولكن ماذا سيقول هذا الوغد المصري البدين؟ حتى تساءل القائد المصري : «هل تعرفون يا سيدي القائد»؟ متوجهاً بخطابه الى القائد الاسرائيلي : «إما تحضروا وفوراً مائة جندي اسرائيلي من جنودكم ، أو نعود فنقاتلكم ، فهل يعقل أن يستسلم ثلاثمائة بطل مصري لعشرة جنود اسرائيليين جبناء؟ لهذا ، فأنا لست مستعداً للموافقة على ذلك»(١).

ما اسخف هذه الصورة التي يعرضها هذا الكاتب في سابق ما ذكرنا حين جانب المنطق والمعقول مجانبة تامة ، غير آبه ، بأمر إلا التعبير عن هزئه وسخريته من الجيش المصري

(١) انظر: ברוך נאדל, נטי ומוראות הטלע האדום, עמ" 39,38.

كما يجب أن يتذوق الكلمات ، وأن يتعمق في فهم معانيها ، وأن يفكر ملياً فيما امامه ، ومن خلال انعام النظر والتدقيق في النص ، يمكن أن تظهر نظرة صادقة للنص ، وهناك عدد كبير من كتب ادب الاطفال تبرز فيها بشكل واضح قسوة العدو ، بل أن عدداً آخر منها يبرز هذه القسوة باسلوب متطرف جداً(١).

ينطبق ما سبق أن ذكرناه من قول صاحب كتاب : «وجوه مشوهة» على ما جاء في كتاب : «تحيى الشجاعة» لناحم تلمي ، هذا الكتاب الذي تكررت طبعاته ، نلاحظ أنه يصف معارك حرب عام ١٩٤٨م من وجهة نظر العرب ، الذين يتمركزون في موقع من الجهة العليا من مستوطنة (يعرياه) ، و يطلقون النار نحو سكان المستوطنة ، واحدهم يفاخر بالقول : «رصاصة ونستلقي على الارض ، ورصاصة أخرى ونستلقي على الارض ، رصاصتان ونستلقي على الارض ... وعربي آخر يقول أنه قتل رجلين من مستوطنة يعرياه : أنتهى الامر ، .. لن يجرؤوا على الظهور في ساحاتهم ، ما أجمل منظر المستوطنة الخالية ، اننا نزرع هناك الموت باذن الله ونبيه. وعندما يرون امرأة تسير في المستوطنة ، يقول أحدهم للآخر : خذها هذه فرصة! إن كل ما يحلمون به هو تقسيم الغنائم ، غنيمة ، قال نايف وهو يمسح عينيه وردد : سآخذ عدداً من البقر .. وسآخذ فتاة من فتايتهم يا ابراهيم ، أننا نعرفهن جيداً ، فقال ألا يكن حلوات كالعسل ، وبيض كحليب الناقة ، وحياة الله قال نايف وهو يمر براحة يده على بندقيته : أنني اتخيل كيف سنعود الى دير شوشة في أحد الايام ، ومعنا الغنائم الكثيرة ، انني اتخيل كيف ينظر أبي الى الفتاة البيضاء وعيناه ممتلئتان بريقاً واعجاباً ، سيكون هذا أشبه بمسرحية(٢).

و يعلق صاحب كتاب : «وجوه مشوهة» على هذا بقول كفانا معه عناء التعليق والنقد اذ يقول : إن القضية والحال هذه ، لا تثار في سرد حادثة معينة أو فردية ، بل تتكرر في كتب كثيرة تتحدث عن سفك الدماء والقسوة والتطلع بل السعي وراء الغنائم ، وهذا يدخل ضمن نظرية الآراء المسبقة (الستيريوتيب) المعممة على العرب جميعاً ، وكصفات تميزهم(٣). و يكفي تمثيلا لذلك ذكر بعض العبارات من كلٍّ كبير كبير :

«القائد ذو شارب اسود غليظ بعينين متوحشتين قد نظر الى (ايلي) ، كما ينظر القط الى الفأر الذي وقع بين مخالبه ، ... «يجب أن تنفذ ما يقول كلمة بكلمة وحرفاً بحرف لكي لا تصاب بأذى ، قال الملازم الاردني بصوت شرير ضارباً بقبضة يده ضربتين في وجه (ايلي) ، الذي كان

(١) انظر: المصدر نفسه.
(٢) انظر: מנחם תלמי, יחי האומץ, עמ" 112,111.
(٣) انظر: אדיר כהן, פנים מכוערות במראה, עמ" 128.

لون وجهه ازرق بسبب البرد ، ايلي الذي كان مقيداً ، ... «لقد اقترب احد الضباط من (ايريس) ، فأمسك باحدى يديه شعرها المتطاير ، و باليد الأخرى صفعها على وجهها ... ، دائماً يضربون ، و يعذبون ،وهم قساة ومجرمون...».

وهناك تعبيرات قاسية تتناول وصف المعارك الحربية ، بتصو ير حال المقاتلين وهم تحت وابل من الرصاص والقذائف ، والصديق يسقط أمام اعين اصدقائه وعلى مقربة منهم ، وهم يتقدمون نحو العدو يحاولون ابادته.

وهكذا يتعرض الانسان لامتحان قاس في الحرب امتحان لشجاعته و بطولته ، بقدر الامتحان لانسانيته ، بقدر الامتحان لاقدامه ، بقدر الامتحان لخوفه ، وتردده ، بل أنه امتحان لاستعداده للتضحية والاقدام ، بقدر تقاعسه وجبنه ، كل هذه الموازين نلاحظ أنها برزت في أدب الاطفال العبري ولكن بقدر يسير أقل بكثير مما كان يجب.

فعوداً الى قصة عاموس بار السابقة الذكر ، التي نستمع من خلالها الى حكاية فرقة مكونة من واحد وعشرين مقاتلا كان من بينهم زرو بابل هوربيتس ، فقد خرجت هذه الفرقة للهجوم على (العصابات) العربية التي تتمركز في القسطل ، و يصف الكاتب ذلك بقوله : «... كانت الساعة العاشرة صباحاً ، وكان ضوء النهار ساطعاً وقد غطى جبال القدس ، رغم قطع من السحب التي تلاحقت في كبد السماء ، واسراب من العصافير الفزعة من تحرك رجال البلماخ ، وقد فرت من بين الاشواك .. هذا المكان يشبه منطقة كلبوع قال زرو بابل وهو يحاول أن يحافظ على بعد ثابت بينه و بين رفيقه الذي يتقدمه. لقد اقتربت المجموعة من هدفها ، وكان على الجانب الايمن تل صغير ، وعلى الجانب الأيسر ينتصب تل آخر ، وفي الجهة المقابلة يرتفع التل الذي جاءوا للسيطرة عليه ، و بهدوء انحدروا الى الوادي وواصلوا التقدم ، وهم يزحفون على سفح التل الأيمن ، ولا شيء يبدو في الجبال غير ما ينتصب من صخور وحجارة يلفها صمت مرعب ... جمع يعقوب المقاتلين وشرح لهم بصوت منخفض خطة الهجوم ، ومن ثم توجهوا الى نقطة البداية ، وفجأة فتحت عليهم النيران دفعة واحدة من ثلاثة اتجاهات من بين الصخور ، لقد نجح الكمين الذي نصب لهم. واضطر ثمانية عشر رجلا من الفرقة الى التمركز في مواقع دفاعية ، أما الثلاثة المتبقون ، فلم يتمكنوا من ذلك ، اذ اصيبوا وسقطوا ارضاً ليرووا بدمائهم ثرى الوادي.

لقد كمن زرو بابل وراء صخرة وحاول أن يقلص من جحمه بقدر ما يستطيع ، وصوت أزيز

الرصاص يصك اذنيه وهو ينطلق من الاتجاهات الثلاثة ، وشظايا الصخور تتطاير من حوله بفعل اصطدام الرصاص بها ، وقد تساقطت هذه الشظايا المصحوبة بالغبار والاتربة على جسم زروبابل وغطته.

ـ صاح زروبابل : هل تراهم يا دروربك؟ قاصداً معرفة ما اذا كان رفيقه سالماً ، أكثر من رغبة في أن يعرف كمين المهاجمين.

ـ ورد دروربك : هناك في الجهة الاخرى ، إن رشاشهم ينطلق نحونا .

ـ قال زروبابل : يجب أن ندمره ، وإلا فنحن هالكون لا محالة. قال ذلك وقد رفع رأسه لينظر كيف السبيل لاسكات هذا الرشاش ... ففاجأته رصاصة اصابت قبعته.

ـ المرض ، المرض. سمع صوت صدر من الجهة اليسرى.

وبدأ المرض أوري يزحف باتجاه المصاب ، غير أن تحركه ادى الى تكشيف اطلاق النار نحوه ، ولكن ملائكة الرحمة لا يصابون بأذى ، اذ نجا من الاصابة باعجوبة.

وعندما وصل الى موقع المصاب ، حسب أنه وصل متأخراً ، فقد كان المصاب ملقى على الارض من غير حراك. وحتى هذه اللحظة ، لم يكن يعلم أوري أن اربعة من رفاقه قد فارقوا الحياة.

ـ دروربك ، صاح زروبابل بصوت عال : اضرب باتجاه التلة من الجهة اليمنى ، سأحاول أن اسكت رشاشهم.

ـ أبدأ. سمع صوت يعقوب يقول : سأغطي التل من الجهة اليسرى ، أما أنت أنت يا داوود ، فاضرب الى الامام.

لقد رفع داوود بندقيته ، ثم رفع رأسه ، فاذا برصاصة تفاجئه وتمزق جبهته...

ووجد زروبابل نفسه يزحف متقدماً بين الصخور ، فقد كمن في شق بين صخرتين ، ووجه بندقيته باتجاه موقع الرشاش ، فانهالت نحوه زخات متواصلة من الرصاص. لقد علم زروبابل أنه كلما استمرت عملية اطلاق النار ، كلما اقترب نفاذ الذخيرة ، وفعلا ، فبعد مرور دقيقة توقف الرشاش عن اطلاق النار ، لينتصب الرجل العربي الذي يعمل على هذا الرشاش بقامته ليغذيه بالذخيرة.

والآن حل دور القناص ، فبثبات وسرعة فائقة ، وجه بندقيته واطلق النار وعندئذ وضع

العربي يده على صدره وسقط على رشاشه ، غير أن صديقه حاول أن يرفعه عن الرشاش ، فاصابته رصاصة هو الآخر ليسقط بدوره على الرشاش أيضاً.

ـ الآن هجوم ، صرخ يعقوب.

فانطلق خمسة الى قمة التل ، وعندما رأى رجال العصابة أن رشاشهم قد اسكت ، بدأوا بالفرار.

هذا هو الرجاء الاخير. فاذا استولينا على التل ، سيكون لنا أمل في أن ندافع من عليه»(١).

و يعلق صاحب كتاب : «وجوه مشوهة»(٢) على هذا النموذج من هذه القصة ، تعليقاً فيه الكفاية اذ يقول : لقد تضمن هذا النص وصفاً لمعركة صعبة ، فالمعنى الذي يبرزه في طياته ، يعتبر قاسياً للغاية. إن الهجوم على العصابة العربية التي تمركزت في القسطل من الامور الواجبة ، بهدف فتح الطريق الى مدينة القدس المحاصرة ، واستمرار اطلاق النار يودي بحياة ضحايا كثيرة من مقاتلينا ، فمن سينتصر في الحرب ، سوف يقرر مصير المعركة.

لقد استطاع عاموس بار أن يحيي الشعور الذي يسود في احوال الطوارىء فوصفه للمعركة وصف عال ، على الرغم من أن معاني القتل والموت يسودان. إن تعابير الوصف متزنة ، بحيث لا تظهر معاني الكراهية ، إلا ما يخدم في ابراز صورة الصراع المحتوم والمخيف بوضوح.

ونقول : إن هذا النص لا يجعل مجالا للتشكيك أو طرح الاسئلة ، وإن ظهر في هذا النص معنى انساني ، فقد ابرزه في طرف واحد في الجانب اليهودي ، اذ لم يبرز ذلك بوضوح في الجانب العربي ، فضلا عن اشارة الكاتب السريعة الى وصف العرب بالجبن حين فروا من ميدان القتال بأرواحهم التي علقها باستمرار الرشاش في اطلاق النار. وإن كانت من ايجابية في هذا النص يبرزها الكاتب فيمكن أن تكون في تجسيده لو يلات الحرب ومعاركها ، التي لا ينجم عنها إلا القتل وسفك الدماء والدمار ، ففضلا عن المعاناة التي تسببها الحرب ، هذه المعاني التي تطرق اليها بعض الكتاب ولو على قلة.

ومن أمثال قصة عاموس بار يمكن أن نقف على حكاية أحد الكبار وهو يقص على الفتى (يفتاح) جانباً من تجاربه في الحرب ، وذلك من خلال كتاب : «المظليون قادمون» لاوريئيل ارفك ، اذ يصف الرجل مصادمته وجهاً لوجه مع العدو فيقول : لا أنسى ذلك المصري الذي نظر الي بعينين يفيض منهما الذعر ، حين باغته في غرفته ، ووجهت اليه صلية من الرصاص. لقد

(١) انظر: עמוס בר, פורץ המחסומים, עמ" 182,183.

(٢) انظر: אדיר כהן, פנים מכוערות במראה, עמ" 130.

نظر الي كمن يسأل : ماذا تريد مني؟ لقد ترك الآن أمّا ثكلى ، وربما أولاداً يتامى أيضاً وزوجة أرملة..»(١).

رغم أن هذا النص لا يخفي ابراز شجاعة المقاتل اليهودي ، لقاء ابراز بلاهة المقاتل العربي وعدم قدرته على الصمود في وجه المفاجأة ، إلا أن شعوراً إنسانياً كان مثيراً للشفقة يظهر في فحوى النص ، و يمكن أن تكون فيه العبرة على المحمل الانساني ، ذلك الشعور الذي يتكرر في هذا الكتاب ولكن باسلوب آخر وحدث بنتيجة مغايرة تماماً ، يقول الكاتب : «... وبحركة سريعة رفع ايتسك بندقيته (العوزي) ، ووجهها نحو الشرطي العربي. لكنه في هذه اللحظة قفز الى رأسه سؤال : ماذا ستفعل يا ايتسك؟ انك سوف تقتل انساناً لم يفعل ضدك شيئاً ، أنه فقط يقوم بواجبه دون أية نوايا سيئة. عندها ادار العوزي الى جهة أخرى واطلق النار ولم يصب الشرطي العربي بأذى»(٢).

وصورة مشابهة أخرى نراها من خلال اقوال المقاتل الاسرائيلي شمعون احد ابطال قصة : «من يركض في الازقة» لزئيف فاردي ، وذلك حين يهدىء شعمون من روع أخيه الصغير ، الذي يبدي تخوفه من أن يلحق به الدور ليقاتل حين يكبر ، فيرد عليه شمعون بردود يشوبها القلق وعدم وضوح الرؤية للمستقبل ، فضلا عن تردده في الرغبة في الدخول في معركة وتوجيه سلاحه الى أي انسان ، وهذا ما جاء على لسان شمعون اذ يقول : «سوف يأتي وقتك يا داني ، لا أعرف كم من الزمن الذي ستستمر فيه هذه الحرب ، ولكن شيئاً واحداً أراه بوضوح هو أنه كلما ازدادت ضرباتنا للعرب ،فسوف تزداد كراهيتهم لنا ، ولن يتوانوا في محاولة الانتقام منا ، يا ليتني لا اشعر بهذا ولا اصدقه ، غير أنني أخشى من أنك عندما تكبر ، لن يكون حينها مجال ليجلس الخروف مع الذئب. واضاف شعمون : أنت مخطىء يا داني إن ظننت بانني ذاهب الى هذه الحرب وأنا مسرور ، أنني خائف ، كنت أود لو انتهت هذه الفترة ، فأنت تعرف ما الذي يخيفني! أنه التفكير في أن اضطر الى توجيه بندقيتي نحو انسان لا أعرفه ، ولم يتسبب لي بأي أذى»(٣).

لعل هذا النموذج يعتبر من النماذج التي تصور القلق والمخاوف التي تعتمل في نفس الطفل الاسرائيلي ، الذي يرى الكبار وهم يخوضون حرباً لا نهاية لها ، و يا ليت الكاتب قد التفت من خلال تصويره الانساني هذا ، الى ابراز السبب الحقيقي لنشوب هذه الحرب ، التي سيضطر

(١) انظر: אורי אל אופק, הצנחנים באים, עמ" 72 .
(٢) انظر: المصدر السابق، عمّ" 62
(٣) انظر: זאב ורצי, מי זה רץ בסימטאות, עמ" 24,23.

فيها المقاتل الاسرائيلي وكذا العربي الى قتل انسان لم يؤذ خصمه بشيء.

إن هناك بعض القصص من ادب الاطفال العبري ، حرص فيها كاتبوها على ابراز المعاناة الانسانية بعمق شديد لدى الاطفال وافراد اليهود في أيام الحرب ، مما يعتبر فيه الخير لابراز العبرة من عدم جدوى هذه الحرب ، اذا تصور الفرد اليهودي معاناة الطرف الآخر ، هذا الامر لم يتطرق له الكتاب اليهود على اعتبار من عدم الاعتراف بانسانية العرب ، وحقهم في العيش على ارضهم بسلام ، مما يعتبر السبب الوحيد والمباشر لقيام هذه الحرب واستمرارها ، ولعل من هذا النوع من القصص ، قصة : «ثعالب في الخرائب» لابراهام بن شاحر ، الذي جعل من الحي اليهودي في البلدة القديمة في القدس مسرحاً لقصته ، بوصف الاحداث التي جرت هناك خلال شهر أيار (مايو) من عام ١٩٤٨م.

يصف الكاتب في الايام الاولى للحرب ، كيف اختبأ ابناء الحي في المخازن تحت الابنية خوفاً من (العصابات) العربية وجنود جيش الانقاذ العربي. و يصور هؤلاء الخائفين وكيف أنهم لم يمض وقت طو يل عليهم في مخابئهم ، حتى طلب منهم أن يكونوا حلقة وصل لنقل المعلومات والعتاد بين المواقع اليهودية ، بل أنهم بعد فترة وجيزة قاموا بدور الجنود المدافعين ، الذين تعرضوا للقتل حين اشتركوا في القتال جميعاً.

وهكذا ، فقد نجح ابن شاحر كاتب هذا الكتاب ، في وصف الخوف والاحساس بالبطولة والعزلة ، والشعور بالقرابة والمودة والنهاية المشتركة ، مما جعل هذا الكاتب يعتبر احد الكتاب الذين استطاعوا التعبير بوضوح وعمق ، عن الشعور بالخوف والانقطاع حين يتملك النفس الانسانية ، مما جعل كتاباته ترقى الى المستوى الانساني بصدق وأمانة ، ونلحظ ذلك من خلال هذا الوصف :

«كنت اجمع جسدي في زاو ية غير ظاهرة للقناصين (العرب) ، وقد تملكني رعب شديد ، فمنذ بدأت الحرب لم اشعر بخوف كهذا ، اذ أن هذه المرة ، هي الاولى التي اشعر فيها بأنني وحيد ، مما جعل ثقتي تأخذ بالانهيار ، فقد تعلمت في هذه الحرب أن اواجه القذائف والرصاص ، تعلمت أن اخادعها واتهرب من وجهها بل وأن اسخر منها. ولكن كيف اقاوم الشعور بالوحدة الذي ينهش قلبي ، وفقدان حرية الحركة؟ لا أعرف! من أجل ذلك علي أن أهرب من هذه الحرب ، بل من كل الحروب ، ومن العالم الذي اعيش فيه ، ولكن كيف يهربون؟ أنا أعرف هذا ، اذ يجب عليك أن تنزوي في ركن مظلم ، وتلملم جميع اطراف جسمك

وقيادته بأقسى ما تكون السخرية ، التي لم يسلم منها جيش عربي في مثل هذه الكتب.

ونقف على استهزاء سافر بالقيادة العربية والجيوش العربية في نموذج لايقل سخفاً عن سابقه ، وذلك من خلال كتابات أون سريج(١) حين يصف الجنرال عبد الله القائد السوري ، الذي يبرزه بمظهر يقف فيه أمام المرآة و يحملق في منظره بعجب واضح ، ثم يلتفت الى أحد اصدقائه في الجيش مشيراً الى الاوسمة الجديدة التي حصل عليها ، وراح يقول : «لقد حصلت على هذه الاوسمة لما حققته من الانتصارات الساحقة ضد الاسرائيليين ، و يرد الصديق العسكري : «عفواً أيها القائد لعدم معرفتي ، فأنا لا أذكر أننا استولينا على حصن اسرائيلي كبير ، فكيف يكون ذلك»؟ و يقول الجنرال : «الأمر بسيط للغاية ، فلسوف احتل حصناً كبيراً ، وذلك حين نخرج في الايام القليلة القادمة الى المواجهة مع اسرائيل». و يواصل تبجحه قائلا : «أنا بمفردي استحق وسام الشجاعة ، لانني قتلت عشرين جندياً في معركة كنت فيها وجهاً لوجه مع الاسرائيليين ، في هجوم لهم على الموقع الذي سيطرت عليه من ايديهم».

إنها حقاً صورة بشعة وغير واقعية لرمز من رموز القيادات العربية ، التي لا ننزهها عن التقصير فيما يسند اليها من مهام في كثير من الاحيان ، ولكن ليس الى هذا الحد من الاستهزاء والسخرية من هذه القيادات ، التي نقف على صورها البشعة تتكرر في الكثير من ادب الاطفال العبري ، ومن هذه الصور واحدة نراها في كتاب : «تحيى الشجاعة» للكاتب مناحم تلمي(٢) ، الذي يصف في كتابه عبد الهادي أحد القادة العرب ، حين يعرب عن عدم توقعه لكون الحرب على هذه الدرجة من السهولة ، فهي حرب مريحة ولذيذة ، فماذا ينقصه؟ أنه قائد حقاً ، فرجاله يمتثلون لاوامره و ينفذون كل كلمة يتلفظ بها ، أنه على مدى أيام عديدة يضطجع مرتاحاً في ظلال شجر الصنوبر على تلة مشمسة ، والحرب تدور ، وهو يلقي بأوامره من موضعه : «أحمد ــ صاح متنهداً ــ لماذا تسمح لليهود الملاعين بأن يجلسوا بهدوء؟ ، ارسل اليهم اثنتين ، أو ثلاث» «حسب أمرك يا سيدي» اجاب أحمد مسرعاً الى المدفع ، ثم سمع صفير عميق تبعه دوي متواصل ، ونظر القائد عبد الهادي مبتسماً بتلذذ الى الغبار المتصاعد ، ولحقت قذيفة أخرى لتهبط على سقف القرميد ، وقد تطايرت قطعه في كل جانب ، «سنميتكم» قال القائد عبد

(١) انظر: און שריג, דנידין משחרר שבויים, עמ" 26.
(٢) انظر: מנחם חלמי, יחי האומץ, עמ" 110.

الهادي ، وقد شعر بالجوع ينهش احشاءه ، فصاح : «يا سليم ، يا سليم ، جهز الوجبة يا سليم ولتكن وجبة جيدة إن القائد جائع».

وهكذا فقد الهبت قصص المعارك مخيلة كتاب أدب الاطفال العبري ، فاجتهدوا ما وسعهم الجهد في سوق الصفات السلبية والقائها على العرب في كل الاحوال ، مستغلين احداث الحروب المختلفة التي نشبت بين العرب واليهود ، بروح من المواقف المتناقضة ، من اثارة الرعب والخوف في نفوس قارئيهم احياناً ، ومن الهزء والسخرية من العرب ، وتصو يرهم لقارئيهم بصورة هزيلة مثيرة للضحك احياناً أخرى ، هذا فضلا عن اثارة الخوف في نفسيات القراء اليهود الصغار ، الذي يعتبر ميزة عامة في كتب هذا الادب ، حرص عليها الكتاب اليهود في احوال الحرب والسلام من غير هوادة ، بحيث برز العربي مخيفاً مرعباً دائماً ، أو مثيراً للسخرية.

هذه المسألة عالجها هؤلاء الكتاب في الغالب ، باسلوب من السطحية العابرة التي لا ترقى بهذا الادب الى أدنى درجات الادب الجيد ، فضلا عن السلبية البالغة التي يخلفها هذا ، على مجال العلاقات بين العرب واليهود على المدى الآنى القريب ، وعلى المدى المستقبلي البعيد ، مما لا يرضى به ذو عقل حصيف من أية جلدة كان ، و بأية عقيدة دان.

المبحث الخامس

(المقاتلون الفلسطينيون في أدب الاطفال العبري)

من الميادين التي جال فيها كتاب ادب الاطفال العبري ، موضوع المقاتلين الفلسطينيين وصورتهم التي حرص هؤلاء الكتاب على ابرازها من خلال تسميتهم بالمخربين ، هذا الوصف الذي تطلقه عليهم وسائل الاعلام الاسرائيلية الرسمية وغير الرسمية ، على مختلف اتجاهاتها ، باجماع يكاد يكون تاماً.

ويقول في ذلك صاحب كتاب : «وجوه مشوهة»(١) إن أدب الاطفال العبري ، وبخاصة بعد حرب عام ١٩٧٣م غاص بالقصص على المخربين(*) ، والامر الواضح كامن في أن الكثير من هذا القصص يستمد مواضيعه من الجو المسيطر في الفترة نفسها ، أي أن هذا القصص يعتمد على التقارير الصحافية التي تناولت اعمال التخريب التي حدثت ، بالاضافة الى احداث اخرى جرت مع التركيز على ابراز الخوف والاعمال الرهيبة ، كما أن هذا القصص تضمن اوصافاً لعدد من الابطال اليهود ، وبخاصة من الفتيان الذين يتحولون بالحادثة المأساوية الى نهاية افضل ، فكانت روايات صحافية نسجت باساليب منمقة مكتظة بالاوصاف المتطرفة القاسية الالفاظ ، لدرجة تشمئز منها وتثير الرعب والتوتر في النفسيات ، الى جانب ابراز بطولة الفتيان اليهود التي تضع نهاية أفضل للاحداث.

إن أعمال اختطاف الطائرات من قبل الفدائيين وسعت من خيال كتاب ادب الاطفال العبري ، فأمامنا عدد كبير من قصص حوادث خطف الطائرات ، ومن أهمها كتاب : «دنيدن في الطائرة المخطوفة» للكاتب أون سريج ، تلك الطائرة التي كان من بين ركابها ، الفتى دنيدن ، حين

(١) انظر: אדיר כהן, פנים מכוערות במראה, עמ" 146، وما بعدها.

(*) يستعمل الكتاب اليهود هذا تعبيراً عن المقاتلين الفلسطينيين من رجال المنظمات ، ولا يفرقون بينهم وبين غيرهم من اولئك الذين يقومون بأعمال فردية غير مسؤولة ، وقد وضعنا هذه الكلمة للامانة العلمية ، علماً باننا اوردنا التعبير الصحيح في غير موضع من هذا البحث.

حدث اختطافها على ايدي ثلاثة فدائيين كانوا يتنكرون بزي النساء ، لكن وجوههن شبيهة بوجوه الرجال ، أنهم يتراكضون في الطائرة ملوحين بالمسدسات وهم يتلفظون بعبارات متأججة مثل : «نحن وحدة الفدائيين الشهيرة ، نحن الابطال الثلاثة ... ، والويل لمن يحاول الاحتكاك بنا ، فلا مجال لاحد أن يقف في وجهنا ، واذا اتى أحد بعمل ضدنا ، فسوف نفجر الطائرة...» وعندما طلب قائد الطائرة منهم ، الكف عن الركض داخل الطائرة والتلويح بالمسدسات تحرزاً من أن ينطلق الرصاص من أحدها ، صاحوا في وجهه : «هل تتجرأ على أن تملي علينا ما نفعل أيها الكلب الاسرائيلي؟! نحن السادة هنا ولست أنت ، وعما قليل سنصبح القادة في اسرائيل ، وعندها سنبيدكم جميعاً وننهي دولتكم ، حتى لا يبقى لكم ذكر أو أثر ، نحن ابطال وسوف نكمل ما بدأه هتلر ولم ينهه ، سنلقي بكم جميعاً في البحر كالفئران».

دنيدن الذين يرى ولا يرى يتدخل ، فيكلم الفدائيين باللغة العربية متنكراً بزي امرأة ، وعندما يقتربون منه يصعقهم بضربة من عصا حديدية قوية ، فيسقطون ارضاً ، ويتحول الامر ، فحين يستفيقون من اغمائهم يتحولون الى ضعفاء ، فما عادوا الاقوياء الذين يريدون ابادة اسرائيل واتمام مهمة هتلر ، وانما يبادرون بالتوسل من أجل الحفاظ على حياتهم ، معلنين أنهم كانوا يمزحون ، ثم يقول قائد المختطفين متلعثماً : «أقسم بحياتي ، أننا نريد أن نكون اصدقاء للاسرائيليين». والثاني يقسم والثالث أيضاً : «أقسم بحياتي أننانريد ذلك». لقد اثاروا التقزز في نفسيات سامعيهم ، رغم أنهم واصلوا توسلاتهم والدموع تنهمر من أعينهم(١).

إن الاطلاع على هذا النموذج وقراءته بانعام نظر ، يغني عن كل تعليق لابراز سلبيته في وصف العربي القائد الضعيف الجبان من ناحية ، والمثير للخوف من ناحية أخرى ، هذا كله أمام البطل الفتى الاسرائيلي الخارق ، ومثل ذلك من النماذج كثير من استغلال الحوادث كحادثة مطار عنتيبي في اوغندا التي كانت مادة دسمة لعدد كبير من كتب ادب الاطفال العبري ، فقد كتب (ايتان درور) ، اربعة كتب حول هذه الحادثة هي : «دودو وماري يختطفان الى اوغندا» ، «وعوزي وداني في عملية يوناثان» ، «وصداقة وعداء في مشارف عنتيبي» ، و«برق ورعد في مشارف اوغندا». هذه الكتب الاربعة التي صدرت تباعاً ، الواحد تلو الاخر ، بفارق شهرين بين كل منها تقريباً ، لا يختلف عن تقرير صحفي حول الموضوع. ومما يلاحظ على هذه الكتب ، أن الكاتب يتكلف في نسج قصص حب بين ماري وعوزي المظلي ، ولكن باسلوب قصصي قاصر ، يبدو فيه هم الكاتب منصباً على سرد الحوادث التي حدثت باسلوب مطول ، ثم

(١) انظر: אורן שריג, דנידין במטוס החטוף, עמ" 89.

يربطها بافكار ايدو يولجية ، من خلال تعابير سطحية للغاية ، لتبدو كرسم باهت الالوان للاحداث وعبارات الجدل التي درات على الالسن في اسرائيل في تلك الايام حول هذه الكارثة.

لاثبات ذلك ، نلقي نظرة على وصف الكاتب لدورا بلوخ – التي توفيت – والتي سمى شخصيتها في كتابه : «برق ورعد في مشارف اوغندا» باسم دوريث شلومي ، اذ يصف كيفية ضرب الفدائيين لها ، ويفسر أيضاً سبب غضبهم منها ، ببيانه أن الانفاس قد توقفت لمنظر المخرب ، الذي يرفع يده ، ويضرب بكل قوته العجوز التي كانت مع جماعة الركاب ، فيطرحها ارضاً ويرفسها. ثم يبين سبب اختيارها للضرب من قبل المخربين في الطائرة ، فيقول : كان ذلك لانها كانت تحمل في يدها كتاباً مصوراً عن حرب عام ١٩٧٣م. فما أن رأى ذلك احد الفدائيين صاح بها : أنت تحملين دائماً الدعاية الكاذبة؟! أليس مكتوباً هنا أنكم انتصرتم في حرب ١٩٧٣م؟! هاه ، هاه ، هاه ، من تريدون أن تخدعوا؟! فتجيبه : سأهديك الكتاب وسأكون مسرورة اذا قرأته ، وقصصت على اصدقائك كيف كانت نهاية حرب عام ١٩٧٣م ، التي توقفت عندما أمست قواتنا على ابواب القاهرة ودمشق ... لم تتمكن العجوز أن تتكلم بأكثر من ذلك ، لان الرد الوحيد الذي كان عند الفدائي على قولها ، بأن هاجمها بشراسة وأغلق فمها(١).

هذا هو نموذج عن حواد ث خارج اسرائيل ، وهناك نماذج أخرى من قصص ادب الاطفال العبري ، تناولت حوادث في الداخل ، ونقف بهذا الصدد على ما يقوله صاحب كتاب : «وجوه مشوهة»(٢).

إن الخوف من المخربين (الفدائيون) ، يظهر في كتب كثيرة وبصورة مباشرة وغير مباشرة. ونرى ذلك من خلال وصف نعمي عوفري في كتابها : «مزيفو النقود» ، حين تصف الاستعدادات للعرض الذي سيجري في القدس بمناسبة ذكرى الاستقلال ، معبرة عن المخاوف من الاعمال التخريبية (الفدائية) ، اذ تقول : «إن من السهل الاندماج في جمهور المحتفلين على شخص يخفي قنبلة في ثيابه ، أو من الممكن أن تنطلق النار من نافذة تطل على مسيرة العرض..».

قد تكون هذه المخاوف محقة اذ أن الفلسطينيين يبيتون النية لاعمال كهذه ، والفتية الابطال – اليهود ، بدورهم يقومون بأعمال بطولة مثيرة ، وذلك حين يعثرون على (جورج) وسكيناً مزروعاً في ظهره ، ورغم خوفهم الشديد من احتمال ذبحهم ثلاثتهم ، إلا أن داني يشجعهم على الثبات والصمود في مواجهة القتلة والتغلب عليهم ، وروني المتردد الذي اذا كان

(١) انظر: איתן דדיר, ברק ורעד באוגנדה, עמ" 14.
(٢) انظر: אדיר כהן, פניט מכוערות במראה, עמ" 147.

لا بد له من مواجهة عصابة الارهابيين – الفلسطينيين – فلن يتراجع عن ذلك لقناعته بأن الواحد منهم (الفتية اليهود) يستطيع أن يواجه عدداً من اولئك الارهابيين – الفلسطينيين – وبالفعل فقد كان على حق ، اذ حدثت المواجهة بين الفتية والمخربين (الفدائيون) ، وانتهت بانتصار اريك وروني وداني ، الذين القوا القبض على احد الجواسيس وبدأوا التحقيق معه :

– قل له : اذا لم يفتح فمه فوراً سوف أذبحه كالدجاجة. زأر داني.

– قلت لداني : لقد ضربته أمه يوم كان صغيراً ومنعته من التحدث الى غرباء ، ومن يومها فهو لا يخاطب أي غريب.

– صاح داني وبصوت مرعب : اذا كان خائفاً مني ، فسوف أقدم له سبباً حسناً لذلك.

ويواصل صاحب كتاب : «وجوه مشوهة» قوله في هذا المجال :(١) إن لعنة «الفتى الخارق» الاسرائيلي والتي تظهر بكل بجحها وقسوتها ، بصرختها وتسفلها ، واضحة في كتابات (افنير كرميلي) ، و(أون سريج) و(عيدو سيتر) ، و(رفائيل ساهر). كما توجد اصداء اقل في سلسلة : «أولاد غير معروفين» (لجاليه رون – فدر) ، التي يهدأ الضجيج فيها الى حد ما اقل من غيرها ، إلا أنها ما زالت فظة وساذجة في كتب المغامرات لمناحيم تلمي ، والشيء نفسه يوجد في سلسلة : «أبناء البلدة القديمة» لحايم إليآب ، التي تبدو سلسلة منسابة بشكل مباشر في قصص : «حسبماه» ليجآ ل موسينزون ، ومجموعات أخرى من القصص ابطالها المخربون (الفدائيون) ، فهذا باروخ نادل في كتابه : «ناتي وسر الحصن في عكا» ، يصف المخربين (الفدائيون) بأنهم يخططون لنسف مسجد وفيه المصلون ، لتلصق التهمة من بعد باليهود ، ، ومن ثم تبدأ الاشتباكات بين العرب واليهود ، وهذا ما تريده «حركة فتح» ، غير أن المكيدة تنكشف ، ويلقى القبض على المخربين ، ويظهرون بكل جبنهم وسفالتهم. ويواصل هذا الكاتب وصفه بالقول : «حتى رجال (بيل كارتر) لم يكونوا جبناء الى هذا الحد». ويتابع حديثه في هذه المسألة ببيان موقف الفتية اليهود الابطال ، على لسان الفتى يوبال الفتى الاسرائيلي المثقف الذي قرأ سلسلة بيل كارتر كاملة ، تلك السلسلة التي تعتبر غذاء ادبياً وروحياً ممتازاً ، حيث تبرز الصورة المعتادة من التوسل والبكاء والصراخ : الرحمة ، الرحمة؟! لا تطلقوا النار! لا تطلقوا النار ، وتسليم الاصدقاء (اعضاء المجموعة) ، قال احدهم – الفدائيون – الذي وقع في الاسر وهو يرتعد بكل اجزاء جسمه : لقد ذهبوا الى المسجد لنسفه ، اقسم بحياتي ، وبعد أن قام رجل منكم – من اليهود – بقتل قائد مجموعتنا بالسكين ، خاف افراد المجموعة ، فقرروا أن

(١) انظر: المصدرالسابق، ص ، ١٤٨.

يذهبوا الى المسجد و يقتلوا كل المصلين ، لقد جن جنونهم من الخوف ، اقسم بحياة الامانة(١).

ما زال التعليق على هذه المسألة لصاحب كتاب : «وجوه مشوهة»(٢) هناك عدد من كتب ادب الاطفال العبري ، تتحدث عن عمليات المخربين ـ الفدائيين ـ واختراقهم الحدود والاعتداء على المستوطنات ، ومن هذه الكتب كتاب : «قصاصو الاثر في الحدود الشمالية» (لعوديد بيتسر) ، الذي يصف فيه الحياة في مستوطنة على الحدود الشمالية خلال الفترة التي اعقبت حرب يوم الغفران (رمضان) فيبرز المخاوف من العمليات التخريبية (الفدائية) التي يشعر بها المستوطنون ، وكان هذا الوصف واقعياً ، بحيث يؤكد على السبل الكفيلة بمحاربة المخاوف من الارهاب ، والتوصل الى حياة أمينة ، وعندما تبدو الامور متطرفة ، فان ذلك يكون من الواقع المرير الذي تورثه العمليات التخريبية (الفدائية) و يبدو ذلك في حديث (دافيد لرامي) : «لا تتحرك يا رامي ، قد يخرج المخربون (الفدائيون) الآن من المغارة ، ولا نعلم ماذا كانوا سيهربون .. سيظهرون و يعلنون الاستسلام ثم يحاولون شق طريق للهرب ، يجب عدم تصديقهم ، لقد حدث ذات مرة أن خرج ستة رجال من العرب ، من مكان كانوا يختبئون فيه وايديهم مرفوعة ، وعندما اقتربنا منهم خرج من ورائهم رجل عربي سابع والقى قنبلة»(٣).

النظرة الايجابية نحو الفلسطينيين :

يقول كوهين(٤) : خلافاً لنظرة الاستعلاء غير الانسانية التي تملأ الكثير من كتب أدب الاطفال العبري ، نلاحظ في ثنايا بعض الكتب لهجة انسانية تجاه الفلسطينيين ، كتقديم المساعدة لهم في حال كونهم جرحى ، رغم الحذر الشديد ، كما قد تقوم علاقة من نوع ما رغم انعدام الرحمة وتأصل الخوف الناجم عن الحوادث المتلاحقة ومن ذلك ما أورده (عوديد بيتسر) في كتابه : «قصاصو الاثر في الحدود الشمالية» بقوله : «شاهدت هناك (في الحدود الشمالية) جنودنا .. وقد كان عشرة مخربين جرحى على الارض بالقرب من مغارة كانوا يختبئون فيها ، وأحد جنودنا كان ملقى على مسافة منهم وعلى ساقه ضمادة ، وبالقرب من شجرة جلس ستة من العرب وهم صامتون ورؤوسهم ووجوههم مغطاة ، ولا يقف لحراستهم أي جندي». ورغم أن هذه النظرة الايجابية عابرة جداً إلا أن الكتاب اليهود لا يمكن لهم أن يتخلصوا من ابداء

(١) انظر :باروخ نادل ، ناتي وسر الحصن بعكا ، ص ١٣٢.
(٢) انظر: אדיר כהן, פנים מכוערות במראה, עמ" 148,149.
(٣) انظر: عوديد بيتسر ، قصاصو الاثر من حدود الشمال ، ص ٧١.
(٤) انظر: אדיר כהן, פנים מכוערות במראה, עמ" 149.

الموقف السلبي من الفلسطينيين ، وذلك كما هي الحال في كتاب (باتية كرمي) : «مجموعة الشجعان وراء المخربين» ، حيث يصور هذا الكاتب عملية انقاذ تمت في اللحظة الاخيرة لمجموعة من الفتيان اليهود قبل أن ينفجر بهم قلم وجدوه. و يصور الفتى تسيون وهو يتحدث عن المخربين الذين يضعون مواد متفجرة في ارغفة الخبز وفي البطيخ ، و يجآل وهو يتحدث عن علب الخضار والفاكهة التي لغمت ، وكذلك اجهزة الراديو والساعات ، ومثله موشيه الذي يقول : إن المخربين يقتلون النساء والاطفال.

بعد ذكر ، هذه الصور السلبية لا ينسى الكاتب ابراز النظرة الايجابية نحو الفلسطينيين من قبل الفتية اليهود الذين يقدمون المساعدة لاولئك الفلسطينيين،اذ يبين أنه بعد مغامرات كثيرة يقوم الفتية اليهود بانقاذ المخربين من الغرق ، و يساعدونهم في التحكم بالقارب ، الذي كان على وشك أن ينقلب ، واذ يسمع صوت احد الفلسطينيين يخاطب الفتية : نحن ابناء عم ، نحن نرى انكم شجعان وطيبون تقدمون المساعدة وقت الضيق ، ومن المستحسن أن نعيش بسلام.

و يرد موشيه : توجد هناك ازمة مشتركة لنا ولكم ، تواجهنا كسمك القرش المخيف ، هذه الازمة تركت لدينا قناعة بأن كل بني الانسان يجب أن يعيشوا بسلام و يساعد كل منهم الآخر.

و يقول يجآل : إن من المفيد أن تجتمعوا بفتياننا ، وأن تتحدثوا مع بعضكم البعض ، لعل هذا يكون تمهيداً للصداقة ومن ثم السلام.

ورد الفلسطيني ذو الشوارب : أمامنا بعض المحاولات التي تشجع فكرة السلام في الكتب التي تتحدث عن الفلسطينيين ، وهذا أمر جيد.

و يقول حول هذه المسألة صاحب كتاب : «وجوه مشوهة»(١) : لولا سطحية هذه القصة ، لكان من الممكن أن نرى فيها شيئاً مهما في ادب الاطفال الذي يعالج هذا الموضوع.

و يستمر كوهين قائلا : إن من الكتب التي ابرزت نظرة انسانية للمقاتلين الفلسطينيين على أنهم بشر ، رغم الحديث على حقدهم ومكائدهم واعمالهم ضد اليهود في كتاب : «من يركض في الازقة» للكاتب زئيف فاردي» ، وذلك حين يسردحكاية تلميذين من الصف السابع سافرا الى القدس بعد حرب عام ١٩٦٧م ، وهما يتنكران في زي عربي ، وراحا يتجولان في ازقة البلدة القديمة و يتعقبان أبا نمر ، ولكنه استطاع الافلات منهما ، و بعد زمن يقعان في يد أبي نمر و يستجوبهما ، فيطلب من داني أن يبلغه ببعض ما عنده من الاسرار مهدداً متوعداً ، غير أن

(١) انظر : المصدر السابق.

ابا نمر هذا يبدي شيئاً من الانسانية نحو داني وهو يقول له : انظر يا داني ، أنا أيضاً عندي ابناء ، ولا أريد ايذاءك ، إن كنت ذكياً وقلت لي الحقيقة ، فلا تذرف عليك الدموع فاني انتظر(١).

لا يتوقف الامر في النظرة الايجابية المحدودة تجاه الفلسطينيين عند كتاب القصص انفسهم ، بل يتجاوزهم الى نفر قليل جداً من النقاد اليهود ، ممن وجهوا النقد اللاذع لهذا القصص ، الذي شوه صورة العربي في أعين الاطفال اليهود ، معتبرين ذلك من الاعمال التي لا مبرر لها من قلب الحقائق والانفصال عن الواقع الى الخيال ، ولنستمع الى تعليق ادير كوهين :

«... وهنا أيضاً كما في الاحاديث التي تعالج الآراء القديمة (الستيريوتيب) ، يعود و يبرز السؤال المر : أليس هذا الامر فيه من المبالغة الشيء الكثير؟! وتتوالى الاسئلة حول القصص المختلفة :

ـ اليست قصة دورا بلوخ غريبة؟ بل تزيد غرابة في وصفها للعرب على كتاب درور ايتان؟!

ـ اليست القصص التالية : (معلوت) و(فندق سافوي) و(الكانتري كلاف) و(كريات شمونه) و(اختطاف داني كاتس) و(قتل المجندات في الطرق) ، اليست كلها قصص كافية لكي تملأ الكأس بالسم الزعاف؟ بل أليس أدب الاطفال ملزماً بتهيئة الفتى للوقوف والصمود في وجه الاخطار التي تنتظره في الطريق؟ والمخاوف المحتملة من عمليات أو هجمات المخربين ، والموت والدمار الذي يزرعونه؟!

إن الاجابة على كل هذه التساؤلات ، بالايجاب ، فالحوار والجدل لا يدور حول العمليات وأعمال التخريب ووصفها ، بل يدور و ينصب على اسلوب الوصف وحبك القصص حوله ، ثم أن مناهج الحديث والسرد المرتكزة على النغمة المتعالية والمتبجحة في رسم الشخصيات (الستيريوتيبية) القديمة تبتعد عن التعمق في القيمة الادبية والفنية الجدية ،التي يتطلبها موضوع متنوع الجوانب معقد ومتشابك كهذا(٢).

وهكذا نلاحظ أن بعض كتب قصص الاطفال العبرية ، تشكل كتب نقد للقصص السلبي ، وهي رغم ندرتها ، تحاول أن تبرز صوراً ايجابية للعرب ، ففي مقابل العرب المعتدين والمقاتلين ، تجد في هذه الكتب المقصودة هنا صورة للشخصية العربية جيدة وايجابية ، وبخاصة صورة ذلك العربي الذي ربط مستقبل حياته باليهود.

(١) انظر : زئيف فاردي ، من بركص في الازقة ، ص ١١٤.

(٢) انظر: אדיר כהן, פנים מכוערות במראה, עמ" 151.

كتبت قصة تدور احداثها حول حرب عام ١٩٤٨م ، تبرز قصة شاب عربي اقدم على حماية شاب يهودي واخفائه عن أعين العرب حين وصل الى منطقة يسيطر عليها المقاتلون العرب ، وكان الشاب العربي قد فقد أباه وهو صغير لينشأ يتيماً ، وفي صغره تقول القصة على لسانه : أنه صادف شاباً يهودياً طيباً كان يسكن قريباً من مدرسة شنيلر ، وكان اسمه (جرشون) ، واقدم الشاب اليهودي على تعليم الشاب العربي القراءة والكتابة بالعبرية ، اذ كان عنده طلبة كثر. و يقول الشاب العربي : كنا نجتمع في المساء في غرفته ، فقد ارشدني جرشون هذا الى الطريق في الحياة ، لقد كان يقول لي : يا علي ، أنا لا أريدك أن تصبح يهودياً ، بل اريدك أن تبقى مخلصاً لشعبك ، ولكن لتكن قبل أي شيء انساناً ، لأن هذا هو رأس الامور ، إن العالم متسع و يوجد فيه مكان للجميع ، واذا عمل كل انسان جهده بصدق واستقامة ، فسوف يجد عيشه باحترام ، فكل المشاكل تبرز بسبب اولئك الذين لا يريدون العمل ، بل يسعون الى الاستغلال والغش لاصدقائهم ، فيعمدون الى اثارة الكراهية بين افراد شعبهم ومن كلا الطرفين ، و يتسببون في نشوب الحرب وسفك الدما(١).

واضحة فكرة هذه العبارة السابقة حين تدس السم في الدسم ، فكم جميلة هذه الفكرة ، لو ادركها الشباب اليهود أو لقنت لهم ، كما لقنت للشاب العربي ، فهل يأخذ بها الشباب اليهود يا ترى؟! ونقول : أن من يقول بمثل هذا القول ، نحسبه لا يتعدى حد الاعتدال في التطاول والاعتداء على ما للغير.

ونورد أخرى للعربي الجيد في قصص الاطفال العبري ولكنه من نوع آخر ، والحكاية : خرجت جماعة من الشباب اليهود لاستعادة قطيع بقر كان قد سرق من احدى المستوطنات الزراعية ، وفي الطريق ينضم اليهم شاب عربي اسمه (مصطفى) و يبادرهم بالقول : أنا من قرية (نطيفه) المجاورة لعين حارود(*) وقد كنت أحضر كل يوم الى (شموئيل) ذلك الراعي الذين يعمل في مستوطنتكم ، وكان يعطيني الطعام والملبس ، كما أنه علمني أن اتكلم العبرية ، فاصبحت احب المستوطنة ، ولذلك كنت اساعد شموئيل وهو يرعى قطعان المستوطنة ، والآن ، فقد اتفق احد رجال القرية مع رجال من شرقي الاردن واخذوا قطيع البقر ، أنا اعرف أن جميع من في المستوطنة سيكرهني ، و يطردني شموئيل ، كما يطرد الكلب ، لانني من القرية الشريرة(٢).

(١) انظر : يهودا سلوى ، نار في الجبال ، ص ٤٢.

(*)عين حارود ، هي عين جالود وتقع في شمالي فلسطين الى الشمال من جنين.

(٢) انظر : اريه حشبيه ، شبان ابطال ، ص ٢٥ ، ٢٦.

إن من الملاحظ أن صورة هذا الشاب العربي الايجابية من وجهة يهودية تنحاز الى التسفل والانحدار ، لكون صاحبها يتمتع بشخصية نفعية ، تلهث وراء تافه الامور من فتات الطعام ورث المتاع ، فالايجابية المقصودة في هذه الصورة ، ايجابية قصدت أن تكون باهتة وضيعة ، تبرز تعالي وبطولة الطرف الآخر ، وهذا يدفعنا الى القول:أنها اسوأ سلبية من الصور السلبية الواضحة ، وهذه الشخصية كما في النموذج السابق عليها ، يحاول راسموها أن يبنوا صرح ايجابيتها على انقاض هدم شخصية بني قومها ، ولا أدل على ذلك من ابراز خجل هذا الشاب العربي من أعمال بني قومه المشينة ، اذ أنهم من اللصوص ، بل أن الكاتب يتنصل من وصف هذا الشاب بوصف سلبي ، ويريح نفسه من هذه المهمة ، ليترك للشاب نفسه أن يحمل نفسه مسؤولية ما جنى اللصوص ، فيتوقع أن يطرد كالكلب ، الست معي أن هذه هي قمة السلبية؟!

وصورة ايجابية أخرى من هذا الصنف للعربي نوردها ، واليك هي :

ـ شابان اسرائيليان يضلان الطريق اثناء رحلة الى النقب ، ليجدا نفسيهما في خيمة بدوية ، وفجأة يدخل شاب بدوي يلبس البزة العسكرية الاسرائيلية ويتلكم العبرية ، وحين سمع الشابان اليهوديان كلامه بالعبرية بدت على وجهيهما الفرحة ، وظهر جلياً أن هذا الشاب العربي يخدم في فرقة الاقليات في الجيش الاسرائيلي ، وافاد ، بأنه يعرف الضابط (موسى) من رحوبوت ، ثم واصل الشاب العربي حديثه بلهجة مختلطة بين العربية والعبرية ، واستطاع الشابان اليهوديان أن يفهماه جيداً(١).

ونواصل مع نموذج ايجابي آخر للشخصية العربية في ادب الاطفال العبري وهو :

ـ قامت علاقة ودية بين مستوطنة يهودية وقبيلة بدوية قريبة منها ، ومن منطلق هذه العلاقة ، يقام سباق بين سيارة من المستوطنة وجمل لاحد افراد القبيلة ، حسن الجيدي كان يرتدي بزة عسكرية جذابة ملفتة للنظر ، وقد وضع الكوفية على رأسه وتدلت على كتفيه ، وبندقيته الطويلة تهتز في جرابها على صفحة الجمل(٢).

ونموذج ثالث من هذا النمط نورده وهو :

ـ عندما يخرج فتية من اليهود الى وحدة حرس الحدود ، يقابلون قاص اثر عربي ، أنه من مواليد قرية الطيبه ، جسمه صغير ، ونحيف ، سريع المشي والحركة بشكل عجيب ، ووجهه

(١) انظر : ابراهام سلمون ، من البيت الى النقب ، ص ١٥٥ ، ١٥٦.
(٢) انظر : يهود هنجبي ، شوكة الارجمان ، ص ٦٠.

فيه كثير من التجاعيد ، وعيناه صغيرتان لامعتان عميقتان ، وثاقبتا البصر ، وكل حياته قضاها يعمل في هذه المهنة في الماضي مع الانجليز ـ أيام حكم الانتداب ـ ومن ثم راح يعمل مع شرطة اسرائيل ، وهو اليوم قاص للاثر ممتاز وأمين في قاعدة لحرس الحدود في الشارون (*)(١).

يقول الناقد اليهودي حول هذه النماذج الايجابية من وجهة النظر اليهودية :

اذا قارنا هذه الفقرات من هذا النمط الايجابي ، بصورة العربي العادي، نجد الوصف الستيريوتيبي يكاد يختفي ، وعندما يصبح العربي واحداً منا ـ من اليهود ـ فانه يحظى بصورة انسانية افضل ، وفي كل الفقرات ظهرت الحقيقة بأن هؤلاء العرب لم يفقدوا صفاتهم الخاصة بهم في الملبس والمسلك ، كما أن لمعرفة اللغة حساباً خاصاً ، في جسر الهوة بين الشعبين وهو عمود اساس في بعض القصص.

إن كان هذا هو رأي الناقد اليهودي ، ففي رأينا أن الآراء القديمة (الستيريوتيب) موجودة حتى في هذه النماذج التي يعتبرها ايجابية في رسم الشخصية العربية على قلتها في أدب الاطفال العبري ، اذ أنها لا تخلو من نزعة تهكمية أو تهاون بحق رسم هذه الشخصية فضلا عن امتهانها ، فرغم أن الشاب العربي قد خدم في الجيش الاسرائيلي ، إلا أنه يخدم في فرقة الاقليات ، وكم من معنى في هذا الاجراء ، بل إن نصب ميزان التوازن وعقد المقارنة بين العربي المتخلف واليهودي المتحضر وهذا مما يصر على ابرازه كاتب القصة اليهودي ، يبدو جلياً من خلال الرسم الايجابي للشخصية العربية ، حين يقوم السباق بين سيارة اليهودي وجمل العربي.

كان بودنا لو أن هذه النزعة الايجابية الباهتة والنادرة الخاصة في رسم ملامح الشخصية العربية ، تخلو من مثل مواضع الغمز هذه ، لتأخذ مساراً أعمق في ابراز البعد الانساني للشخصية العربية ، فيا حبذا لو تجرأ كاتب يهودي ونجح في وضع الشخصية العربية ايجابياً على قدم المساواة مع الشخصية اليهودية ، وهذا ما لم نلمسه على الاطلاق ، في جميع ما وقفنا عليه من هذه النماذج مما اوردنا ذكره للاسف الشديد.

(*) الشارون : هو سهل شارون وهو الساحل الفلسطيني بين حيفا ويافا ويعرف في المصادر العربية بسهل قاقون ، وبخاصة منطقة الوسط.
(١) انظر : م. جرعين ، الشيطان ٢ يخرج الى الحدود ، ص ٤٣ ، ٤٤.

المبحث السادس
(الآباء يأكلون الحصرم والأبناء يضرسون)

لقد وقع اختيارنا على هذا المثل العربي ليكون عنواناً لهذا المبحث من واقع رغبتنا في بلورة نتيجة صنيع كتاب أدب الاطفال اليهود ، وأثر هذه النتيجة على اطفالهم عماد مجتمعهم في المستقبل ، خاصة وأنهم يسهمون اسهاماً فاعلا في بناء شخصية هذا العماد.

ففي الآتي من القول على هذا الأمر ، سنعرض لمواقف النقاد اليهود انفسهم ، لبيان نقدهم اللاذع لما كتب بنو جلدتهم.

يقول «ادير كوهين» في كتابه «وجوه مشوهة في المرآة» : لقد اجرينا مسحاً ميدانياً حول موضوع (الشخصية العربية في ادب الاطفال العبري) بهدف اولي يتمثل في ابراز موقف النشء – الاسرائيلي – من أبناء المرحلة الابتدائية من العرب ، وتحديد صورة العربي كما ترتسم في أعينهم ، كما أن من اهداف هذه الدراسة ، الوقوف على ما اذا كان لمطالعتهم في ادب الاطفال من تأثير في نظرتهم الى العرب ، وعلى فهمهم لطبيعة الصراع بين اليهود والعرب ، وعلى مدى استعدادهم لتقبل حياة مشتركة فيها وئام وسلام.

اشترك في الدراسة خمسمائة وعشرون تلميذاً من الصفوف : الرابع والخامس ، والسادس ، من مدرسة في جبل الكرمل في حيفا. وطلب من التلاميذ أن يكتبوا في المواضيع الخمسة التالية :

١ – ما هي الافكار التي تراودك عند قراءة كلمة : «عربي»؟

٢ – كتابة قصة حول لقاء بعربي.

٣ – ما هو الانطباع الذي تخرج به بعد قراءة كتاب فيه وصف للعرب ، وهل تأثرت به أم لا؟

٤ – محاولة تفسير ماهية الصراع بين اليهود والعرب.

٥ – ما رأيك في امكانية حياة صداقة وسلام مشتركة بين اليهود والعرب؟

وتمخضت الدراسة عن النتائج التالية :

١ – خوف شديد متأصل في نفسيات تلاميذ هذه المدرسة ، اذ أن اكثر من ٧٥٪ من الاجوبة وصفت العربي بالصفات التالية :

مختطف ، قاتل ، مخرب ، مجرم ... الخ.

٢ – الستيريوتيب (الآراء القديمة المسبقة) المتعلق بالعربي والمنتشر في ادب الاطفال العبري الحديث ، واضح تمام الوضوح في الموضوعات الخمسة السابقة ، فنسبة ٨٠٪ من الاجوبة تظهر العربي في الصفات التالية :

ساكن صحراء ، صانع خبز (فران) ، لابس الكوفية ، راعي الاغنام ، صاحب وجه مرعب ، صاحب ندبة ، قذر.

٣ – معرفة اليهود بالعرب عن قرب ضحلة جداً ، والنظرة اليهم عامة وشاملة ، ولا تقوم على اساس من اللقاء الشخصي ، فعدم المعرفة الحقيقية واضح ، وعلى العكس من ذلك تماماً حين تكون الاقوال التي يطلقها التلاميذ صادرة عن معرفة مباشرة واختلاط بالعرب ، فهي تكون أكثر اتزاناً وواقعية ، والحديث هنا يتعلق بدراسة جزئية لما يقارب نسبة ١٥٪ من عدد التلاميذ.

٤ – إن الاقوال الايجابية قليلة جداً ، اذ بلغت ما نسبته حوالي ٢٠٪ من مجمل الاقوال ، مما يرتب السؤال التالي : ما هي الفوائد التي نسعى اليها من وراء علاقاتنا بالعرب ، وكم سينضم الى هذا الاتجاه ، الذي يكون ايجابياً من منطلق التسامح ، ولا يرتكز على التفاهم والصداقة الشخصية؟!

إن نسبة ١٠٪ من الحالات ، اظهرت أن العلاقة بالعرب يجب أن تقوم على اسس انسانية ، ودون وصف العربي بأوصاف قديمة (ستيريوتيب) ، ودون النظر اليه بنظرة استعلاء.

٥ – إن نسبة الخوف من العرب مرتفعة بين تلاميذ الصف الرابع الابتدائي فما دون ذلك ، وكلما ارتقت الصفوف صاعداً ، فان نسبة الخوف تقل.

غير أن النظرة الى العرب في ضوء الآراء القديمة المسبقة (الستيريوتيب) ، ما زالت قائمة في اوساط التلاميذ ، مع ملاحظة أن النظرة الانسانية الى العرب أخذت تظهر ، في حين نجد أن نسبة ٩٠٪ من عينة الدراسة ترفض حق العرب في فلسطين ، أو فكرة

التعايش بين العرب واليهود ، أو اعطاء العرب حقوقاً ثابتة وتامة للحياة في هذه البلاد.

٦ ـ وجد في اوساط التلاميذ الذين نشأوا خارج فلسطين ، وخاصة في اميركا ، والذين وصلوا الى البلاد مع ذويهم في السنوات الاخيرة ـ وجد في اوساطهم ـ تفهم أكثر ، ودرجة اعلى من نسيان الآراء المسبقة القديمة (الستيريوتيب) ، وهم أكثر تفتحاً واستعداداً للحياة المشتركة مع العرب.

٧ ـ نسبة قليلة من عدد التلاميذ ـ عينة الدراسة ـ قاموا بمحاولة شرح اسباب الخلاف العربي الاسرائيلي ، وفي عبارات موجزة مثل القول : «هم (العرب) يريدون قتلنا» و«يريدون طردنا من البلاد» و«يريدون احتلال بلادنا» و«يريدون أن يلقوا بنا الى البحر».

٨ ـ نسبة ٤٥٪ تقريباً من عدد التلاميذ ـ عينة الدراسة ـ اعربت عن الرغبة في السلام مع العرب. ونسبة ٣٢٪ اعربت عن ايمانها بأن السلام ممكن. ومعظم من اعربوا عن الرغبة في السلام مع العرب ، يربطون هذه الرغبة بشرط اعتراف العرب بوجود اليهود في البلاد وحقهم فيها كاملة.

٩ ـ إن نسبة ٥٨٪ من التلاميذ اعترفوا بأن كتب أدب الاطفال العبري أثرت في نظرتهم الى العرب ، ونسبة ٢٣٪ من هؤلاء ذكروا اسماء هذه الكتب التي ابرزت صورة العربي ، ومعظمهم اشار الى الكتب التي تبرز الصور السلبية للعرب.

ولكي تدعم النتائج التي ذكرت ، بل لتوضيح المواقف المختلفة للتلاميذ ، نشير بالذكر الى نتائج هذه الدراسة من خلال اقوال بعض اولئك التلاميذ عرضاً للحقيقة أمام العيان :

يقول التلميذ د. ش. : ـ العربي ـ مجرم ، وسخ ، نتن ، راع للأغنام ، مختطف ، بائع متجول في السوق ، لص ، يساعد غيره ، صديق جيد ، (رجل) حرب ، يهتم (بتوافه الامور) ، رجل غريب في البلاد ، فلاح أو قروي ، (صاحب) لغة دخيلة ، يجمع السعتر(*) و يصنع الخبز (فران) ، و يعمل بالبناء.

يجب التنبه وتركيز الملاحظة على خلط الصفات السيئة بالحسنة مثل : (مجرم) ، و(يساعد غيره) و(سارق) و(صديق جيد) .. الخ.

يقول التلميذ ي. ع. : ـ العربي ـ منظره غريب (شاذ) ، قصير القامة ، يغضب بسرعة ، صاحب شعر أخضر ، من بلاد ليست لنا (غريب) ، شرير ، يعلمنا اللغة السيئة ، غبي ، حسن الى حد ما ، غير متزن.

(*) السعتر : تكتب بالسين والصاد ،اما الزاي فخطأشائع ، والسعتر هو النبات المعروف في بلادنا.

تمكن ملاحظة الوصف (صاحب الشعر الاخضر) التي تدل على عدم اللقاء الشخصي والمعرفة المباشرة لقائلها بالعرب.

و يقول تلميذ آخر لم يذكر اسمه : قتل العرب داني كاتس ، أنهم اعداء ، اكرههم ، (العربي) خنزير ، صاحب مهنة حقيرة ، راعي أغنام ، سارق.

يلاحظ على مقولة هذا التلميذ ، أنه بدأها بذكر حادثة قتل داني كاتس ، ليعبر الى الصفات التي ذكرها عن العداء السافر والاحتقار والسخرية.

مما سبق من الردود السلبية ، يلاحظ الخوف من العرب ، وقد يكون ذلك ناجم عن أعمال الفدائيين المتكررة. غير أن هناك ردوداً ايجابية جاءت على السنة بعض هؤلاء التلاميذ ـ عينة الدراسة ـ نذكر منها :

ـ برأيي ، العربي رجل عادي.

ـ العربي ، يمكن أن يكون عدواً وصديقاً في آن معاً.

ـ اعتقد أنه لا داعي لطرد العرب ، لانه يوجد من بينهم من يريد العيش معنا بسلام.

إن ما مر يدفعنا الى التوقف عند الذي قاله التلميذ ع. ط : لي صديق عربي اسمه محمود ، احبه و يحبني ، وغالباً ما نلتقي في فصل الشتاء ، فنلعب لعبة الشطرنج معاً.

هذا المثال الايجابي ، نضعه لقاء مثال آخر يناقضه ، وهو ما قاله تلميذ لم يذكر اسمه : يجب قتل العرب ، و يجب وضعهم على كرسي كهربائي ، كما يجب أن نشنقهم و يجب أن نطردهم.

إن من الممكن ملاحظة الشعور الخاص فيما قاله التلاميذ وما كتبه بعضهم ، أو ما رددوه من اغان. اذ أن التلميذ حين يعطى الفرصة لكي يرتب افكاره ، مما يؤدي الى أن تبرز الابعاد السيئة في هذه الافكار وتلك المشاعر ، التي تخضع لاعتبارات التلميذ الشخصية ، فمثلا لنرى ما كتب التلميذ : ل. ب : صعدت الى الباص ثم جلست ، وصعد عربي الى الباص ثم جلس الى جانبي ، ففكرت في الانتقال الى مقعد آخر ، وانتقلت فعلا ، فما كان من العربي إلا أن لحق بي الى مقعدي الجديد ، مما دفع بي الى الاعتقاد بأنه يضمر لي شراً ، اذ ظننت أنه يخطط لاختطافي ، وحين أراد العربي مغادرة الباص ، منعه السائق واستدعى رجال الشرطة ، الذين قاموا بدورهم باقتياده الى السجن..

كما هو واضح فقد ابرزت هذه الدراسة ابعاداً سيئة في مشاعر اليهود نحو العربي لمجرد أنه

عربي فقط ، ومن هذه الابعاد :

١ ـ اعتبار العربي غريباً لمجرد أنه عربي لا أكثر ولا أقل.

٢ ـ التخوف من أن يقوم بأعمال الاختطاف لمجرد أنه عربي.

٣ ـ المطالبة بسجنه لمجرد أنه عربي.

٤ ـ الشعور بأنه مجرم لانه عربي.

٥ ـ يجب استدعاء الشرطة للعربي لانه عربي.

هذه هي الابعاد التي يمكن ملاحظتها في كل ماصدر عن التلاميذ موضوع الدراسة ، وسنواصل ذكر نماذج مما كتب اولئك التلاميذ لتأكيد تلك الابعاد التي ذكرنا آنفاً ، فقد كتب التلميذ : ي. ع. مبرزاً هذه الابعاد : سافرت مرة الى القدس ، فجلس الى جواري احد الاولاد العرب ، وكان محتذياً في قدميه بحذاء ممزق ، ويلبس لباساً قذراً ، وبشرته سوداء ، لكل ذلك قمت من المقعد رافضاً الجلوس الى جواره.

إن الاعمال الفدائية حظيت بحظ من أقوال التلميذ : ج. ل. الذي كتب : سافرت ذات مرة بالباص ، فجلس الى جانبي ولد عربي كان مظهره ينبىء بفقر مدقع فهممت بالقيام من جواره ، غير أنه قال لي : لن امسك بأذى ، لكنني رأيت بحوزته سكيناً حاداً ، فوقفت فجأة ، غير أنه أخرج السكين وحاول قتلي ، فأمسكت به والقيته أرضاً وأخذت منه السكين ، وفي الوقت نفسه لاحظت معه شيئاً اشتبه علي ، فأبلغت سائق الباص ، الذي قام بدوره بالاتصال بالشرطة ، وحين حضر رجال الشرطة قلت لهم : يجب التحقيق مع هذا الفتى ، ومن ثم اودع هو واسرته السجن ، حيث مكثوا فيه عشر سنوات بعدها اطلق سراحهم.

إن مقولة هذا التلميذ تضيف بعداً جديداً وهو العقاب الجماعي ، الذي تعرضت له اسرة هذا الفتى الى جانب تغلب الفتى اليهودي على الفتى العربي ، الذي كازيحمل سكيناً وشيئاً مشتبهاً به ، وأنه يقوم بعمل تخريبي.

ومن الابعاد التي تضاف الى ما سبق ، الخوف المتأصل في نفسيات التلاميذ ـ موضوع البحث ـ من العربي ، وسبب ذلك ، الخلفية الثقافية التي اكتسبوها من قراءتهم لقصص أدب الاطفال. فقد كتب التلميذ : أ. ر. يقول : ذهبت ذات يوم الى بيت حد الاصدقاء فسلكت طريقاً بين الاشجار الحرجية في جبل الكرمل ، وبينما أنا أسير في طريقي ، لاحظت عربياً يسير خلفي ، فظننت أنه يلاحقني ويريد اختطافي ، فشرعت أركض وقد سمعت صوتاً ينادي ، فظننت أن رفيقاً آخر للعربي ، قد اعطى الاشارة لاختطافي ، فحدت عن الطريق ، وراح العربي يركض

ورائي ، وهكذا واصلت الجري حتى انتهيت الى بيت صديقي (اليهودي) ، وبدأت أروي له حكايتي مع هذا العربي ، الشرير ، غير أنه أخذني اليه ، في حين حذرته من ذلك ، وهو يقول لي أن العربي صديقه.

ونموذج آخر من هذه الحكايات العامة ، تبرز التلميذ اليهودي ، وقد تخلص من الشعور المصطنع بالخوف من العربي ، وهي حكاية رواها التلميذ : د. ش. الذي قال : خرجت في نزهة مع يوآب ووالده ، فمررنا قريباً من قرية عربية ، وتملكني خوف شديد حتى مررنا بسلام ، وفي طريق عودتنا ، طلبنا من العرب ماء ، فاحترمونا وقدموا لنا الماء ، فشربنا وملأنا أوعيتنا.

هذه الحكاية تبرز أن مجرد المرور بالعرب ، أو الاقتراب من القرى العربية ، من الامور المخيفة ، هذا رغم ايجابية نتيجة هذه الحكاية(١).

لم يتوقف الامر عند هذا الحد في اجراء الدراسات من قبل الباحثين اليهود على عينات من الفتيان ، للوقوف على الاثر السيء لقصص الاطفال العبري ، على تكوين الخلفية الثقافية والتوجيه الشعوري لدى الفتيان اليهود ، فقد قامت الباحثة : «نافه زوهر» ببحث في الجامعة العبرية (عام ١٩٧٢) فحصت فيه كتب تدريس الادب العبري في المدارس الدينية والمدارس غير الدينية ، فتوصلت الى نتيجة مفادها : أن العربي المذكور في هذه الكتب ، ليس إلا ابناً لمجتمع قروي مقابل المجتمع العصري الذي ينشأ في هذه البلاد على أيدي اليهود الذين يستوطنونها. كما أن هذه الكتب موضوع الدراسة ، لم تتضمن أدنى اشارة الى علاقة العربي بالارض.

إن الامور التي عرضت في تلك الكتب ، وبالصورة التي عرضت فيها تؤدي الى الوصول الى نتائج (ستيريوتيبية) أي الآراء القديمة المنتشرة بين الشباب اليهود فيما يتعلق بالعرب.

أما فيما يتعلق بالقومية العربية ، فقد توصلت الباحثة في دراستها الى أن هذا الامر لم يذكر ولو لمرة واحدة في تلك الكتب حتى ولا باسلوب من التلميح ، كما توصلت الى نتيجة أخرى مفادها : أن النظرة السلبية تجاه العرب ، تظهر بصورة أوضح في كتب الادب المدرسية المعتمدة في المدارس الدينية.

وبحث آخر قامت باجرائه الباحثة : «حانه يكيري» من المؤسسة التربوية (تسفيت) حول الشخصية العربية في كتب الاطفال العبرية ، توصلت من خلاله الى النتيجة التالية : أن ظهور العرب بصورة قذرين ، ينتشر انتشاراً واسعاً وعميقاً عند الاطفال اليهود.

وهكذا تتواصل البحوث والدراسات الاحصائية الميدانية ، للوقوف على نظرة الشبيبة

(١) انظر : אדיר כהן, פנים מכוערות במראה, עמ' 12 - 16.

- ١٩٪ يرون أن للعرب حقوقاً كاملة أو شبه كاملة (الكاملة ٧٪ وشبه الكاملة ١٢٪) في هذه البلاد.
- ٥٠٪ يرون أن للعرب حقوقاً قليلة أو لا توجد لهم حقوق في هذه البلاد.
- ٤٤٪ يرون أن للعرب حق المساواة باليهود في هذه البلاد.
- ٥٦٪ يرفضون المساواة في الحقوق بين اليهود والعرب.
- ٣٧٪ يرون أنه مقابل حقوق المساواة باليهود ، فعلى الشباب العرب أن يلتزموا بالخدمة الوطنية.
- ٢٧٪ يرون الزام العرب بالخدمة الوطنية ، من غير منحهم حقوق المساواة باليهود.
- ٥٠٪ يرون تقليص الحقوق الآنية الممنوحة للعرب في اسرائيل وثلثهم يرون تقليص الديموقراطية في اسرائيل ، اذا كان ذلك يسهم في تقليص حقوق العرب.
- ٦٠٪ يرون أن بعض العرب الذين يعيشون داخل الخط الأخضر ، مخلصون لدولة اسرائيل.
- ١٨٪ يرون أن هؤلاء العرب جميعاً مخلصون لدولة اسرائيل.
- ٤٠٪ يؤيدون قيام منظمة انتقامية ضد العرب ، و١٠٪ منهم أبدوا استعدادهم للالتحاق بمثل هذه المنظمة اذا طلب اليهم ذلك.
- ٦٠٪ يوافقون على طرد كل عربي من أهل المناطق المحتلة ، في حال رفضه قبول المواطنة الاسرائيلية.
- ٣٠٪ يؤيدون صراحة آراء (حركة كهانا).

وتوصلت نتائج هذا الاستطلاع الى أن المواقف المؤيدة لعدم اعطاء العرب حقوق المساواة باليهود ، والتي تنم عن عداء سياسي تجاه العرب ، توجد لدى الشبيبة الاسرائيلية التي تعرف نفسها بأنها من أبناء الطوائف الشرقية والمتدينة.

لأهمية هذا النوع من الدراسات ، فقد توجهت اوساط بحثية مختلفة باسرائيل خلال العام المنصرم ، الى اجراء استطلاعات للرأي في اوساط الشبيبة الاسرائيلية ، انصب كلها على مواقف الشباب الاسرائيلي من العرب ، سنعرض في الآتي الى القسم الاكبر من هذه الاستطلاعات التي نشرت نتائجها في محافل مختلفة.

فقد نشرت صحيفة (يديعوت احرونوت) الصادرة بتاريخ ١٩٨٧/٤/١٦م ، وعلى الصفحتين (٨ و٩) ، نتائج استطلاع جرى في اوساط (٥٠٠) شاب في الصف العاشر (الاول الثانوي) في ست مدارس ثانوية ، تبين أن غالبيتهم يوافقون على تقييد حقوق العرب ، وقد سلمت نتائج هذا

الاستطلاع لوزارة المعارف الاسرائيلية ، بعد أن انتهى كل من : د. هورو بيتس ود. فريدمان وموشيه طاطر من معهد (ساليد) في القدس ، وكانت النتائج على النحو التالي :

- ٣٩٪ يوافقون على منح العرب ، حقوقاً مساوية لحقوق اليهود في البلاد.
- ٥١٪ يوافقون على تقييد حقوق العرب في البلاد.
- ٨٥ ـ ٩٥٪ يرون أن على دولة اسرائيل التمسك بالقيم التالية : الحكم بالعدل ، وافشاء التسامح ، واقامة العدالة الاجتماعية ، واجراء الانتخابات الديموقراطية ، واحترام القانون ، وحقوق المساواة للمرأة.
- ٧٠ ـ ٧٥٪ يرون أن على دولة اسرائيل ضمان حرية الدين ، وضمان التسامح تجاه الاقليات ، وضمان سيادة القانون ، وضمان حرية الاقامة والسكنى في كل مكان في البلاد.
- ٦٠ ـ ٧٠٪ يوافقون على أهمية ضمان حرية ابداء الرأي ، وحرية المعارضة ، وحرية الاحتجاج ، وحرية التنظيم ، أما بالنسبة لحرية الصحافة ، فقد وافق عليها ٥٥٪ ، ووافق ٣٩٪ على منح حقوق متساوية بين اليهود والعرب.

يتضح من ذلك أن طلاب المدارس النظرية ، يوافقون أكثر من غيرهم على ترسيخ القيم الديموقراطية ، اذا ما قورنوا بطلبة المدارس الصناعية ، وعندما فحص الباحثون مدى موافقة الطلبة على تقييد حريات الاقليات اتضح أن ٦٠٪ من الطلبة الذين استطلعت آراؤهم ، يوافقون على تقييد حقوق مجموعة (نطوري كارتا)(*) ، وتبين أن ٥١٪ يوافقون على تقييد حقوق العرب الذين يعيشون داخل الخط الاخضر. و٢٠٪ يوافقون على تقييد حقوق من يتزوج زواجاً مختلطاً ، و١٥٪ يوافقون على تقييد حقوق الدروز في اسرائيل. و٦٪ يوافقون على تقييد حقوق العرب في المناطق المحتلة.

وفي مقال نشرته صحيفة القدس في العدد الصادر بتاريخ ١٩٨٧/٦/١٣م وعلى الصفحة الرابعة ، برز موقف الشباب الاسرائيلي على صورة اكثر تطرفاً وعداء للعرب ، وأكثر تأييداً لافكار اتباع كهانا العنصري. وجاء هذا المقال اثر دراسة اجراها معهد (فان لير) في القدس ، تحدثت عنه الدكتورة مينه تسيمح ، في اليوم الدراسي الذي عقد في جامعة تل أبيب بعنوان : «قيم الشبان والأمن» باشتراك الجيش الاسرائيلي واحدى المدارس. و يمكن الوقوف على نتائج هذه الدراسة في الآتي :

- ٤٠٪ من الشباب اليهود يؤيدون اعضاء التنظيم الارهابي اليهودي والاعمال الانتقامية ضد العرب ، والمبادرة الى أخذ القانون. كما اعرب ١٠٪ من الشباب الذين استطلعت آراؤهم ،

(*) نطوري كارتا : جماعة دينية يهودية ، لا تعترف بوجود اسرائيل ، و يعيش افرادها في القدس وفي بني براك.

عن استعدادهم للانضمام للتنظيم الارهابي.

ومما قالته الدكتورةتسيمح حول نتائج هذه الدراسة : إن متابعة آراء الطلبة قبل و بعد اجراء الاستطلاع حول موضوع الديموقراطية في المدارس ، تشير الى حدوث تطور ايجابي في فهم وادراك معنى الديموقراطية ، إلا أن التطبيقات العملية والممارسات اليومية ، لم يطرأ عليها أي تغيير. اذ أن نسبة المؤيدين لمنح حقوق متساو ية باليهود للعرب بلغت ٦٠٪ ، في حين اعرب ٤٥٪ عن ضرورة سن قانون يحظر توجيه انتقادات للحكومة الاسرائيلية حيال سياستها تجاه العرب. كما اكدت الدكتورة تسيمح أن نتيجة البحث اثبتت ازدياد ظاهرة الكهانية وقوتها اكثر من الماضي ، هذا رغم أن كهانا نفسه لا يحظى بتأييد الشبان اليهود ، اذ كشف ١٠٪ من الذين استطلعت آراؤهم من الشبان ، عن أنهم كهانيون متطرفون ، كما أكد ٣٠٪ منهم بأنهم ميالون لآراء كهانا.

وجاء في نتائج استطلاع آخر ، اجراه البروفيسور سامي سموحه من الجامعة العبرية ، أن معظم الاسرائيليين يعتقدون بأن مجال العمل الملائم للعرب ، هو في البناء وأعمال النظافة ، كما يشك الاسرائيليون في احتمالات استيعاب الاكاديميين العرب ، و يعتقد البروفيسور سموحه ، أن هذه الآراء ناجمة عن قناعة اليهود ، بأن دولة اسرائيل يجب أن تكون دولة يهودية يميز فيها بين اليهود والعرب حتى في مجالات العمل. اذ اتضح من خلال نتائج هذا الاستطلاع ، أن ٤٥٪ من اليهود يرون ضرورة اقالة العمال العرب قبل العمال اليهود في حال وجود البطالة. كما أعرب ٨٣٪ عن اعتقادهم بأن جزءاً من العرب موالون لاسرائيل ، في حين يرى ٨٣٪ أن العرب يشكلون خطراً أمنياً على دولة اسرائيل. و يرى ٦٨٪ أنهم يرفضون العمل تحت اشراف مسؤول عربي ، وكذلك يطالب ٨١٪ بأن تفضل الدولة اليهود على العرب.

و يعلق الدكتور سموحه على هذه النتائج بالقول : إن هذه الاحصاءات تبرز وجهات نظر خطيرة لليهود ، حيال فهمهم لطابع الدولة اليهودية.

وتتلاحق استطلاعات الرأي في اوساط الشبيبة الاسرائيلية للوقوف على وجهات نظرهم تجاه العرب. ومنها نتائج استطلاع نشرته صحيفة يديعوت احرونوت بتاريخ ١٩٨٧/١٠/٢٦م على الصفحة (١٠) ، وهي كالآتي :

- ٥٠٪ من الشبيبة الاسرائيلية يطالبون بتقييد حقوق العرب داخل الخط الاخضر.
- ٦٪ من الشبيبة سيدلون باصواتهم لصالح كهانا في الانتخابات.
- ٣٣٪ يؤيدون آراء كهانا.

يوجد في اوساط الشبيبة تأييد للنظم الديموقراطية ، غير أنه يوجد تراجع في نسبة المؤيدين لحرية التعبير والقيام بالمظاهرات. هذه النتيجة اسفر عنها استطلاع للرأي اجرته الدكتورة مينه تسيمح من معهد (داحف) لصالح معهد (فان لير) ، تمت خلاله مقابلة (٦١٢) شاباً وشابة ، كشريحة تمثل قطاعاً من الشبيبة اليهودية في اسرائيل ، تتراوح اعمارهم فيما بين (١٥ ــ ١٨) عاماً.

ومن خلال فحص مواقفهم من مجموعات سكانية من غير اليهود (العرب) ، اتضح أن لديهم ميلا الى تقليص حقوق العرب ، وكانت النسب على النحو التالي :

- ٦٠٪ قالوا بأنه ليس لهم علاقات ولا يجرون أية اتصالات بالعرب.
- ٢٥٪ افادوا بأنهم هم أو افراد من عائلاتهم لهم معارف من العرب ، يلتقون بهم على فترات. ــ ٦٠٪ قالوا : إن لليهود حقوقاً كاملة في هذه المناطق (الضفة والقطاع).
- ٣٠٪ يعتقدون بان للعرب حقوقا كامله في هذه المناطق.
- ٣٣٪ يعتقدون بأن العرب الذين يعيشون داخل الخط الاخضر ، مخلصون لدولة اسرائيل.
- ٦٦٪ يعتقدون بأن نصف السكان العرب الذين يعيشون داخل الخط الاخضر ، غير مخلصين لدولة اسرائيل.

وبمقارنة نتائج هذا الاستطلاع بغيره من سابقيه ، يتبين ارتفاع في نسبة اولئك الذين يعتقدون بأن العرب الذين يعيشون داخل الخط الاخضر ، مخلصون لدولة اسرائيل.

أما حول مسألة التشدد في التعامل مع العرب ، فقد أجري استطلاع للرأي بين طلبة الصفوف الثواني عشر في مدينة عراد ، نشرت نتائجه في صحيفة يديعوت أحرونوت ، في عددها الصادر بتاريخ ١٩٨٨/٢/٤م على الصفحة الثالثة ، جرى الاستطلاع لمائة وعشرة طلبة من (٦) صفوف ، نتج عنه :

- ٥٧ر٧٪ من طلبة الصفوف الثواني عشر في المدرسة الثانو ية الشاملة في عراد ، يؤيدون التشدد في معاملة العرب في المناطق المحتلة.
- ٣٣٪ لم يؤيدوا سياسة التشدد هذه.
- ٣٣٪ وافقوا على اجراء الحكم الذاتي في المناطق المحتلة.
- ٥٠٪ رفضوا ذلك.
- ٣٢ر٧٪ ايدوا حل قضية الشرق الاوسط عن طريق لجنة دولية.
- ٣٧ر٥٪ عارضوا ذلك.

أما حول تأييد عينة الدراسة للاحزاب الاسرائيلية الموجودة ، فقد كانت النتيجة :

- ١ر٢٢٪ ايدوا المعراخ (التجمع).
- ٢ر١٩٪ ايدوا الليكود (التكتل).
- ٤ر١٥٪ ايدوا هتحياه (النهضة).
- ٨ر٥٪ ايدوا كاخ (جماعة كهانا).
- ٨ر٤٪ ايدوا راتس (حقوق الانسان).
- ٩ر٢٪ ايدوا شينوي (التغيير).

أما الاحزاب الدينية وحزب المبام ، فلم تحظ بأي صوت ، في حين اعرب ١ر٢٢٪ من عينة الدراسة أنهم لم يقرروا موقفاً بعد.

إن المطلع على نتائج هذه البحوث والاستطلاعات تنتابه الدهشة الشديدة ، و يصاب بخيبة أمل بالغة ، لما سيلاحظه من غرابة وتناقض الشباب الاسرائيلي ، فيما يتعلق بالقضايا المطروحة ، والتي تنصب كلها على الشؤون العربية ، سواء فيما يختص بالعرب الذين يعيشون داخل الخط الاخضر ، أم العرب الذين يعيشون في المناطق المحتلة ، والمحصلة النهائية ، تبرز تغلب المواقف السيئة السلبية من العرب ، على المواقف الايجابية ، وما كان ذلك ليكون من قبل الشبيبة الاسرائيلية ، لولا الاثر الاكيد الذي خلفته تربية الشبيبة الاسرائيلية بمختلف الوانها واساليبها ، تلك التربية التي يعتبر ادب الاطفال العبري ، أحد أعمدتها الرئيسة ، وأن كنا قد أوردنا نتائج هذه الاستطلاعات في اعقاب النماذج التي ذكرناها من أدب الاطفال العبري في المباحث السابقة لهذا المبحث ، فقد كان ذلك لكي نقدم تفسيراً حياً وعملياً للمواقف السلبية لدى الشبيبة الاسرائيلية من العرب ، ولذا نرى ومن وجهة نظرنا على الاقل ، صحة اجتهادنا في اتخاذ المثل السائر : «الاباء يأكلون الحصرم والابناء يضرسون» عنواناً لهذا المبحث ، هادفين من ذلك ، بيان حجم الجريمة التي ارتكبها الكتاب اليهود ، حين اقدموا على كتابة قصص الاطفال في الادب العبري ، فكانت هذه نتيجة ما فعلوا على الشبيبة الاسرائيلية ، التي اوردنا النتائج التي اسفرت عنها البحوث والاستطلاعات التي اجريت على شرائح مختلفة لهذه الشبيبة.

وفي ختام هذا المبحث ، بودنا الوقوف على صورة من التمرد التي نشأت في اوساط من الشبيبة الاسرائيلية ، تلك الاوساط على قلة افرادها ، ممن رفضوا الخدمة العسكرية في المناطق المحتلة ، بفعل عوامل ايجابية ترسخت في انفسهم كردود فعل لما قرأوا في ادب الاطفال العبري ، ولما شاهدوا أو سمعوا عن مجريات تحدث في المناطق المحتلة ، سنورد بعض النماذج

لهذه المواقف ، بهدف بيان أن الصغار باتوا يتمردون على ما اراد منهم الكبار أن يفعلوه ، والمواقف هي :

وجه طلبة من الصف الثاني عشر ١٩٨٧م من تل أبيب واماكن أخرى في اسرائيل ، رسالة الى وزير الدفاع يعربون فيها عن عدم رغبتهم في الخدمة العسكرية في المناطق المحتلة ، وجاء في الرسالة :

«نحن (الطلبة) نرى في الحكم الاسرائيلي في المناطق المحتلة خطراً على مستقبل الديموقراطية والمجتمع الاسرائيلي وسداً في وجه السلام». وتواصل الرسالة : «لقد ولدنا بعد عام ١٩٦٧م في ظروف حولت جيش الدفاع الاسرائيلي من جيش دفاع ، الى جيش محتل ، يقوم بأعمال الاضطهاد. نحن نعترف بوجوب الخدمة في جيش الدفاع ، غير أننا نتوجه الى سيادة وزير الدفاع طالبين منه أن يسمح لنا بالخدمة داخل الخط الاخضر ، والا يطلب منا الاشتراك في أعمال اضطهاد واسهام في احتلال المناطق المحتلة ، لأن هذا الامر ضد ضمائرنا ومبادئنا ، ولا نستطيع الموافقة على أوامر من هذا النوع ، واذا طلب منا مثل ذلك ، فسوف نرفض ، واذا كان لا بد من ذلك ، فنوافق أن نذهب الى السجن».

ذيلت هذه الرسالة بتواقيع لستة عشر طالباً وطالبة ، كانت من بينهم الطالبة : كرين ليفي من رامات جان ، والتي تقول : التقيت قبل عدة شهور في مظاهرة نظمت بمناسبة مرور (٢٠) سنة على الاحتلال ــ التقيت ــ ببعض الشباب ، ودار حديث بيننا واتفقنا على رفض الخدمة في المناطق المحتلة(١).

رفض وزير الدفاع الاسرائيلي الرد على هذه الرسالة ، متذرعاً بالقول : «إنني بصفتي وزيراً للأمن ، لا أقبل أن يقرر الجندي ما هو الأمر العادل والاخلاقي ، وما هو ليس كذلك ، وعليه ، فاني لا أجد حاجة للرد على هذه الرسالة». قال ذلك في لقاء بشبان وشابات بلدة معلوت ، الذين سيلتحقون بالخدمة العسكرية عما قليل ، تعقيباً على هذه الرسالة ، وغيرها مما وصل اليه ، يتضمن رفض الخدمة العسكرية في المناطق. ومما قال الوزير في هذا اللقاء : «من يرفض الخدمة في المكان الذي تريده سلطات الجيش ، يذهب و ببساطة الى السجن».

و يتابع قوله : «إنه في ظل الديموقراطية القائمة في اسرائيل ، يتعين على الجيش ، أن ينفذ تعليمات الحكومة التي انتخبت من قبل غالبية المواطنين». واضاف السيد رابين وزير الدفاع الاسرائيلي قائلا : «أن كثيراً من الجنود الذين رفضوا اخلاء مستوطنة «يميت» في سيناء ،

(١) انظر : صحيفة يديعوت احرونوت الصادرة بتاريخ ١٩٨٧/٩/٢٩م ، ص ١٦.

الاسرائيلية الى العرب ومن مختلف الجوانب ، وسنعرض الى آخر الدراسات التي نشرت نتائجها ، بهدف ابراز الحقيقة التي نسعى لاثباتها ، والتي نضع من خلالها اليد على الأثر السلبي لأدب الاطفال العبري ، في صنع مواقف الشبيبة الاسرائيلية بخاصة واليهود بعامة ، من العرب ، ونوردها تباعاً :

في شهر آب من عام ١٩٨٤م ، اجرى معهد (فان لير) في القدس ، استطلاعاً للرأي حول مواقف الشباب اليهود من القيم الديموقراطية ، وأجري الاستطلاع في اوساط (٦٥١) شاباً وشابة ، يمثلون شريحة من الشباب الذين تتراوح اعمارهم فيما بين : ١٥ ـ ١٨ سنة ، وكانت هذه الشريحة من سكان القرى والمدن ، بحيث استبعد منها شباب الكيبوتسات (القرى التعاونية) ، الذين تغلب الديموقراطية على آرائهم ، ويميلون الى اليسار.

النتائج :

١ ـ حقوق المواطنين غير اليهود :

ـ ٣٧٪ يوافقون على تقليص حقوق المسيحيين.
ـ ٤٢٪ يوافقون على تقليص حقوق المواطنين غير اليهود.
ـ ٤٧٪ يوافقون على منع المسلمين والمسيحيين من اعتلاء مناصب عليا في الخدمات العامة.
ـ ٤٧٪ يوافقون على تقليص حقوق العرب الفلسطينيين الذين يقطنون داخل الخط الاخضر.
ـ ٤٢٪ يوافقون على تقليص الديموقراطية لكي يتسنى حرمان العرب من الحقوق المدنية.
ـ ٦٠٪ يعتقدون أن العرب الذين يقطنون داخل الخط الاخضر لا يستحقون المساواة.

٢ ـ مواقف من حقوق العرب في الضفة الغربية وقطاع غزة :

ـ ٣٠٪ يوافقون على ارجاع القسم الاكبر من المناطق المحتلة ، مقابل احلال السلام وترتيبات أمنية مقبولة لاسرائيل.
ـ ٦٢٪ يوافقون على ضم المناطق المحتلة لاسرائيل.
ـ ٦٨٪ يوافقون على تقليص حقوق المواطنين العرب في المناطق المحتلة ، ما دام لا يوجد هناك اتفاق نهائي ثابت.
ـ ١٤٪ يوافقون على زيادة حقوق المواطن العربي في المناطق المحتلة ، و٥٪ منهم يرون

اعطاء العرب حق الانتخاب أيضاً.
ـ ٦٤٪ يرفضون اعطاء حق الانتخاب لدخول الكنيست ، للعرب في المناطق المحتلة في حال ضمها لاسرائيل.
ـ ٣٢٪ يوافقون على اعطاء العرب في المناطق المحتلة حق الانتخاب في حال ضمها.

٣ ـ القيام باجراءات عملية ضد العرب :

ـ ٥٧٪ يوافقون على الطرد من المناطق المحتلة لكل عربي يرفض القبول بالمواطنة الاسرائيلية.
ـ ٤٦٪ يعتقدون بحرية التنظيم للجماعات التي تنادي أو تدعو للاضرار بالعرب وايذائهم ، بل يجب أن تبقى كما هي في الوقت الحاضر أو توسيعها.
ـ ٣٨٪ يوافقون على الاعمال الانتقامية ضد العرب ، كرد على كل أذى يحل باليهود ، وربعهم مستعد للانضمام لمن يقوم بأعمال كهذه.

٤ ـ حرية الرأي :

ـ ٦٥٪ يوافقون على منح حرية التظاهر لليهود ضد مصادرة الاراضي في حين ٤٨٪ يوافقون على منح هذا الحق للعرب.
ـ ٥٥٪ يوافقون على منح حرية الرأي لليهود في مسألة اقامة دولة فلسطينية في حين ٣٢٪ يوافقون على منح هذا الحق للعرب.

٥ ـ نماذج من الاسئلة التي وجهت للشباب :

١ ـ ما رأيك في أنه يجب تغيير أو تقليص الحقوق الممنوحة للمجموعات التالي ذكرها ، أو أن تبقى كما هي؟

الاجابة :

المجموعات	موافق على التقليص	موافق على عدم التغيير	موافق على الزيادة	لم يجب	المجموع
مهاجرو المغرب	٥ر٩	٦١ر٦	٣٠ر٤	٦ر٣	١٠٠٪

مهاجرو رومانيا	١٢ر٣	٧١ر٥	١٣ر٩	٣ر٨	١٠٠٪
مهاجرو العراق	٠٦ر١	٧٠ر٦	٢٠ر٩	٥ر٦	١٠٠٪
طلبة المدارس الدينية	٤١ر٣	٤٠ر١	١٥ر٩	٥ر٢	١٠٠٪
عرب الخط الاخضر	٤٦ر٩	٣٩	١١ر٩	٢ر٣	١٠٠٪

٢ ـ هناك من يدعي أن المخربين (الفدائيون) الذين يلقى القبض عليهم في محاولاتهم لاعمال تخريبية (فدائية) ضد اسرائيل ، يجب القضاء عليهم فوراً من غير تقديمهم للمحاكمة ، وآخرون يدعون بوجوب تقديمهم للمحاكمة في كل حال ، ما رأيك؟

الاجابة :

ـ ٤٦٪ من الذين اجابوا يرون وجوب تقديمهم للمحاكمة في كل حال.
ـ ٢٠ر٤٪ اشاروا الى حق الفدائيين في المثول أمام المحكمة.
ـ ٣٢٪ اشاروا الى وجوب القضاء عليهم حالا.

٣ ـ بصدد الجرائم التالي بيانها ، هل توافق أم ترفض اصدار الحكم بالاعدام؟

الاجابة :

الجريمة	موافق	رافض	لم يجب	المجموع
ـ عمل تخريبي فدائي	٨٣ر٤	١٥	١ر٦	١٠٠٪
ـ اختطاف وقتل طفل من قبل يهودي	٦٥ر٥	٣٢ر٣	٢ر٢	١٠٠٪
ـ اغتصاب قاصرين من قبل يهودي	٣٥	٦٢ر٣	٢ر٧	١٠٠٪
ـ قتل مسن مع سبق الاصرار من قبل يهودي	٥٦ر٦	٤ر٦	٢ر٨	٠٠٪
ـ بأي حال	٢٢ر٩	٧٣ر٣	٣ر٨	١٠٠٪

٤ ـ هناك حادثتان : يهودي قتل عربياً لاسباب قومية ، وعربي قتل يهودياً لاسباب قومية ،

فهل يجب اصدار حكم واحد على كلا الطرفين أم لا؟

الاجابة :

ـ ٦٩٪ اشاروا الى أنه يجب اصدار حكم واحد على كلا الطرفين.
ـ ٢٩٪ اشاروا الى أنه يجب اصدار حكم اقسى على العربي.
ـ ٤ر٠٪ اشاروا الى أنه يجب اصدار حكم اقسى على اليهودي.

٥ ـ نماذج مقارنة بين العلمانيين والمتدينين في مواقفهم من بعض المواضيع :

الموضوع	علماني غير متدين	متدين
معارضة اعتلاء المسلمين والمسيحيين لوظائف عليا	٥٤ر١٪	٢٧ر٦٪
ـ حرية انتقاد الحكومة لليهود والعرب	٣٩ر٢٪	٢٥٪
ـ حق المخربين (الفدائيون) في المثول أمام المحكمة	٥٠ر٣٪	٣٢ر٥٪

وهكذا يتضح وجود الديموقراطية في اوساط العلمانيين ، أكثر منه في اوساط المتدينين .

٦ ـ نماذج مقارنة بين مواقف اليهود حسب الاصل شرقي وغربي :

	مواليد البلاد من أصل غربي	مواليد البلاد من أصل شرقي
ـ حق المخربين (الفدائيون) في المثول أمام المحكمة .	٥١ر٧	٤٢ر٤
ـ معارضة تقليص الديموقراطية بهدف زيادة حقوق الطوائف غير اليهودية .	٨٤ر٧	٧٨ر٥
ـ معارضة حرمان المسلمين والمسيحيين من اعتلاء المناصب العليا .	٥٧ر٦	٤٦ر٧

يلاحظ من هذا أن أبناء البلاد من أصل غربي ، يميلون الى الديموقراطية أكثر من اولئك الذين من أصل شرقي.

٧ ــ مواقف عينة الدراسة الذكور والاناث كل على حدة من بعض المواضيع :

الموضوع	ذكور	اناث
ــ حق المخربين (الفدائيون) في المثول أمام المحكمة	٤٣ر١	٤٩
ــ حرية انتقاد الحكومة من قبل كل من اليهود والعرب	٣٣ر٨	٣٨ر٥

يلاحظ أن نسبة ابداء الآراء الديموقراطية في اوساط الاناث أكثر منها في اوساط الذكور.

٨ ــ مواقف العلمانيين والمتدينين من مسائل تتعلق بالفلسطينيين:

الموضوع	علماني	متدين
ــ مصادرة الاراضي	٦٦ر٢	٥٢ر٢
ــ اقامة دولة فلسطينية	٦٥ر٦	٣٧ر٦
ــ تحديد ومراقبة وسائل الاعلام	٤٩	٢٧ر٥

١٠ ــ مواقف أبناء البلاد من أصل غربي ومن هم من أصل شرقي من بعض المسائل المتعلقة بالفلسطينيين :

الموضوع	من أصل غربي	من أصل شرقي
ــ مصادرة الاراضي	٧٠ر٣	٦٢ر٤
ــ اقامة دولة فلسطينة	٦٦ر١	٤٩ر٦
ــ تحديد ومراقبة وسائل الاعلام	٥٤ر٢	٣٨ر٩

هذه الدراسة التي اجراها معهد (فان لير) في القدس ، عام ١٩٨٤م وجاءت نتائجها على الصورة التي مر عرضها ... والدراسة نفسها كررها المعهد نفسه في شهر آذار عام ١٩٨٦م ، ولنعرض لها لعل نبرز صورتين مقارنتين فيما بين العامين المذكورين ، فاليك الامر :

أجرى معهد (فان لير) في مدينة القدس في شهر آذار من عام ١٩٨٦م استطلاعاً للرأي بين الشبيبة الاسرائيلية لمعرفة مواقف وآراء في مواضيع سياسية واجتاعية ، نشرت نتائج الاستطلاع في نيسان من العام نفسه.

لقد شمل الاستطلاع شريحة تتكون من ٥٩٩ فتى وفتاة ، يمثلون نموذجاً لقطاع الشبيبة التي تتراوح أعمار افرادها فيما بين (١٥ ــ ١٨) عاماً.

من المواضيع التي استطلعت آراء افراد هذه الشريحة حولها :

١ ــ رأي الشبيبة الاسرائيلية في حقوق اليهود والعرب في هذه البلاد.

٢ ــ مواقف الشبيبة الاسرائيلية من أخلاص العرب في اسرائيل لدولتها.

٣ ــ مواقف الشبيبة من مسألة رفض العرب الفلسطينيين في المناطق المحتلة لحمل الجنسية الاسرائيلية.

٤ ــ مواقف الشبيبة الاسرائيلية من تأييد الحركة السرية اليهودية التي تسعى الى محاربة العرب.

وتمخض هذا الاستطلاع عن النتائج التالية :

ــ ٩٢٪ من افراد الشريحة يدعون بأن لليهود حقاً كاملا أو شبه كامل (الكامل ٧٠٪ وشبه الكامل ٢٢٪) في هذه البلاد.

ــ ١٪ يرون أن لليهود حقوقاً قليلة في هذه البلاد.

والانسحاب منها ، اضطروا في النهاية الى تنفيذ الاوامر بالاخلاء ، كما أن الكثير من الجنود الذين رفضوا الخدمة في حرب لبنان ، انصاعوا للاوامر واشتركوا في الحرب».

وقالت الشابة كرين ليفي احدى الموقعات على الرسالة ، والسابق ذكرها ، قالت معقبة على اقوال الوزير رابين : «أننا منذ البدء وافقنا على الذهاب الى السجن ، حين قررنا رفض الخدمة في المناطق المحتلة». وقالت : «لقد اعترفت غالبية الدول الغربية بشرعية الرفض لاسباب تمس الضمير ، وحان الوقت لأن تعترف الحكومة الاسرائيلية بحقنا في رفض الخدمة العسكرية للاسباب نفسها».

وتطرقت الشابة ليفي الى التعقيب على معارضة السيد اسحق نافون وزير المعارف لمضمون الرسالة المذكورة ، فقالت : «أن من المفروض أصلا في وزارة المعارف ، أن تربي الطالب على التفكير الحر المستقل ، وأن تنمي فيه روح النقد والحوار».

وأكدت الشابة ليفي ، أن جماعتها تواصل انشطتها الاعلامية في سبيل رفض الخدمة العسكرية في المناطق المحتلة لاسباب تمس الضمير ، واعربت عن عزمها على تنظيم ندوة حول الموضوع في مسرح «نفيه تسيدك» ، كما قالت بأنها وجماعتها سيرسلون رسائل أخرى الى الوزير رابين وزير الدفاع ، كما أكدت أن شباباً جدداً قاموا بالاتصال بالجماعة معربين عن رغبتهم في التوقيع على الرسالة القادمة لوزير الدفاع(١).

وهكذا تتسع قاعدة معارضة الخدمة العسكرية في المناطق المحتلة ، في اوساط الشبيبة الاسرائيلية ، كردة فعل لما يحدث في هذه المناطق ، وتوالت رسائل رفض الخدمة على مكتب وزير الدفاع الاسرائيلي ، مذيلة بعشرات التواقيع ، مما أحدث ردود فعل مختلفة متضاربة في جميع الاوساط الاسرائيلية الرسمية والشعبية ، وتقول الطالبة كرين ليفي من رافضي الخدمة حيال هذا الأمر : «إن رفضي للخدمة العسكرية في المناطق ، نابع من رفضي للاحتلال وسياسته وتستطيع القول:أن رفضي للخدمة ليس نابعاً من منطلقات ضميرية فقط ، بل من منطلق سياسي للاحتلال ولسياسة حكام اسرائيل. ثم أن موقفي هذا لم يأت من فراغ ، بل جاء نتيجة لاوضاع ذاتية وموضوعية ، فانا ابنة لاسرة ليبرالية والتربية الاجتماعية تركت اثرها على شخصيتي وتفكيري ، هذا بالاضافة الى تأثير الاحداث الجارية في المناطق ، وسياسة اسرائيل في المناطق المحتلة ، كل ذلك اسهم في اتخاذي لهذا الموقف». ثم تواصل كرين : لقد كنا كمعارضين للخدمة في البداية خمسة فقط ، والآن اصبحنا سبعين شخصاً ، فهل ايداع السبعين

(١) انظر: صحيفة الاتحاد الصادرة بتاريخ ١٩٨٧/١٠/٢٩م ص ٤.

شخصاً في السجن بسبب رفضهم الخدمة العسكرية في المناطق ، لا يحدث ضجة في البلاد ، وهل يمكن أن تقف سبعين اسرة زج ابناؤها في السجون مكتوفة الايدي حيال هذا الأمر؟ فان كان وحدث ذلك ، فانه لا بد وأن يؤدي الى فضيحة للمؤسسة الحاكمة ، أنا لست نرجسية ، وأعلم أن اسرائيل لن تنسحب من المناطق المحتلة من أجل سبعين طالباً من الصفوف الثانوية ، ولا اعتقد أن الدولة الفلسطينية ستقوم في الصباح الباكر ، إلا أنني لا اشك في أن الحركة الوطنية الفلسطينية ستقود شعبها حتماً الى الدولة المستقلة.

أنا اعتبر نفسي متضامنة مع نضال الشعب الفلسطيني وفي الوقت نفسه اطمح من خلال ذلك الى تغيير الوجه العام للمجتمع الاسرائيلي ، ونضالي من أجل تغيير الطابع السياسي للمؤسسة الحاكمة في اسرائيل.

وواصلت القول : أنا افضل الانسان على الدولة ، وطموحاتي ، من أجل لقاءات عربية ـ يهودية مبنية على اساس من التعاون والتفاهم الحقيقي ، ومن أجل مجتمع المساواة. ومما قالت : أن الخط الاحمر بالنسبة لي هو الخط الاخضر ، وانني افضل السجن على الخدمة في المناطق المحتلة عام ١٩٦٧م(١).

ثم قامت الانتفاضة الشعبية في الاراضي المحتلة ، في الاشهر الاخيرة ، هذه الانتفاضة التي يستغلها افراد الشبيبة الرافضة للخدمة في المناطق ، لاثبات صحة موقفهم ، فقد نشرت صحيفة الاتحاد في عددها الصادر بتاريخ ١٩٨٧/١٢/١٥م ما مفاده : أن هذه الجماعة وجهت رسالة جديدة الى وزير الدفاع ، تؤكد فيها موقفها وتستنكر ما تقوم به قوات الاحتلال ـ خلال الانتفاضة ـ من أعمال قمع وقتل في الضفة والقطاع المحتلين. ومما جاء في هذه الرسالة : نحن الموقعين على رسالة طلاب صفوف الثاني عشر ، نعبر عن سخطنا ازاء اعمال القتل في المناطق ، اننا ندعو وزير الدفاع ، للعمل فوراً على وقف سفك الدماء ، كما ندعو حكومة اسرائيل لبدء مفاوضات فردية لحل القضية الفلسطينية ، إن أعمالا مثل تصرفات اريك شارون ، الذي جلب علينا كارثة لبنان ، من شأنها فقط أن توتر الوضع. واختتمت المجموعة رسالتها بالقول : إن ما يجري الآن في المناطق المحتلة ، يبرهن مرة أخرى على صحة موقفنا برفض الخدمة العسكرية في هذه المناطق.

ويبدو أن هذه المسألة قد ترسخت في اوساط الشبيبة الاسرائيلية،**ودعم ذلك الانتفاضة الشعبية** في المناطق المحتلة ، فقد وجهت رسالة أخرى بهذا الصدد ، الى وزير الدفاع الاسرائيلي

(١) انظر: صحيفة الراية الصادرة بتاريخ ١٩٨٧/١١/٢٧م ، ص ٨.

، رفض الموقعون بذيلها الخدمة العسكرية في المناطق المحتلة ، معللين ذلك بالاسباب النابعة من ضمائرهم ، مدعمين ذلك بالانتفاضة الشعبية التي تلقى اعمال القمع والمواجهة العنيفة من التنكيل ، من قبل افراد جيش الدفاع الاسرائيلي ، وقد ضمنوا رسالتهم مناشدتهم للحكومة الاسرائيلية ، أن تنتهج سياسة عدم رفض السلام(١).

وهكذا نلاحظ أن السلبية التربوية التي اسمهتها قصص ادب الاطفال العبري ، في تكوين الشخصية الثقافية والاجتماعية للشبان الاسرائيليين ، أدت الى هذا التناقض الواضح في المواقف من قضايا مصيرية ، تتعلق بقضايا المنطقة بعامة ، وباسرائيل على وجه الخصوص ، حتى أن هذه السلبية ، أدت بقطاع لا بأس به من الشبان الاسرائيليين ، الى المطالبة بخفض درجة الديموقراطية في اسرائيل ، حتى لا يستفيد منها العرب ، وهو أمر جد غريب. ومهما يكن من أمر فان المطلع على الاحصائيات والمواقف التي عرضناها في هذا المبحث تؤكد أن الكبار صنعوا صنيعهم وصغارهم وقعوا في سوء ما فعلوا. ونأمل من كتاب قصص الاطفال العبري ، أن يطلعوا على هذه الاحصائيات واستطلاعات الآراء ، التي ما أوردنا منها إلا نز راً يسيراً ، لعلهم يقفون على الحقيقة الساطعة التي سعينامن خلال هذه الدراسة الى ابرازها ، وهي أن الطفل انما يخلق بنفسية لدنة شفافة ، يغلب على جوهرها الخير ، وكيفما يتعامل هذا الطفل أو يعامل ، سواء من مجتمعه الصغير الضيق وهو الاسرة ، أو من مجتمعه الكبير العريض ، فانه ينمو جسدياً وتنمو شخصيته الثقافية والاجتماعية ــ وما يترتب على هذه الشخصية من ممارسات وأعمال ، كلها تصدر عن تلك الشخصية ، التي من أهم مقومات بنائها القصص والوان الأدب والفن المخصص للاطفال ، فبقدر ما تكون مقومات البناء ايجابية ، بقدر ما يكون البناء ذاته ايجابياً ، والعكس صحيح.

وأحسب أن البناء لشخصية الطفل الاسرائيلي كان سلبياً بالاعتماد على سلبية أدب الاطفال العبري ، بقدر كاف ، مما ادى بنا الى الوقوف على التناقضات التي عرضنا.

وبمناسبة الاحداث الجارية في الاراضي العربية المحتلة ، من انتفاضة شعبنا الفلسطيني من أجل نيل حقوقه ، تستوقفنا التغيرات الواضحة في مواقف اسرائيل على المستو يين الشعبي والرسمي ، من حقوق هذا الشعب اثر الاحداث الجارية. وسنعرض لصور من المواقف الاسرائيلية هذه :

طالب أولياء أمور الجنود في الاراضي المحتلة بتخليص ابنائهم من الخدمة في هذه المناطق ،

(١) انظر: صحيفة الاتحاد الصادرة بتاريخ ١٩٨٧/١٢/٣٠م ، ص ٦.

وذلك من خلال رسالة توجهوا بها الى الحكومة ، وما تضمنته الرسالة : «أن اولياء الامور يطالبون بتخليص ابنائهم من الوضع الذي لا يطاق في المناطق ، متسائلين ، هل انشأنا وربينا ابناءنا من أجل ذلك»؟ وجدير بالاشارة أن مطالب اولياء الامور هذه قد لقيت التأييد من كثير من الاحزاب والمؤسسات الاسرائيلية. نشرت ذلك صحيفة الفجر الصادرة بتاريخ ١٩٨٨/٣/٥م ، نقلا عن صحيفة هآرتس الاسرائيلية.

وكتب دان مرغليت في صحيفة هآرتس مقالا حول تحول ايجابي في مواقف لبعض اعضاء الليكود نفسه من القضية العربية اثر الانتفاضة ، نقلته صحيفة الفجر الصادرة بتاريخ ١٩٨٨/١/١٤م ، جاء فيه : «أن جزءاً متزايداً من اعضاء الليكود ، بات يفكر جدياً أنه لا مجال للسيطرة على شعب آخر والتعايش معه بسلام ، بالنظر للاحداث الجارية في المناطق».

بل أن حوالي الف من ضباط جيش الدفاع الاسرائيلي ومن مختلف الرتب الدنيا والعليا ، قد ارسلوا برسالة الى رئيس وزراء اسرائيل ، يحثونه فيها على السعي من أجل احلال السلام في المنطقة ، والتخلي عن فكرة ارض اسرائيل الكاملة(١).

إن الاحداث الجارية في المناطق ، كان لها أكبر الاثر في بلبلة المجتمع الاسرائيلي ، اذ خلفت لديه صورة من التخبط والتقلب في المواقف السياسية ، نزعم أن هذا المجتمع لم يشهد لها مثيل منذ قيام دولة اسرائيل وحتى الآن. ففي استطلاع للرأي اجراه الدكتور ميخاهوف مدير معهد «موديعين ازراحي» للابحاث ، نتج منه ما يشير الى التطرف في مواقف الناخبين الاسرائيليين ، والتخبط في مواقفهم ، بحيث تبين تحول في مواقف الناخبين أما الى اقصى اليمين أو الى اقصى اليسار ، وكانت نتيجة مواقف الناخبين من الاحزاب على النحو التالي :

المعراخ : (٤٩ مقعداً). الليكود : (٣٣ مقعداً). همفدال والمورشاة : (٥ مقاعد). شاس : (٢) مقعد. اغودات يسرائيل : (٢) مقعد. هتحيا : (٩) مقاعد. تسومت: (١) مقعد. راتس : (٦) مقاعد. شينوي : (٢) مقعد. حداش والجبهة التقدمية للسلام : (٧) مقاعد. كاخ (كهانا) : (٦) مقاعد. مبام : (١) مقعد. ثم قسمت الاحزاب الى كتل بحيث حصلت كتلة اليسار المتطرف على سبعة مقاعد ، وكتلة اليسار حصلت على سبعة أيضاً ، ثم كتلة وسط اليسار حصلت على ثمانية واربعين مقعداً ، وكتلة مركز اليمين حصلت على ثلاثة وثلاثين مقعداً ، وكتلة اليمين حصلت على ثمانية مقاعد وكتلة اليمين المتطرف حصلت على ستة مقاعد ، ثم كتلة المتدينين حصلت على تسعة مقاعد ، علماً بأن هذا الاستطلاع اجري على عينة تكونت من (١٢٢٩) شخصاً في

(١) انظر: صحيفة القدس ، الصادرة بتاريخ ١٩٨٨/٣/٩م ، نقلا عن التلفزيون الاسرائيلي.

شهر كانون الثاني من عام ١٩٨٨م(١).

وموقف العرب الذين يعيشون داخل الخط الاخضر ، هو الآخر حظي بالاهتمام الاسرائيلي ، على غير ما كانت عليه الحال قبل الانتفاضة في الاراضي المحتلة ، ونورد هذه العبارة من مقالة نشرتها صحيفة «عل همشمار» الاسرائيلية اثباتاً لما نقول : «النظرة المتبعة تجاه عرب اسرائيل هي في أنهم يشكلون الجسر بين سكان الاراضي المحتلة ودولة اسرائيل ، لكن في ظل الاوضاع الحالية ، أنهم لا يشكلون هذا الجسر ، بل بالعكس يركزون على الحاجز القائم بين العرب واليهود على جانبي الخط الاخضر ، و يمكنهم أن يشكلوا جسراً فقط ، اذا حصل سكان الاراضي المحتلة على السيادة السياسية ، وحصل العرب في اسرائيل على حقوق متساو ية»(٢).

أما عن اثر هذه الاحداث الجارية في الاراضي العربية المحتلة على اسرائيل من جانب الحكومات الاجنبية ، فقد حدثت تحولات جذرية في نظرة هذه الدول للممارسات الاسرائيلية في هذه الاراضي ، بل لدولة اسرائيل ، وكلها تحولات ايجابية لصالح القضية الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطيني ، وكثيرة هي الاحاديث التي نشرت مؤخراً بهذا الصدد ، بل أن مواقف الجاليات اليهودية قد تغيرت تجاه اسرائيل ، والكل منا شاهد من على شاشات اجهزة التلفزة أو سمع من محطات الاذاعة أو قرأ في الصحف العالمية أو المحلية حول هذه المسألة ، ونورد نموذجاً من هذا يتعلق بموقف الجالية اليهودية الايطالية ، فمما قالت توليا زيفي رئيسة الجالية اليهودية الايطالية : «... إن الموقف خطير بحق وما يحدث الآن أمر مروع». وأكدت أن رؤساء الطوائف الايطالية سيعلنون قريباً عن ادانتهم للقمع الاسرائيلي»(٣).

ومن الآثار التي خلفتها الانتفاضة في الاراضي العربية المحتلة ، الادراك الاسرائيلي التام ، بأن تحسين الاوضاع في الاراضي العربية المحتلة ، لا يمكن أن يؤدي الى وقف الاحداث ، وعودة الأمور الى مجراها الذي تريده سلطة الاحتلال ، وذلك لما رسخته مجريات الأمور من القناعة لدى اسرائيل ، من أن المطلوب هو حل القضية الفلسطينية والاعتراف بحق تقرير المصير للفلسطينيين ، وانهاء الاحتلال لارضهم ، ونورد مثلا لهذا من خلال مقالة كتبها داني روبنشتاين في صحيفة دافار ، بعنوان : «ما يصلح تطبيقه في دول العالم لا ينفع في المناطق». اذ أن ملخص ما قال : جمع شمل العائلات .. وتراخيص البناء ، والتسهيلات الخاصة ، واقامة

(١) انظر : صحيفة الفجر الصادرة بتاريخ ١٩٨٨/٢/١٠م ، نقلا عن صحيفة معاريف الاسرائيلية.
(٢) انظر : صحيفة الفجر الصادرة بتاريخ ١٩٨٨/٣/٥م ، نقلا عن صحيفة عل همشمار الاسرائيلية.
(٣) انظر : صحيفة الفجر الصادرة بتاريخ ١٩٨٨/٢/١٠م ، عن وكالة أ. ف. ب روما.

جهاز للاستئناف العسكري ، وغير ذلك ، ليس هو الحل لمشاكل المناطق(١).

إن هذا البحث في مجمله ، قصدنا من ورائه أن نبرز مأساة انسانية كبيرة ، تسبب بها واحد من أهم الوان الفنون والاداب الانسانية ، ألا وهو أدب الاطفال.

وهذا المبحث بالذات ، والذي وقع اختيارنا على مثل سائر كعنوان له ، انما بذلنا الجهد لكي نحصر المأساة في حجم محدود ، لنمكن القاريء والباحث على حد سواء من الوقوف على هذه المأساة عياناً ، ليفحص جوهر هذه المأساة فحصاً دقيقاً ، فيرى الحق ماثلا أمام عينيه ، ومن ثم يصل الى القناعة التي لا بد وأن يعقبها اصدار الحكم على هذا اللون من الأدب العبري الحديث ، أدب الاطفال ، فيصنفه في المكانة التي تليق به.

إن القاء نظرة سريعة على الدراسات التي اجريت ، والتي عرضنا نتائجها في هذا المبحث ، انما تبرز امرين مهمين :

الاول : النفس المشوشة المترددة الخائفة التي تقبع في شخصية الشاب الاسرائيلي ، بحيث تراه يخاف من كل ما هو عربي ، و يتردد أو يرتبك حين يطلب اليه أن يتخذ موقفاً حيال ذلك.

الثاني : التطرف الغريب لدى الشاب الاسرائيلي ، في مواقفه من كل ما يمت للعرب والعربية بصلة.

ولما كانت هذه المسألة في حد ذاتها مأساة تحولت بالشاب الاسرائيلي الى درجة من السلبية القصوى في نظرته للعرب ، الذين يعيش بينهم ، ولا بد له أن يعيش إن أراد البقاء في منطقة الشرق الأوسط ، فان هذه المسألة التي تصل الى درجة الجريمة ، لا بد لها من علل ومسببات ، وأهم هذه العلل ، ادب الاطفال الموجه الواسع الانتشار ، والذي يسهم اسهاماً فاعلا في بناء شخصية هذا الشاب. وعليه ، فيكون كاتب هذا الادب مجرماً حقيقياً ، اذا ما اتضح عمله حين كتب ما كتب من واقع أهداف لديه رغب في تحقيقها ، فابرزها فيما كتب من كتب ، فأتت نتائج قد تتمشى وما أراد ، ولكنها ادت الى نتائج سلبية في الاتجاه الآخر الاكبر ، إلا وهو الاتجاه الانساني ، بحيث يصح قول هذا المثل من أن الكاتب يمكنه أن يأكل الحصرم ، ولكن الطفل لا يستطيع ، لذا ومن هنا تقف المأساة بحجمها الحقيقي.

ولعل الوعي الانساني لدى الشباب الاسرائيلي ، حين يصلون الى سن التمييز ، لا بد وأن يتغلب على ما أدت به اليه اطلاعاته في كتب أدب الاطفال العبري يوم كان صغيراً ، نقول هذا

(١) انظر : صحيفة الفجر الصادرة بتاريخ ١٩٨٨/٣/٢م ، نقلا عن صحيفة دافار الاسرائيلية.

وإن كان لا ينطبق على غالبية الشباب الاسرائيلي ، وذلك بفعل عوامل مختلفة مرت به من واقع الحياة التي يعيشها ، ادت الى تغيير عكسي للمواقف السلبية التي اريدت له من العرب ، ومنها الاحداث الجارية في المناطق المحتلة (الانتفاضة) التي رسخت قناعة هذا النفر من الشباب الاسرائيلي ، من أنه لا يمكن لانسان أن يتحكم بمصير انسان على وطنه ، مهما كانت الظروف والدوافع ، و يتجلى ذلك في مواقف لنفر من الشبيبة الاسرائيلية الذين يرفضون الخدمة العسكرية الالزامية اذا كانت لا بد أن تكون في المناطق المحتلة ، هذا مع العلم بخطورة هذا الرفض ، الذي وقع المسؤولون الاسرائيليون حياله بالحيرة من حيث العقوبة التي يمكنهم ايقاعها بهؤلاء.

آخر المطاف

كل الاشياء في هذا الكون من صنف واحد ، تتفاوت من حيث الدرجات ، فكل الرجال من صنف الرجال ، ولكن تتفاوت درجاتهم داخل نوعهم حسب اعتبارات مختلفة ، وموازين متغايرة ، لذا كان قول الشاعر :

وكَم رَجُلٍ يُعَدُّ بِألْفِ رَجُلٍ وكَم ألفٍ يَمُرُّونَ بِلاَ عِدادِ

ضربنا هذا المثال ، لنبين أن الجريمة من صنف الجرائم ، ولكن تتفاوت في مراتبها حسب مختلف الاعتبارات ، لعل السرقة لأجل رد غائلة الجوع ، أقل وطأة على المجتمع من حيث كونها جريمة ، من القتل لأجل الاستيلاء على ما للغير ، وكذا فان جريمة القتل بدافع الدفاع عن النفس أو المال أو العرض أو الارض ، لا تعتبر بحال من مرتبة القتل نفسها ، بدافع القتل ولأجله ، لذا فقد تركت الشرائع السماو ية والوضعية ، مجالات واسعة لتقديرات القضاة في اصدار الاحكام على من جنت يداه جرماً يستحق عليه العقاب ، ومن هنا كان التأكيد على شخصية القاضي ومكانته ومقوماته الشخصية والعلمية ، من حيث ضرورة قدرته على التمييز والتصنيف في الفصل في الجرائم ، ومن ثم اصدار الاحكام التي تتواءم واصناف الجرائم التي ينظر فيها.

من هنا نقول : قد يصدر قاض من القضاة حكماً بالاعدام على رجل أو امرأة في عمر الشباب لجريمة من صنف منكر. بالتالي فان قتل هذا المجرم لا يثير الشفقة أبداً اذا نظر اليه باعتبار أنه اقترف ما يوجب ايقاع هذه العقوبة به ، وفي المقابل ، قد ترى من يذرف الدمع حزناً على ذلك الشاب الوسيم في عز الشباب ، وهو معلق على عود المنشقة واذا ما القيت على مسمعيه خبر جريمة نكراء اقترفها ، فلا بد أن يتوقف عن البكاء فوراً ليقول عبارات تدور فحواها حول معنى واحد هو : لقد نال ما يستحقه من عقاب. بعبارة أخرى نقول : أنه لا يجوز أن ينظر لعقوبة توقع بمجرم بمعزل عن جريمته.

لعل افظع الجرائم في المجتمع الانساني ، تلك التي تقترف ضد الشيوخ والنساء والاطفال ، وذلك ما منعته الشرائع السماوية والدنيوية على قدم واحدة ، ولعل هذه الجرائم لا تفريق بينها سواء من الايذاء أو حتى القتل ، فأي عمل يقترف ضد هذه الفئات صغر أو كبر ليس مقبولا ولا بأية حال من الاحوال ، وبخاصة فيما يتعلق بالاطفال ، الذين توجهت اليهم اليوم أنظار العلماء والمفكرين ، واولتهم جل الاهتمام. فما اكثر البحوث والدراسات التي صدرت في مختلف ميادين الاختصاص التي تتعلق بالاطفال ، ولعل احدث هذه المجالات واكثرها حظوة بالاهتمام ، مجالات ايذاء الطفل ، هذه المجالات المتنوعة المتشابكة الواسعة المدى ، التي يمكن للكبار أن يؤذوا من خلالها الصغار ، سواء الأذى الجسدي أو الأذى النفسي.

إن الأدب الخاص بالاطفال ، اذا لم يوجه توجيهاً ايجابياً ، وانحاز الى السلبية ، يعتبر من أخطر أدوات ايذاء الاطفال ، بل أنه يتحول الى جريمة تؤدي الى هدم الشخصية الانسانية المتنامية للطفل. وقد يقف قائل ليقول : إن أدب الاطفال يجب أن يكون موجهاً مخصوصاً يخدم مصلحة شعب الكاتب والطفل ، من مثل التوجيه الديني أو القومي أو الوطني. ونرد بالقول : هذا صحيح ومطلوب ، ولكن ضمن موازين ايجابية يجب أن تبتعد كل البعد عن السلبية ، بل يجب ألا تخرج هذه التوجيهات عن اطارها الانساني العام ، فمثلا ، ما فائدة أن انشيء نشئاً متديناً متعصباً الى حد التزمت تجاه سائر ما تعتقده الشعوب من حوله ، وما فائدة أن انشيء نشئاً عنصرياً متشدداً في شعوره القومي ، بحيث يرى في دماء غيره من الشعوب أمراً حقيراً لا يستحق أن يكون ، بل يرى في غيره من أبناء الشعوب اناساً لا يستحقون الحياة ، وكذا التوجيه الوطني ، ما فائدة أن انشيء نشئاً لا يرى من الكون إلا رقعة الارض التي يعيش عليها ، بحيث يصل الى الشعور الاعمى ، الذي يوصله الى عدم قبول وجود غير وجوده هو عليها ، وقد يصل في التطرف الى الوحشية في انهاء وجود غيره حتى يصل الى الرغبة في انهاء وجود الطير والشجر من على تلك الارض...!!؟

كل هذه التساؤلات التي نطرحها ، اليست تستحق ايجابات بالسلب ، في حدود الموازين المادية التي تحصرها؟ ذلك الى جانب موازين أخرى مهمة معنوية بعيدة عن المادية ، منها : الحب الانساني ، والمسؤولية الانسانية ، والتعاون الانساني والرحمة ، والعطف ، والتدين لله ، والحرية العامة بكل معانيها واصنافها ، وغير ذلك من المعاني الكثيرة.

على ضوء ما قلنا ، فأين يقف ادب الاطفال العبري الحديث من هذه الاعتبارات ، وهذا ما سنعرض له في ختام هذه الدراسة.

لقد سبق وتطرقنا في مطلع الدراسة الى جذور الثقافة الاسرائيلية في الفكر الديني الاسرائيلي ، وفي التالي سنبين تلك الجذور التربوية التي استند اليها ادب الاطفال العبري في الثقافة والتراث الاسرائيليين.

إن الثقافة الاسرائيلية ، ترتكز بالدرجة الاولى على ذكر الاحداث التي تعرض لها شعب اسرائيل عبر التاريخ ، مما خلدته نصوص العهد القديم وبالذات كتاب التوراة ، فصارت تلك الاحداث بمثابة ذكريات ذات طابع خاص تثير في نفسيات الاسرائيليين اشجاناً ملتهبة ، فحين يريد كاتب أو خطيب منهم الحديث في أمر أو مناسبة ، نراه يستلهم ذكريات تلك الاحداث ، ليثير حماس قارئيه أو سامعيه ، وهذا ما حدث في القسم الاكبر من أدب الاطفال العبري الحديث ، الذي اعتمد في غالبيته على ما يعرف بالآراء المسبقة (الستيريوتيب) ، ولقد كثرت الدراسات النقدية من قبل النقاد اليهود وغير اليهود ، التي توجهت بالنقد اللاذع للكثير الكثير من كتب أدب الاطفال العبري ، ولعل الكتاب الذي تطرقنا اليه في ثنايا الدراسة وهو كتاب : «وجوه مشوهة في المرآة» يعتبر من أهم هذه الكتب التي صدرت بالعبرية ، مما تعرض لهذا الموضوع بالنقد ونكتفي بما تطرقنا اليه من حديث حول هذا الكتاب فيما سبق.

ولسوف نعرض الآن لنموذج من الدراسات من هذا النوع والتي تناولت نقداً لجذور التربية وأدب الاطفال العبري ، ألا وهي مقالة مهمة بقلم انطون شلحت ، بعنوان : «وقفة مع نتاج الاسم الساطع بين كتاب الاطفال اليهود : عن اسلوب التربية السياسية للاطفال للاسرائيليين» ، نشرت في صحيفة الاتحاد بتاريخ ١٩٨٦/٨/٨م ، ولاهمية المقالة المذكورة نوردها بتصرف في الآتي : «عيد الفصح العبري ، هو عيد خروج اليهود من مصر هرباً من عسف الفراعنة وجورهم ، حسب ما تروي نصوص التوراة ، فهذا العيد لدى اليهود هو عيد الحرية والانعتاق والتخلص من ربقة العبودية.

غير أن هذا العيد ، صار في اسرائيل ومنذ العديد من السنين ، عبارة عن محطة لمراجعة الحساب حول ماهية حرية اليهود في اسرائيل ، ووصف هذه الحرية وحدودها ، لتطرح السؤالان التاليان : الى أي مدى حقق اليهود حريتهم المنشودة في اطار اقامة دولة لهم؟.وهل يشكل الخطر العربي سواء الخارجي منه أم الداخلي ، مبعث خوف يهدد بتبديد هذه الحرية؟

لقد كان هذان السؤالان محوراً للبرنامج الاذاعي ، الذي بثته اذاعة الجيش الاسرائيلي ، في أول أيام العيد في اواخر شهر نيسان (ابريل) من العام ١٩٨٦م. واستطلعت من خلاله اراء عدد من كبار الادباء والمفكرين اليهود.

والحق أنه كان بوسع مثل هذا البرنامج أن ينطوي على دلالات مثيرة وبالغة ، بقدر الاثارة الكامنة في الوضع الراهن للمجتمع الاسرائيلي المنعدم الانسجام الآتي من كل فج عميق ، بين مؤيد للحرب متحمس لها ، وبين معارض ، بين متدين غيبي وآخر علماني متمدين ، وبين عنصري متطرف وآخر ديموقراطي ليبرالي ، إن هذا التنافر وعدم الانسجام ، وبغض النظر عن وضوحه أو عدم وضوحه ، يعبر بشكل صريح ، عن الحرية اليهودية في الدولة ، كما اشرنا اليها ،غير أن القيمين على البرنامج ، ارادوا له أن يكون ضرباً من وحدانية الشارع ذي الاتجاه الواحد ، والمتمثلة في وحدانية الحرية في ظل الخطر العربي.

ورغم أن هذه الوحدانية ، تعكس هاجساً مستبداً ومتوتراً ينقب عما يمكن أن يحجب هذا التنافر في المجتمع الاسرائيلي ، ويخفي ضوضاءه ، فانه سرعان ما تبدى ، أن ذلك العدد من كبار الادباء والمفكرين اليهود ، ما كان بحاجة الى ذلك الهاجس ، كي ينظر الى تلك (الحرية) بقدر كبير من العداء حيال العرب وحيال كل ما يتصل بهم لمجرد كونهم كذلك ، سواء كانت هذه الرؤية بقدر كبير مطلوب أو غير مطلوب.

فمحصلة آراء هؤلاء الادباء والمفكرين ، تتمثل في احتقار كل شيء خارج اطارهم القومي ، وهي آراء توازي مسحاً شبه شامل للساحة الادبية الاسرائيلية الرسمية ، التي ما يزال يعلو فيها الصوت الصهيوني العنصري دون منازع ، ويمتلك من المقدرات ما يؤهله لاحباط كل صوت نقيض حتى ليبدو ما يبثه الصوت الصهيوني نقيضاً للواقع لا للأوهام التي يزينها ذلك الصوت العنصري باعتبارها واقعاً.

هل يعني هذا الكلام المتداعي ـ استدراكاً ـ إسقاطاً كلياً للتأويل الواقعي ، بأن الادب الاسرائيلي أدبان ، شأنه شأن آداب جميع الاقطار؟ ـ ليس هذا الامر كذلك بالضبط ، غير أن الادب الاسرائيلي الآخر ، لم يكتسب شرعية في الشارع الادبي بعد ، وما يزال معدوداً من المحرمات (تابو) (*) ، وإن كان يمارس على نطاق ضيق للغاية دوراً فاعلا في التأثير على الواقع ، يوازي عملية خدش صخرة صماء.

ويطرح السؤال التالي نفسه : بماذا يشغل ذلك الصوت العنصري قراءه في اسرائيل؟

حتى تتكون الاجابة على هذا السؤال ، نختار من اصوات كبار الادباء والمفكرين اليهود الذين وقع عليهم اختيار اذاعة الجيش ، صوت كاتب للاطفال نظراً لأن ما يكتبه يصل الى

(*)تابو : كلمة تكتب بالعبرية :(טבו) وتعني المحرمات عند القبائل البدائية ، ثم أخذها اليهود ليعبروا بها عن كل ما هو محرم ، فضلا عن دلالتها على كل ما له حرمة من المقدسات.

وجدان الجيل الجديد ، ناهيك عن قدرة أدب الاطفال على الانتشار السريع ، وهو في النهاية صوت الادب العنصري الذي يطبع اسرائيل الثمانينات بميسمه حتى تتطبع به أو تكاد.

الكاتب ـ الذي اخترناه ـ هو (شراجا غفني) الذي كتب حتى الآن أكثر من مائة وعشرين مجموعة قصصية للاطفال والاماليد(*) ، ممهورة بتوقيعه الصريح وبخمسة اسماء مستعارة هي : «أفنير كرميلي» وهو الاسم الاكثر شيوعاً ، و«ايتان درور» و«أون سريج» و«يغئال غولان» و«ايتان نوتيف».

وكنا قد ركزنا الاهتمام قبل بضع سنوات ، على ما يكتبه هذا الكاتب من أدب متوحش ، وتركنا النهاية مفتوحة عبر التساؤل التالي : هل تستنفر القوة القادرة على مواجهة هذا الادب المتوحش وذلك على صعيد اسرائيل محض مقابل؟

وبالالتفات نحو السنوات التي مرت ، ندرك كم كان هذا الاستنفار بطيئاً وثقيلا ، وكم كان انتشار هذا الادب المتوحش بالمقابل حثيثاً ، واذا كان الاسم : «افنير كرميلي» هو الاسم الساطع بين كتاب ادب الاطفال الاسرائيلي على مدى عقدين ، فانه من حيث المستوى الفكري ، لايقل شهرة ، والدليل على أنه يصنف في عداد كبار الادباء والمفكرين اليهود.

هذه الحقيقة تلزم بأن نضع في الامتحان اسلوب التربية السياسية للاطفال الاسرائيليين ، الذي لا يشدهم الى الماضي فحسب ، بل الى المستقبل أيضاً ، والامتحان هنا يتناول كيفية المعالجة وصولا الى الاثر الذي تتركه ، ومعالجة كرميلي (غفني) ، لا تتوقف عند حدود الكتابة ، بل أنها تتجسد كذلك في الافكار التي يحملها ويؤسس عليها غفني ـ كما يعرف نفسه في البرنامج المذكور ـ هو من جماعة أرض اسرائيل الكاملة من النهر الى النهر ، عندما كان عمره ستة عشر عاماً تطوع للخدمة في صفوف منظمة الليحي ، وقد أثر قائد هذه المنظمة ابراهام شتيرن كثيراً في غفني الذي يقول : إن مقومات رؤيته السياسية مصدرها في رؤيةشتيرن الاصلية ، والتي بوحيها يكتب قصصه ويبني انماط شخوصها.

ويرصد غفني في حكاياته كافة ، دولة اسرائيل كما لو أنها أرض العبرانيين القديمة المسلم بها ، ومما يقوله : «أنا اتطلع الى انتشار البعث العبراني في أرض العبرانيين كلها من الفرات الى النيل ، وأرى فيها مصدر الحياة للانسانية جمعاء ومناراً للأغيار».

وحين طلب اليه في البرنامج المذكور أن يلخص سيرته الذاتية بكلمات قليلة قال : «عمري

(*)الأماليد : جمع مفرده أمْلَوَد ، وتعني الفتى الذي لم ينبت الشعر في وجهه بعد ، أي الفتى تحت الحلم.

ستون عاماً ، أنا من قدماء منظمة «الليحي» عملي الاساسي في التاريخ ، وأرى نفسي كاتباً عبرانياً يخدم في كل ما يكتب ، مثل الانبعاث العبري للأمة العبرانية الشابة الآخذة بالنمو في البلاد ، ولا أعتبر هذه الأمة استمراراً للأمة اليهودية في المهاجر الأوروبية وغير الاوروبية ، وانما هي انبعاث واستمرار للأمة العبرانية التوراتية ، التي اضفت على بلاد العبرانيين خصوصيتها وعظمتها في التاريخ».

ثم قرأ المذيع مقطعاً من مقال يختزل رؤية غفني السياسية كان هذا كتبه ابان فترة دراسته الاكاديمية ، وضمنه افكاره المذكورة ، ومما جاء في هذا المقطع : «أرض العبرانيين التي تعتبر أرض اسرائيل قسمها الجنوبي ، تمتد على ضفتي نهر الاردن في مفرق العبور واللقاء بين آسيا وأوروبا وافريقيا في قلب الانسانية. وهي في تمامها الكلي ، وحدة ثيوقراطية ــ سياسية(*) واحدة تشكل مركز العالم. واذا اصبحت موحدة يصبح بمقدور شعوبها التي تعيش فيها أن تستثمر كل منافعها السياسية والاستراتيجية والاقتصادية والثقافية من أجل عظمة الوطن المشترك وازدهاره».

إن هذه الاعترافات ، ما هي إلا عنوان صغير للفكر الفظ المثبوت في كتب غفني ، التي تؤدي دوراً فاعلا في مخاطبة وجدان الطفل الاسرائيلي القارىء ، ودون التوقف كثيراً عند تفصيلات هذا الفكر في النصوص المكتوبة فان كتابته التي تخص مسألة النزاع العربي ــ الاسرائيلي ، والقضية الفلسطينية والموقف من الانسان العربي تشكل مفتاحاً مهما لتناول ذلك الفكر.

في أكثر من قصة يسرد غفني سيناريو من عندياته للنكبة الفلسطينية، التي تشكل مرحلة حاسمة ومهمة من تاريخ القضية الفلسطينية وجذورها ، سيناريو تقف في صلبه الرواية الاسرائيلية الرسمية لحرب فلسطين بكل اراجيفها وتصحيفاتها.

وفما يلي نص هذا السيناريو من حكاية له بعنوان : «الرياضيون الصغار عائدون»! التي نشرها باسمه المستعار : «أفنير كرميلي» : «كانت حرب التحرير(*) ، هي الحرب الاشد صعوبة لشعب اسرائيل في السنوات الاخيرة ، فقد بلغ عدد المستوطنين الاسرائيليين في البلاد آنذاك ، حوالي ستمائة وخمسين الف نسمة فقط ، مقابل مليون عربي في الاقطار التي حولنا ، وكان الهدف الذي سعى اليه المليون عربي ، الذين استقروا في البلاد بسيطاً ورهيباً في الآن ذاته وهو : ابادة السكان العبريين ، بحمامات دم رهيبة وبواسطة الذبح والتعذيب الوحشي ، ووراثة

(*)نظرية تجمع بين الدين والسياسة.

(*)هذا الاصطلاح الاسرائيلي لهذه الحرب ، وهو عندنا : حرب عام ١٩٤٨م.

بيوتهم واملاكهم وكل البلاد ، ومحو أي ذكر لنا (للشعب اليهودي) تحت السماء وعلى جه البسيطة. كانوا على ثقة بأنهم سينجحون دون أدنى شك ، في تنفيذ ذلك حال خروج البريطانيين من البلاد في (١٥) ايار لأنه فور خروج البريطانيين ، استعدت لغزو البلاد جيوش خمس دول عربية مجاورة يبلغ عدد سكانها مجتمعة حوالي (٤٠) مليون نمسة ــ جيوش مصر وشرق الاردن والعراق وسوريا ولبنان ، يقصدون التغلب بسهولة على الاستيطان العبري الصغير ، الذي بلغ عدد سكانه أقل من نصف مليون نسمة ، و ينفذون فيه حقدهم المروع و يبيدونه و ينهبون و يسلبون كل ما كان يملك. ولكن قبل خروج البريطانيين ، وغزو الجيوش العربية دارت في البلاد معارك طاحنة ودموية بين قوى الاستيطان العبري القليلة التي خرجت من العمل السري ، قوات الهاجناه والبلماخ والاتسل والليحي ، وبين عصابات عرب أرض اسرائيل(*) ، التي اعتدت على المستوطنات اليهودية بمساعدة البريطانيين ، وقوات عربية عديدة وقوية ، تدفقت على البلاد بضوء أخضر من البريطانيين ، في سبيل المشاركة في أعمال السلب والنهب والمذابح المعدة ضد المستوطنات العبرية ، وهذه القوات لم تستطع الانتظار حتى موعد مجيء الجيوش العربية النظامية. والسؤال : هل صحيح أن الاسرائيليين شردوا في حرب التحرير ــ حرب عام ١٩٤٨م ــ وفي حرب عام ١٩٦٧م مئات آلاف العرب عن البلاد؟

والجواب : لقد بدأ العرب بشن هجوم على مستوطناتنا في ارجاء البلاد كافة ، ونصبوا الكمائن للقوافل ، التي كانت تزود المستوطنات بالذخيرة ، وقتلوا بوحشية شيوخاً ونساء واطفالا عزلا ومثلوا بجثث القتلى ، لقد ارتكبوا جرائم آثمة يصعب وصفها ، لكن شبابنا المحاربين القلائل ، ردوا الصاع صاعين ، وشيئاً فشيئاً رجحوا كفة ميزان الحرب لصالحنا ، واقتحمت ارتال مقاتلينا المستوطنات المحاصرة ، وانتقلنا في المدن المختلطة الى الهجوم المضاد ، وضربنا مقرات عصابات القتلة ومواقعهم وقد انهار المقاتلون العرب بفضل قوة انتفاضتنا ، وبدأوا بالتراجع. وتراجع في اعقابهم كذلك الاهالي العرب في المدن والقرى العربية ، لانهم هم الذين ارادوا أن يشربوا من دم امهاتنا ، وأن يحطموا الجدران على رؤوس اطفالنا وأن يبيدونا جميعاً حتى الرجل الاخير ، كانوا متأكدين من أننا سنفعل بهم مثلما ارادوا أن يفعلوا بنا.

وبعد أن دار دولاب الحرب ، وبدأنا بالتغلب عليهم ، لم يصدقوا نداءاتنا ، بأن الاهالي العرب في القرى والمدن المحررة ، على أيدي قواتنا يستطيعون العيش فيها بهدوء وطمأنينة

(*)عرب ارض اسرائيل : هكذا يقول الكاتب عن عرب فلسطين.

وأخوة تامةمعنا لكن هنا وهناك في حال واحدة أو حالين ، اصاب مقاتلونا في حماة المعركة عرباً غير مقاتلين ، غير أننا بغالبيتنا ــ باعتبارنا ابناء شعب الابنياء في ارض الانبياء ــ اردنا بجدية أن نكمل تراثنا الكبير بوصفنا شعباً حنوناً رؤوماً يتطلع الى اخوة كل الشعوب.

لقد كنا على استعداد لأن ننسى ونغفر ونربيهم لكي يكونوا مثلنا. غير أن العرب المحليين لم يريدوا عقد راية السلام معنا. وآمنوا عبثاً بعد مرور فترة قصيرة ، ومع غزو الجيوش العربية النظامية البلاد يكون بامكانهم العودة الى بيوتهم مع الجيوش العربية المنتصرة والاستيلاء على بيوتنا ، وتنفيذ مآربهم في إبادتنا. ولهذا اختاروا مغادرة البلاد بمحض ارادتهم على الرغم من نداءاتنا اليهم بالبقاء هنا والعيش بسلام معنا ، لقد تركوا حيفا و يافا وطبريا وصفد وغيرها ، وانتقلوا الى الاقطار العربية المجاورة ، وكلهم ثقة بأن عودتهم اكيدة وعندها يأخذون بثأرهم ، لكن غزو الجيوش العربية الى بلادنا انتهى بهزيمتها الساحقة ، وبقي اهالي البلاد العرب ، الذين تركوا بيوتهم في الدول العربية المجاورة لاجئين خائبين عاجزين عن العودة الى هنا لابادتنا عن بكرة أبينا. وفوراً غيروا جلودهم وتحولوا من منتقمين متعطشين للدم الى مولولين على مصيرهم البائس ــ مصير اللاجئين معدومي المأوى الذين طردهم الاسرائيليون بوحشية من مدنهم وقراهم في البلاد ، في الوقت الذي كانوا فيه مستعدين للعيش مع الاسرائيليين بسلام. وكرروا هذه الفرية يومياً حتى اصبحت في أذهان الرأي العام حقيقة أكيدة ، وهكذا نشأت اسطورة اللاجئين العرب المساكين.

وعادت القصة على نفسها في حرب الايام الستة (عام ١٩٦٧) ، فلقد تجند العالم العربي برمته من أجل ابادة اسرائيل ، ووقف الاتحاد السوفياتي الدولة العظمى والرهيبة ، التي تهاب جانبها حتى الولايات المتحدة ، الى جانب العرب بشكل علني ، وزودهم بأحدث السلاح من أجل تسهيل مهمة ابادتنا عليهم ، لكن مرة أخرى ، اثبتت الشبيبة الاسرائيلية والشعب الاسرائيلي كله أنهم ليسوا ابناء شعب الانبياء ، وانما أبناء المكابيين(*) ، كذلك ورثة الليحي ، والاتسل ، والبلماخ.

وفي حرب بطولية ستتذكرها الاجيال كافة ، الحقوا هزائم ساحقة بجيوش مصر والاردن وسوريا ، وحرروا ارض اسرائيل الغربية والجولان وسيناء. وهذه المناطق هي وطننا ، ليس أقل

(*) المكابيون : هم جماعة من الثوار اليهود الذين ثاروا ضد الحكم اليوناني في فلسطين لأن اليونان هزموا الفرس الذين كان اليهود يوالونهم ، و يروي احداث ثورتهم سفر المكابيين في التوراةاليونانية ، انظر حول ذلك تفصيلا في كتابنا : «خليل الرحمن مدينة لها تاريخ» ، ص ٦٤ ، ٦٥.

من كونها وطناً لسكانها العرب.

وكان سلوكنا مع عرب المناطق التي حررناها سلوكاً مثالياً ، لكن اكثرهم كان متأكداً بأننا سنفعل بهم ما أرادوا فعله بنا ، ولهذا سارعوا الى الهرب فيما وراء الحدود ، وكالعادة بعد عدة أيام بدأوا يصرخون عبر الاذاعة والتلفزيون والصحافة ، أنهم شردوا من قبلنا بالقوة ، ومرة أخرى افلحوا في اقناع الرأي العالمي». ــ انتهى حديث غفني ــ.

عندما تصل حكاية من هذا النوع الى اطفال صغار ، وهم غالباً ما ينكبون على قراءة امثالها ، فان هدفها يكون واضحاً للعيان ، وهم يتعلمون أن جميع العرب قتلة ، يدبرون لابادة الاسرائيليين وقتل اطفالهم وتحطيم رؤوس امهاتهم ، وهذا هو النصف الأول من معادلة الفكر الفظ المتوحش ، الذي يبثه الادب الاسرائيلي المؤدلج بالطرح الصهيوني التقليدي بصدد النزاع العربي ــ الاسرائيلي والقضية الفلسطينية ، و يبقى النصف الثاني ، الذي لا يقل أهمية ، وهو الموقف العام من الانسان العربي.

إن محصلة هذا الموقف هي : أن العربي الصالح هو العربي الميت ، أو في أحسن الاحوال العربي الذي قرر الذوبان في الشعب اليهودي ، عبر تلاشي هو يته القومية.

والمبرر الذي يقحمه شراحا غفني لذوبان العرب في الشعب اليهودي ، هو كونهم تاريخاً وحضارة ودينا من سلالة بني اسرائيل ، فهو حين يتحدث عن الشبان العرب الذين قرروا الذوبان السالف يكتب قائلا : «بدأ عدد من الشبان الناطقين باللغة العربية ، يؤمنون بأنهم من سلالة بني اسرائيل القدامى ، وأنهم بقوا في البلاد ، ولم يذهبوا الى المهجر بعد أن خربها الرومان ، وعندما احتل العرب البلاد (الفتح الاسلامي) ، اضطرت غالبية ابناء البلاد الاسرائيليين الى قبول دين المحتلين (الفاتحون المسلمون) وعاداتهم رغماً عنهم ، والآن ــ حسبما آمن هؤلاء الشبان العرب ــ أزفت ساعة الرجوع الى حضن شعبهم الحقيقي ، شعب اسرائيل ، والمشاركة في عملية انبعاثه الكبيرة والعظيمة في بلاده كشركاء متساو ين».

إن رسالة هذا الادب (أدب الاطفال العبري) واضحة. يبقى التأكيد على أن نظرة على نماذج أخرى من الادب الاسرائيلي ، الذي يصلي في محراب المؤسسة الحاكمة ، سوف تكشف على الفور أنها تحمل الرموز نفسها المستوحاة من الاحكام الصهيونية الهجينة.

و يبقى أن هذا الادب لا يتميز بسمات الادب بقدر ما هو أداء انعكاس مثل الطبل الاجوف للاحكام السالفة ، وهو يجعل تجربته أرخص واشد حطة». ــ انتهى حديث انطون شلحت(١)

(١) انظر : صحيفة الاتحاد ، الصادرة بتاريخ ١٩٨٦/٨/١١م.

إن هذا المقال الذي اوردناه آنفاً ، ليعتبر بحق نموذجاً جزئياً ، للنقد التاريخي لجذور الفكر الادبي ، لقصص الاطفال العبري الحديث ، لا ريب في ذلك وأنه قد مثل بواحد من كبار كتاب قصة الطفل العبرية ، بحيث أورد جانباً مهماً من أقواله التي عبر بها عن مرتكزاته الفكرية والدينية ، التي ارتكز عليها في كتاباته ، ولعل أهم ملاحظة نسجلها على هذه الاقوال ، مفادها ؛ أن الكاتب شراجا غفني كان قد استلهم الاحداث العتيقة في تاريخ شعب اسرائيل ، والبسها ثوباً مستحدثاً ، بحيث اقحمها على الاحداث التي جرت لهذا الشعب في العصور الحديثة ، وبخاصة فيما يتعلق بالعرب بالذات ، ثم نراه وقد انحاز حيناً الى التلفيق ، وذلك من خلال حديثه حول قضية اعتناق بعض الشباب العربي لليهودية معللا ذلك ، بتعليل يجانب الصواب والمنطق ، وهو أن العرب في فلسطين اصلهم من اليهود ، وحين عاد اليهود الى هذه البلاد ، عادوا الى اليهودية ، غير أن هذه المسألة التي روجت لها الصهيونية الحديثة ، لا يمكن اعتبارها علة لتصرف النفر القليل جداً ممن سمعنا عنهم واستغلت حكاياتهم وسائل الاعلام الصهيونية ، ذلك أنهم لقلة عددهم ، لا يمكن ادراجهم في معادلة نسبة مئوية لقاء العدد الكبير أو زخم العرب الفلسطينيين في هذه البلاد ، هذا فضلا عن أننا لو أخذنا حكاية كل واحد منهم على حدة ، لالفيناها حكاية شاذة ، تعرض صاحبها لظروف غير طبيعية ، اجتماعياً ونفسياً واقتصادياً بل وأخلاقياً ودينياً ، فأقدم على التهود ، من واقع رغبته في الهروب من تلك الظروف ، مما يتوجب معه النظر لذلك الشخص على أنه مريض بحاجة للعلاج وليس كشخص اهتدى الى تصحيح خطأ حدث من اناس عاشوا في ذاكرة التاريخ ، هو نفسه لا يعرف عنهم ولا عن تاريخهم شيئاً ، ولكنه استغل الحوادث استغلالا موجهاً لخدمة الاغراض الصهيونية ، مما يفتقر الى روح المنطق والعقل ، ولا يمكن قبوله بحال من الاحوال كتعليل لحوادث فردية نادرة ، هذا كله ، الى جانب أن هذه الحوادث ، تحدث لدى الشعوب المختلفة وعبر مختلف الازمنة ، حين يتحول شخص من دين الى دين ، مما لم نسمع له تعليلات كالتي نسمعها مما اشرنا اليه ، وذلك يؤكد سوء النية المبيتة لدى هذا الكاتب وغيره ضد العرب والعربية والاسلام والمسلمين والقضية الفلسطينية.

نكتفي بهذا القدر من التعليق على هذه المقالة لننتقل الى مواقف آخرى ، في هذا المقام ، تطرق اصحابها الى قول كلمة في هذا الادب ، تتعلق بالمرتكزات التي تعتمد في مناهجها على الآراء المسبقة ، ومنها فكرة : «أرض بلاد شعب مقابل شعب بلا أرض» التي اطلقتها الصهيونية ، لبيان أن أرض فلسطين ليس لها أهل ، واليهود شعب ليس له أرض ، هذه الفكرة ، هي

الأخرى ، وجدت لها صدى واسعاً في ادب الاطفال العبري ، على اتجاهين متوازيين ، الاول : قصد به الهاب مشاعر اليهود لزيادة التمسك بهذه الارض. والثاني : محاولة التخفيف من أثر الشعور بالذنب لدى بعض اليهود من جراء ما رأوه قد حل بالفلسطينيين الذين اجبروا على ترك اراضيهم وتحولهم الى لاجئين.

إن هذا المرتكز كان عماداً لعقدة قصة : «ما هي التي سأروي لها لاطفالي» للكاتبين : جورفيتس ونافون ، ومما جاء فيها :

«... عبر يوسف ومجموعة من رجاله الى بلاد فلسطين سيراً على الاقدام ، حتى وصلوا الى الجليل ، فتسلقوا الجبال الجميلة ، التي كانت خالية من السكان فقال يوسف : نريد أن ننشىء هنا «كيبوتس» ، ونقهر هذا الفراغ ، وسنطلق على هذا المكان اسم : «تل حاي» (تلة الحياة) ، فالارض الخالية اطفالها رحلوا عنها وهجروها ، انهم مبعثرون ولا يقيمون فيها ، ليس منهم من يعتني بالارض أو يحميها الآن». وغير هذا كثير.

ومن المترتكزات التي اعتمدتها القصة العبرية ، مما يعتمد على القديم ، أن استغلت بعض الموجودات الاثرية الدفينة في الارض ، استغلالا موجهاً على أنها آثار يهودية ، مهما كانت قيمة هذه الموجودات وحجمها ، ومن ذلك ، فحوى احدى القصص ، حين عثر احد الاطفال على حجر كبير ، راح يتفحصه فوجد عليه بعض العلامات ، فقال لنفسه : إن هذا الحجر من بقايا قرية يهودية قديمة ، فلسوف نزرع جذورنا هنا ونعيد الحياة الى هذه القرية...

ونرى حكاية مماثلة ، هي أن الصبي عثر على قطعة من الرخام مدفونة في الارض ، اقتعلها بمساعدة أبيه ، وبعد أن نظفها وجد عليها رسماً للشمعدان الاسرائيلي (الحنوكاه)(*) ، عندها راح الاب يزهو بالقطعة الرخامية قائلا : لقد مضى عليها الفا عام في باطن الارض ، ولم يمسسها أحد حتى عدنا اليها وهي على حالها.

إن مثل هذه المرتكزات التي انصبت على الارض ، وجدت انتشاراً واسعاً في القصة العبرية ، حين عمد الكتاب الى اجراء مناقشات عبر قصصهم ، تدور حول فكرة أن العرب تخلوا عن اراضيهم بمحض ارادتهم ، وذلك حين باعوا هذه الاراضي لليهود. هذا ، الى جانب منهج آخر عمدوا اليه بهذا الصدد ، وهو أن العرب احتلوا هذه الارض قبل ما يزيد على (١٣٠٠) عام ،

(*) الحنوكاه : هي عبارة عن شمعدان ذي ثماني قنوات ، يوقد في عيد الحنوكاه ، وهو عيد الانوار أو الشموع او المشاعل ، الذي يخلد ذكرى انتصار الجماعة اليهودية المعروفة بالحشمونائيم على اليونانيين ، وتدشين هيكل سليمان في عام ١٦٥م و يستمر ثمانية أيام.

وعاشوا في هذه الارض ، وهم يعتبرونها موطناً لهم ، ولكنهم لم يفعلوا شيئاً لحمايتها من الدمار ، فتحولت الى خراب ، وقد عاش اطفال اسرائيل في الشتات ، وعيونهم تنظر الى هذه الارض دوماً ، يتطلعون الى العودة اليهم كوطنهم الحبيب(١).

ولقد ذهب الكتاب اليهود مذهباً بعيداً لترسيخ فكرة : «الارض بلا شعب» حين استغلوا مسألة البداوة العربية اسوأ استغلال ، لاثبات أن ارض فلسطين خالية من السكان ، بأن قالوا : إن البدوي لا يستقر في أرض معينة يسكنها ، فهو يرحل من مكان الى آخر ، لا يعترف بحدود بين دول أو اقاليم ، لذا لا يصح اعتباره مواطناً في هذه البلاد أو تلك ، هذا رغم الصور الايجابية التي تبرزها بعض القصص للبدوي ، ولكنها كلها تنصب على مظاهر اجتماعية عامة للبدو كالملبس مثلا ، أما حياته العملية ، فقد كانت مجالا للطعن الذي يصل الى حد السخرية ، اذ أنه في نظر هؤلاء الكتاب لا يعرف إلا الجمل والعنزة السوداء ، بل أنه في بعض المواضع من قصص الاطفال العبري ، نراه وقد اصبح كغيره من بني جلدته العرب ، يوصف بأوصاف سلبية ، على أنه انسان قذر ولص ، يعيش في خيمته القذرة وتنبعث منه الروائح الكريهة ، ولقد ورد ذلك في كتب كثيرة ، نذكر منها : «قصة نار في الغابة» لكاتبها يوسي مارجليت.

كل ذلك بهدف خدمة الادعاء الصهيوني ، بأن العرب ليسوا أهلا لهذه الارض ، وهي خالية من سكانها الاصليين اليهود ، الذين عادوا اليها من الشتات ، هذه المسألة التي استغلوها استغلالا واسعاً في قصص الاطفال العبري لترسيخها في أذهان الشبيبة الاسرائيلية.

هذا عن المرتكزات التي اعتمدت على آراء قديمة في جذور الثقافة الاسرائيلية ، هذه المرتكزات التي لم تكن وحدها التي حظيت باهتمام الكتاب الاسرائيليين في كتاباتهم ، بل أن هناك مرتكزات اعتمدت على مسائل وافكار حديثة ، دارت في غالبيتها حول الصراع بين العرب واليهود في العصر الحديث ، فتناولت احداث القتال،مجرياته واسبابه ، والمقاتل العربي وكذا الفلسطيني ، شخصيته الانسانية والقتالية ، هذه كانت من أهم محاور فكرة قصة الطفل العبرية الحديثة.

فمثلا القتال العربي ضد اليهود ، رسم على أنه حروب عصابات اجرامية ، واعمال قطع الطرق بالهجمات على القوافل الاسرائيلية المتجهة بالتموين للمستوطنات ، أو زرع الالغام أو

(١) انظر :
Journal of Plestine Studies Vol 61,1968.
The Portrayal of Arabs in Hebrew Children's Lierature
by Fouzi El— Asmar PP. 81— 84

القاء القنابل ، لهدف واحد فقط ، هو تدمير انجازات الجيل الطلائعي اليهودي ليس إلا.ذلك دون التطرق ولو بكلمة واحدة الى مسألة حق العرب في الدفاع عن وجودهم واراضيهم.

بل يتطرف الكتاب غاية التطرف ، حين يعزون أعمال القتال التي يقوم بها العرب الى التحريض ، بمعنى أنهم لا يقاتلون من واقع قناعة بأنهم اصحاب حق.

أما المقاتل العربي ، فانه مقاتل جبان أمام المقاتل الاسرائيلي وذلك ما حرصت القصة العبرية على ابرازه ، وقد ضربنا الامثلة على ذلك في ثنايا الدراسة.

أما المقاتل الفلسطيني بالذات ، فهو مخرب يفجر المرافق الحيوية المدنية ، و يهاجم المنازل والسكان المدنيين ، ولا يواجه الجيش الاسرائيلي ، مما جعله يبرز في أدب الاطفال على صورة مرعبة مخيفة.

غير أن صورة المقاتل العربي ، قد تغيرت بعد حرب عام ١٩٧٣م كما سبق وأشرنا ، فقد تغيرت الصورة السلبية القاتمة للمقاتل العربي في أدب الاطفال العبري بعد هذه الحرب ، إلا أن هذا التغيير لم يكن كبيراً(١).

أما عن مرتكز ابراز صورة العربي في أدب الاطفال العبري ، فقد تغلبت السلبية تماماً على الصفات الايجابية ، وتمكن ملاحظة ذلك بوضوح تام ، في ثنايا الدراسة ، من خلال الامثلة الكثيرة التي عرضناها ، أما الايجابيات النادرة ، فهي مما لا يعتد به،أما السلبيات الاكثر حجماً وانتشاراً في أدب الاطفال العبري ، بل إن من هذه الايجابيات على قلتها، اتخذت شكلا سلبياً مبطناً ، حين اعتبر الكاتب أن العربي الذي يتنكر لشعبه وحقوقه ووطنه ، و يساعد اليهود في حرمان العرب من حقوقهم في هذه البلاد ، انما هو العربي الجيد ، وواضح ما في هذا الأمر من المنطق المنقلب ، باعتبار الخائنبصفاته انساناً جيداً ، ولا احسب أن الكتاب الذين صوروا هذه الصورة ، فاتتهم مسألة أن الخيانة هي الخيانة ، والخائن الذي يخون قومه ، لن يكون بحال مخلصاً لغيرهم ، ولكنها الظروف التي تحتم عليه ما يفعل ، وحين تنتهي لتجد ظروف أخرى ، تراه يتحول بخيانته الى مجرى آخر حسب هذه الظروف التي جدت.

وفي ختام هذه الدراسة نقول : إن ادب الاطفال العبري الحديث ، يعتبر في غالبيته الساحقة ، ادباً يعكس الانطباعات الصهيونية السلبية عن العرب بعامة ، والفلسطينيين على وجه الخصوص ، في تصوير الشخصية العربية ، بل إن هذا الامر لم يقتصر على الاسرائيليين فحسب ، بل سعت الصهيونية الى تشويه الصورة العربية في اوساط اليهود في العالم ، بل أمام الرأي

(١) انظر :
Ibid ر P.P. 87— 91

العام العالمي بأسره.

ولقد تمت مناقشة هذه الانطباعات ، والصورة العربية التي انبثقت عنها في محافل وبحوث مختلفة ، ومنها كتاب : «الاستشراق» للاستاذ ادوارد سعيد ، الذي ناقش هذه المسألة وابرزها(١).

وعليه ، فنطرح السؤال التالي ، كيف يمكن أن تكون الحياة المشتركة بين شعبين ، يسعى احدهما جاهداً للعيش مع الآخر ، فوق رقعة صغيرة هي أرض فلسطين في وسط عالم عربي شاسع ، ما دام هذا الشعب يصور الذين يرغبون في العيش معهم بسلام ، بكل الصور السلبية ، التي في مجملها تبتعد عن الانسان ، بل تتسفل الى درك قد لا يقبل به الحيوان؟!

ولعل من المؤسف غاية الاسف ، أن يسعى كتاب وأدباء ، الى رسم هذه الصفات ، وتشخيصها عياناً ، وتقديمها للاطفال للاسهام في بناء شخصيتهم التي ستتوجه الى العرب بممارسات لا بد وأن تكون سلبية بقدر يزيد أو ينقص عن سلبية الصور التي عرفوا العربي عليها من خلال ما قرأوا أو سمعوا ، هؤلاء الاطفال الذين سيصبحون كباراً يمسكون بزمام الامور.

إننا نتوجه لهؤلاء الكتاب اليهود بكلمة أخيرة هي : أن اتقوا الله في انفسكم واطفالكمْ ، في انسانيتكم وفكركم ، ولعل خير قول ينطبق عليهم ما قال الشاعر العربي :

وَمَنْ يَكُ ذا فَمٍ مُرٍ مَريضٍ
يَجِدْ مُرّاً بِهِ الماءَ الزلالا

---

(١) انظر: Ibidر P. 81.

مصادر البحث

المصادر بالعربية

- القرآن الكريم.
- الكتاب المقدس.
- ابراهام سلمون : من البيت الى النقب ، تل أبيب.
- اريه حشبيه : شبان ابطال ، تل أبيب.
- غانم مزعل : الشخصية العربية في الادب العبري الحديث ، دار الاسوار ، عكا ١٩٨٥.
- يهود هنجبي : شوكة الارجمان ، تل أبيب.
- يونس عمرو (دكتور) : سليمان بن جبيرول وأثر الفكر العربي في مؤلفاته ، رسالة دكتوراه غير مطبوعة في كلية الآداب/ جامعة الاسكندرية ،١٩٧٩م.

المصادر بالعبرية

אבניר כרמל : הבלשים הצעירים במבצע סיני,
תל-אביב, זלקוביץ

: הבלשים הצעירים מחישבים בנגב,
תל-אביב, זלקוביץ

: הספורטאים הצעירים שבים,
תל-אביב, מזרחי, 1974

אביני פולק : מוצאם של ערב
אברהם בן שחר: שועלים בחורבות, תל-אביב
עם עובד, 1968

אדיר כהן : ספרים עבריים מחיי הערבים
אדיר כהן : אדב במלחמה § פנים מכועחת במראה
רשפים, תל-אביב, 1985

און שריג : דנידין במטוס החטוף,
תל-אביב, מזרחי, 1972

: דנידין במלחמת ששת הימים,
תל-אביב, מזרחי.

: דנידין בשבי,
תל-אביב, מזרחי, 1974

الفهارس

فهرس الأعلام

(أ)

ابراهام بن شاحر : ٨٧.
ابراهام شتيرن : ١٣٥.
ابراهيم عليه السلام . ابرام : ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ٨٢.
ابو سالم : ٥٤.
ابو لطيف : ٦٣.
ابو نعمي : ٦٢، ٦٣.
ابو نمر : ٦٤، ١٠١ ، ١٠٢.
الاتسل : ١٣٧ ، ١٣٨.
الاحزاب الدينية : ١٢٢.
احمد : ٨٩
ادبيئيل : ٩.
آدم (شخص يهودي) : ٢٤.
ادوارد سعيد : ١٤٤.
الادوميون : ٨، ١٤.
ادير كوهين : ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٤، ٧٢، ٧٧، ٨١، ٨٨، ٩٢، ١٠٠، ١٠١ ، ١٠٢، ١٠٦.
الاراميون ، الارامية : ٩، ١٣.
الاردنيون : ٥٧، ٥٨، ٩٢.
أري : ١٤.
اريك : ٩٩.
اريك شارون : ١٢٥.
اريئيل سوبلمان : ٥٩.
الاسباط : ٦٩.
اسباط اسرائيل : ١٠.
استيرميلو : ٤٦.
اسحق «عليه السلام» : ٧، ٨، ٩، ١٣، ٨٠.
اسحق نافون : ١٢٤.
الاسرائيليون ، الشعب الاسرائيلي ، بنو اسرائيل : ٨، ٩، ١١، ١٢، ١٧، ٢١، ٢٢، ٢٥
٣٠، ٣٩، ٤٢، ٤٧، ٥١، ٥٤، ٧٣، ٧٩، ٨٦
٨٧، ٩٣، ٩٤، ٩٧، ١٢٠، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٦
١٢٧، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦،
١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٣.
الاسلام ، الدين الاسلامي : ٢٢، ٢٤، ١٤٠.
اسماعيل : ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢.
الاسماعيليون : ٦٨، ٦٩.
الاسيويون : ٥٥.

اغودات يسرائيل : ١٢٧.
افرات : ١٩، ٢٠.
افنير : ٤٧، ٧٠.
افنير كرميلي : ٦٥، ٧٣، ٧٥، ٩٩، ١٣٥، ١٣٦.
افيجدور : ٧٥.
البس : ٤٣.
الحنان : ٩١.
الامان : ٩٢.
اله اسرائيل : ١٢.
اليعزر شموئيلي : ٤٣، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤.
اليوت ارونسون : ٦٠.
الامة العبرانية التوراتية (العبرانيون) : ١٣٥ ، ١٣٦.
الانباط : ١١.
الانتداب : ١٠٥.
الانجليز : ٥١، ١٠٥.
انطون شلحت : ١٣٣ ، ١٣٩.
اوري : ٣٤ ، ٨٤.
اوريئيل اوفك : ٨٥.
اون سريج : ٩٤، ٩٦، ٩٩، ١٣٥.
ايتان درور : ٩٧، ١٣٥.
ايتان نوتيف : ١٣٥.
ايتسك : ٨٦.
ايزه : ٤١، ٤٢.
ايسريس : ٨٢، ٨٣.
ايش داميم (رجل الدماء : ١٣.
ايش ساده (رجل البرية) : ١٣.
ايش صـيد (رجل صيد) : ١٣.
ايلي : ٨٢ ، ٨٣.
ايلي اديطو : ٥٩.
ايلي فاز (اليفاز) : ١٤.
ايلي لي : ١٣.
ايلي نيتسر : ٨٩.
ايهود بن عيزّر : ١٩، ٢٠.

(ب)

بات شيبع : ٧٩.
باتيه كرمي : ١٠١.
باروخ نادل : ٩٣، ٩٩.
البدو ، البداوة : ١٧، ٥٠، ٥٤، ٥٥ ، ٥٦، ٦٨، ١٤٢.
بدو النقب : ١٧.
البريطانيون : ١٣٧.
بكر : ٩، ١١.
البلماخ : ٨٣، ١٣٧، ١٣٨.
بلهه : ١١ .
بنو قيدار : ١٢.
البولنديون : ٧٩.
بيل كارتر : ٩٩.

(ت)

تسفي لام : ٧٢.
تسفيه جرنوت : ٤٣.
تسومت : ١٢٧.
تسيفيه شالوم : ٧٥.
تسيون : ١٠١.
التلمود : ٩.
تمار : ٥٩.
التنظيم الارهابي اليهودي : ١١٩، ١٢٠.
التوراة : التوارتي : ١١، ١٣، ١٦، ١٣٣، هـ ص. (١٣٨).
توليا زيفي : ١٢٨.
تيما : ١٠.

(ج)

جاد : ١٠.
جالية رون : فدر : ٩٩.
الجالية اليهو دية الايطالية : ١٢٨.
الجبهة التقدمية للسلام : ١٢٧.
جرشون : ١٠٣.
جليلة رون ـ فدر : ٧٨.
الجنود الاردنيون ، جيش شرق الاردن : ٥٧، ٥٨، ٩٢، ١٣٧، ١٣٨.
الجنود المصريون ، جيوش مصر : ٩٢، ٩٣، ١٣٧، ١٣٨.
جورج : ٩٨.
جورفيتس (كاتب) : ١٤١.
جولان : ٩٢ .
جيزنيونس : ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤.
الجيش الاسرائيلي جيش الدفاع الاسرائيلي : ٤١، ٥١، ٨١، ١٠٤، ١٠٥، ١١٩، ١٢٣، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٣، ١٤٣.
جيله : ٤٢.
جيوش سوريا : ١٣٧، ١٣٨.
جيوش العراق : ١٣٧.
الجيوش العربية : ٧٣، ٩٣ ، ٩٤، ١٣٧، ١٣٨.
جيوش لبنان : ١٣٧.

(ح)

حانه يكيري : ١١١.
حايه : ٤٠، ٤١.
حاييم الياب : ٦٤، ٩٠، ٩١، ٩٩.
حاييم وايزمن : ٨١.
حداش : ١٢٧.
حرب سيناء عام ١٩٥٦ : ٤٩، ٥١، ٧٦.
الحرب العالمية الثانية : ٣٩.
حرب عام ١٩٤٨ : ٢٩، ٣٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٦، ٧٢، ٧٨، ٨٠، ٨٢، ٩٣، ١٠٣، هـ ص. (١٣٦) ، ١٣٧.
حرب عام ١٩٦٧ ، حرب الايام الستة : ٣٣، ٣٩، ٤٢، ٤٦، ٥٧، ٥٨، ٦٢، ٧٣، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ١٠١، ١٣٧، ١٣٨.
حرب عام ١٩٧٣ : ٧٣، ٧٨، ٩٦، ٩٨، ١٠٠، ١٤٣.
حرب فلسطين : ١٣٦.

حرب لبنان : ١٢٤.
حرب يوم الغفران : ١٠٠.
حركة البلماخ : ٤١.
حركة فتح : ٩٩.
حركة كاخ ، حركة كهانا : ٣٦، ١١٨، ١٢٠.
الحركة الوطنية الفلسطينية : ١٢٥.
حزب المبمام : ١٢٢، ١٢٧.
حزير : ١٤.
حسمباه : ٥٩.
حسن : ٢٠.
حسن الجيدي : ١٠٤.
الحسيديم : ١٧.
الحشمونائيم : هـ ص. (١٤١).
الحكم الاسرائيلي : ٢٩، ١٢٣.
الحكم التركي : ٤٤.
الحكم اليوناني : هـ ص. (١٣٨).
الحكومة الاسرائيلية : ١٢٠، ١٢٤، ١٢٥.
حميد : ٥٦.
حنه : ٦٥.
الحنوكاه (عيد) : ١٤١.
حوادث عام ١٩٣٨ : ٥٢.
حيدار : ١٠.

(د)

دافي : ٢٤.
دافيد : ٤٢ ، ٦٩، ١٠٠.
دافيد بن غوريون : ١٧، ٨١.
دافيد هوربيتش : ٥٥، ١١٩.

دان شيفطن : ٢٩.
دان مرغليت : ٢١، ١٢٧.
دانيئيل (النبي) : ٨١.
داني : ٨٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠١، ١٠٢.
داني روبنشتاين : ١٢٨.
داني كاتس : ١٠٢، ١٠٩.
داوود : ٨٤.
دبوره عومر : ٣٤، ٧٣، ٧٦.
درور ايتان : ١٠٢.
درور بك : ٨٤.
الدروز : ٦٧، ١١٩.
دنيدن : ٧٥، ٧٦، ٩٢، ٩٦، ٩٧.
دوجيت : ٥٦.
دودكة : ٧٦.
دودو : ٩٧.
دورا بلوخ : ٩٨، ١٠٢.
دوريث شلومي : ٩٨.

دومه : ١٠، ١١.
ديشون : ١٤.

(ر)

رابين : ١٢٣، ١٢٤،
راتس : ١٢٢، ١٢٧.
راحيل ينئيت بن تسفي : ١٧.
رامي : ١٠٠.
رجال الامن السري : ٩٢.
رجال الامن المصريون : ٩٣.
رجال بليعال : ١٣.
رجال التكوين : ٦٢.
رجال الشرطة : ١٠٩.
رجال هشومير (الحرس) : ٥٥.
الرجل الفولاذي : ٨٩.
رحبعام : ٨٩.
رونبي : ٧٣، ٧٤.
روبين : راوبين : ١٠، ١١، ٦٨، ٦٩.
روعه او يلي : ١٢.
روفائيل ساهر : ٩٩.
الرومان : ١٣٩.
روني : ٩٨، ٩٩.

(ز)

زروبابل هوربيتس : ٧٩، ٨١، ٨٣، ٨٤.
زكية : ٥٥.
زوهر : ٥٥.
زيفه : ٤٨.
زئيف فاردي : ٨٦، ١٠١، هـ ص. (١٠٢).

(س)

ساره ، ساراي : ٧، ٨، ٩، ١٢.
سامي سموحة (برفسور) : ١٢٠.
سبط منشا : ١٠.
سبط يهوذا : ١٧.
سعيد : ٥٨، ٩١.
سعيد حمد الله : ٦٤.
سعير ، سعير الحوري : ١٤.
سليم : ٩٥.
سليمان بن جبيرول : ١٤.
السوريون : ٢١، ٢٢، ٣٣.

(ش)

شاس : ١٢٧.
شاكيد : ١٥، ١٦.

: דנידין מפליג בים,
תל-אביב, מזרחי, 1974

: דנידין משחרר שבויים,
תל-אביב, מזרחי, 1972

אוריאל אופק: אינצרלופיץ לספרות,
: הצנחנים באים,
תל-אביב, ספרית עופר, תשכ"6

: מסע אל אבא החייל,

אורי אורליב: חיים החושך,
תל-אביב, עם עובד, 1976.

איתן דרור : ברק ורעם,
תל-אביב, סמית, 1977

אלי נצר : שמשון היה ילד חלש.
רמת-גן מסדה, 1973

אליעזר שמואלי: אני בראשית,
: אור הגליל,
: בני הילכה כחיבת-נוח.

אסתר מילוא : החנוך משנה עברי הגביל
(מתוך רמזור שנה די חובי 11 דצמבר 1967).

אסתר שטרייט-ורצל :
נערי המחתרת,

ביצי יפת : הסמה אומץ לב, ירושלים, מרכוס.

בנימין הלוי: אורי ועירן

בנימין תמוז: דוגית מפליגה אל הים,
תל-אביב, עם עובד, 1970

ברוך נאדל : נטי ומאירעות הסלע האדום,
תל-אביב, מזרחי, 1974.

: נטי וסוד המבצר בעפן,
תל-אביב, מזרחי, 1974.

גלילה רון-פדר: משה דיין,
ירושלים, כתר, 1984.

גרשון שקד : אין מקום אחר,

דבורה עומר : הגבול שבלב,
תל-אביב, שיברס, 1977
: לך באהבה,
: מעבר לכביש,
תל-אביב, שרבזק, 1972
: עד השמים,
: על הגובה,
תל-אביב, שרבריק, 1974.

דביה בן שלום: הוא ברח מן הבית

דוד הורביץ : האתמול שלי,

דוד שחר : ככיף תקותין שלריקי מעוז

זאיב וארדי : מי רץ בסימטאות,
תל-אביב, מזרחי, 1974

זאיב דומניץ: טבילת אש

חיים אליאב : ילדי העיר העתיקה בשכי הלגיון,
תל-אביב, יסוד, 1971

: ילדי העיר העתיקה ומלחמתם במסתננים,
תל-אביב, יסוד, 1970

יגאל גולן : השלישה הערבות מניחי הפזדות,

יהואש ביבר : שני מחנות
תל-אביב, ספרית פועלים, 1964

יהודה בוזלא: בעל בעמיו, תל-אביב

יהודה סלוה : אש בהריט
תל-אביב, עם עובד, 1964

יהושפט הרכבי: עמדת ישראל,
תל-אביב, דביר, 1967

: סכסוך ערב ישראל ברא. הספרות העברית
ירושלים, ונליר,1975

יוסי מרגליות: אש בחורשים,

יפרח חביב : הזקן שהדליק מדורות,
מרחביה, ספרית פועלים, 1973

יצחק בן-ניר : בעקבות מכעיר השדות
ירושלים, כתר, 1980

מיכאל דשא : זוהר וזכיר

מלכה פישקין : גבורינו הקטנים,
תל-אביב, שכרים, 1970

מנחם רגב : מדריך לספרות ילדים, תל-אביב

מנחם חלמי : יחי האומץ

משה סמילנסקי : על חוף הירקון

משה שמיר שמואלי: חיי עם ישמעאל,
תל-אביב, מעריב, 1968

מ. גרעין : : הקדליק יורד הדומה

: השד 2 יוצא לגבול,
תל-אביב, יסוד, 1970

נחמיה אלוני : משירת רשבייב ולשונו,
Hebrew Union College Annual,Vol.XLVII,1979.

נחמיה אלוני : השתקפות המרד בערבית בספרותנו
בימי הביניים,
קרית-ספר, ירושלים, 1979

נעמי זורע : אל חול ויום כחול,

עודד בצר : הגששים מגבול הצפון,
תל-אביב, שהרק, 1975

: לא בדרך המלך,

: נא לא לדרוך על הדשא,
תל-אביב, שרברד, 1969

עמוס בר : פורץ המחסומים,
תל-אביב, שרברק, 1977

ערן שורר : שלילות חביא,

צבי ליברמן : בהרי ירושלים,

צביה הגרנות : ילד השכונות והבקתה של שפת-הים,
תל-אביב, עם עובד, 1970

קרה פדר : הווה נעשה שלום,
רמת - גן, מסדה, 1964

רבקה קרן : ידידי גבול,

ש. פנחס : הגנב למטמון הזהב של שושונקין הזקן

المصادر بالانجليزية

- W. Gezenius, A Hebrew and English Lexicon of the O. T. ر tran. in Engl. by R. Carendon, oxford, 1972.
- The Encyclopedia of the Bible, New Jersey, 1965.
- F. AL Asmar, Juornal of Palestine Studies, Vol. 61, 1968.

الدوريات باللغات المختلفة :

١ – يديعوت احرونوت (بالعبرية)، ١٩٨٣/١١/١٨.
٢ – يديعوت احرونوت (بالعبرية)، الملحق الادبي، ١٩٨٣/١١/١٨.
٣ – يديعوت احرونوت (بالعبرية)، ١٩٨٧/٩/٢٩م.
٤ – الاتحاد (بالعربية)، ١٩٨٧/١٠/٢٩م.
٥ – الراية (بالعربية)، ١٩٨٧/١١/٢٧م.
٦ – الاتحاد (بالعربية)، ١٩٨٧/١٢/٣٠م.
٧ – الفجر (بالعربية)، ١٩٨٨/٣/٩م.
٨ – الفجر (بالعربية)، ١٩٨٨/٢/١٠م.
٩ – الفجر (بالعربية)، ١٩٨٨/٣/٥م.
١٠ – الفجر (بالعربية)، ١٩٨٨/٣/٢م.
١١ – الاتحاد (بالعربية)، ١٩٨٦/٨/٨م.
١٢ – الاتحاد (بالعربية)، ١٩٨٦/٨/١١م.

شاؤول : ٥١.
الشبيبة الاسرائيلية : ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ١١١، ١١٢، ١١٧، ١١٨، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٥، ١٣٠، ١٣٨، ١٤٢.
شراجا غفني : ٥٩، ٦٠، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٠.
شعب الانبياء : ١٣٨.
الشعب الفلسطيني : ١٥، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٨.
شعب الله المختار : ٩.
شمشون : ٥٢، ٨٩.
شمعون : ٨٦.
شمعي : ١٣.
شموئيل : ١٠٣.
شموئيل موريه : ٢٦ .
شوشانا : ٦٥.
شيشخ : ١٣.
شينوي (التغيير) : ١٢٢، ١٢٧.

(ص)

صحيفة الاتحاد : ١٢٥. ١٣٣.
صحيفة دافار : ١٢٨.
صحيفة عل همشمار : ١٢٨.
صحيفة الفجر : ١٢٧.
صحيفة القدس : ١١٩.
صحيفة هآرتس : ١٢٧.
صحيفة يديعوت أحرونوت : ١١٨، ١٢٠، ١٢١.
الصهيونية : ١٤٠.

(ط)

الطلائعيون : ٦٢.
الطوائف الايطالية : ١٢٨.
الطوائف الشرقية : ٣٦، ١١٨.
الطوائف غير اليهودية : ١١٥.
الطوائف المتدينة : ٣٦، ١١٨.

(ع)

عاموس : ٧٦.
عاموس بار : ٧٩، ٨١، ٨٣، ٨٥.
عامي : ٥٧.
عبد (رمز للعرب) : ١١.
عبد الله : ٩٤.
عبد اللطيف : ٦٤.
عبد الهادي : ٩٤، ٩٥.
العبودية : ١٣٣.
عدا : ١٤.
عدنه : ٥٧، ٥٨.

العرب اعراب ، عربان ، عربي : ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨٢، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٧، ٩٩، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٦، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١ ، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤.
عرب الخط الاخضر : ١١٤، ١٢١، ١٢٢، ١٢٨.
عرب فلسطين : هـ ص. (١٣٧).
عزيز : ٥٧.
علماني العلمانيون : ١١٥، ١١٦، ١٣٤.
علي : ١٠٣.
عملية يوناثان : ٩٧.
عوديد بيتسر : ١٩، ٦٣، ١٠٠.
عوزي : ٥٩، ٩٧.
عيد الفصح العبري : ١٣٣.
عيدو سيتر : ٩٩.
عيران : ٧٥.
عيسى المسيح : ١٣.
عيسو ، أدوم ، ادم ، ايش صيد ، ايش ساده : ٧، ٨، ١٣، ١٤.

(غ)

غانم مزعل : ١٩، ٢٢، ٢٣.
غوث : ٤٠.

(ف)

الفاتحون المسلمون : ١٣٩.
فتروسيم : ١٢.
الفتيان البولنديون : ٧٩.
الفدائيون : ٧٣، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠٩، ١١٤، ١١٥، ١١٦.
الفراعنة : ١٣٣.
الفرس : هـ ص. (١٣٨).
فريخ : ١٢.
فريدمان (دكتور) : ١١٩.
الفلسطينيون : ٢٢، ٢٦، ٧٢، ٩٦، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١١٢، ١١٦، ١١٧، ١٢٥، ١٢٨، ١٤٠، ١٤١، ١٤٣.
فيدوتسيه (عجوز يهودية) : ٢٤.
فيصل سليم : ٥٩. ٦٠.

(ق)

قدمه : ١٠.
قضية الشرق الاوسط : ١٢١.
القضية الفلسطينية : ١٢٥، ١٢٨، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٠.
قطوراه : ١٢.
قوات الاتسل : ١٣٧.
القوات الاسرائيلية ٧٦.
قوات البلماخ : ١٣٧.
قوات الليحي : ١٣٧.

قوات الهاجناه : ١٣٧.
قيدار : ٩، ١٢.

(ك)

كاخ (كهانا) : ٣٦، ١٢٢، ١٢٧.
كارثة لبنان : ١٢٥.
كتلة المتدينين : ١٢٧.
كتلة مركز اليمين : ١٢٧.
كتلة وسط اليسار : ١٢٧.
كتلة اليسار : ١٢٧.
كتلة اليسار المتطرف : ١٢٧.
كتلة اليمين : ١٢٧.
كتلة اليمين المتطرف : ١٢٧.
كرين ليفي (طالبه) : ١٢٣، ١٢٤.
كهانا : ٣٦، ١١٩، ١٢٠.
كوبي : ٤٢.

(ل)

الليحي (منظمة) : ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨.
الليكود (التكتل) : ١٢٢، ١٢٧.

(م)

ماري : ٩٧.
مبام : ١٢٢، ١٢٧.
مبسام : ٩، ١٠، ١١.
المتدينون ، متدين : ١١٥. ١١٦.
محمد (النبي) : ١١، ١٢.
محمود : ١٠٩.
المخربون : ٩٢، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠٢، ١١٤، ١١٥، ١١٦.
المديانيون : ٦٩.
المسلمون : ٩، ١١، ١٢، ١٤، ١١٢، ١١٥، ١٤٠.
المسيحيون : ٩، ١٣، ١٤، ١١٢، ١١٥.
مشماع : ١٠، ١١.
المصرية : المصريون : ٨، ٩، ١١، ١٢، ٣٤، ٥١، ٧٥، ٧٦، ٨٥، ٩٢، ٩٩.
مصطفى : ١٠٣.
المعراخ (التجمع) : ١٢٢، ١٢٧.
المقاتلون الفلسطينيون : ٧٢، ٩٦، ١٤٢.
المكابيون : ١٣٨.

ملكة فيشكين : ٧٦.
مناحم تلمي : ٨٢، ٩٤، ٩٩.
مناحم ريجف : ٤٧. ٤٩. ٥٠، ٥١، ٧٠.
مهاجرو رومانيا : ١١٤.
مهاجرو العراق : ١١٤.
مهاجرو المغرب : ١١٣.
مورشاه : ١٢٧.

موسى : ١٠٤.
موشيه : ٧٩، ١٠١.
موشيه ديان : ١٧، ٧٨.
موشيه سطابيسكي : ٢٢، ٢٣.
موشيه طاطر : ١١٩.
موطي : ٥٢.
ميخال : ٣٤.
ميخا هوف (دكتور) : ١٢٧.
ميخائيل هرتسبرغ : ٥٩.
مينه تسيمح : ١١٩، ١٢٠، ١٢١.

(ن)

ناتان شاحم : ٢٠، ٢٢.
ناتي : ٩٣، ٩٩.
نافه زوهر : ١١١.
نافون (كاتب) : ١٤١.
نافيش : ١٠.
نايف : ٨٢.
نبايوت : ٩، ١١.
نحميا آلوني (دكتور) : ١٤.
نسيم : ٨٨، ٩١، ٩٢.
نطوري كارتا : ١١٩.
نعمي عوفري : ٩٨.
نعيم : ٢٤.
النكبة الفلسطينية : ١٣٦.

(هـ)

هاجر ، هجريم ، اماه ، جروشاه ، فيليجيش ، شفحاه : ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢.
الهاجناه : ١٣٧.
هتحياه (النهضة) : ١٢٢ ، ١٢٧.
هتلر : ٩٧.
هرتسل : ٣٤.
همفدال : ١٢٧.
الهنود الحمر : ٨٠.
هوروبيتس (دكتور) : ١١٩.

(ي)

يارون زهابي : ٥٩. ٦٠.
ياعيل : ٤٨.
يجئال : ٤٨، ١٠١.
يجئال موسينزون : ٥٩، ٩٩، ١٠١.
يتسحاق بن نير : ٦٤.
يشعيا هوريم : ٣٤.
يطور : ١٠.
يعقوب : ٨، ١٣، ٨٠، ٨٣، ٨٤، ٨٥.
يغئال غولان : ١٣٥.

يفتاح : ٨٥.
يليد بيت : ١٠.
يهوآش بيير : ١٩.
اليهود ، اليهودي ، اليهودية ، الشعب اليهودي : ٦، ٧، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٦٠، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠ ، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨٦، ٨٧، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٥، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٨، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٧، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤.
يهوذا : ٦٩.
يهوشافاط هركابي : ٤٦.
يهوشوع مار بين : ١٧. ٢٤.
يوآب : ٤٢، ١١١.
يوبال : ٩٩.
يوسف : ١٤١.
يوسف «عليه السلام» : ٦٨، ٦٩.
يوسف اريكه : هـ ص. (١٧).
يوسي مارجليت : ١٤٢.
اليونان : اليونانيون : هـ ص. (١٣٨) ، هـ ص. (١٤١).

فهرس الاماكن

(أ)

الاتحاد السوفياتي : ١٣٨.
الاراضي العربية المحتلة : ١٢٦. ١٢٨.
ارام نهرايم ، ارام النهر : ٩.
الاردن : ١٣٧، ١٣٨.
ارض الادوميين : ١٤.
ارض الانبياء : ١٣٨.
ارض الجزيرة : ٨، ٩، ١٢.
ارض الشمال : ١٢.
ارض العبرانيين : ١٣٥، ١٣٦.
اسرائيل،دولة اسرائيل : ٢٢، ٢٨، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٩، ٤١، ٤٢، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥١، ٥٣، ٦١، ٦٨، ٦٩، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٩٤، ٩٧، ٩٨، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٣، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٢.
اسيا : ١٣٦.
افريقيا : ١٣٦.
اميركا : ١٠٨.
الاندلس : ١٤.
اوروبا : ١٣، ١٥، ٧٩، ١٣٦.
اوغندة : ٩٧، ٩٨.
ايطاليا : ٤٢.

(ب)

باب الواد : ٨٠.
بابل : ١٠، ١٣.
البتراء : ١٧.
بريطانيا : ٣٩.
البقيعة (قرية) : ٢٤.
بلاد الاراميين : ٩.
بلاد العبرانيين : ١٣٦.
بلاد العرب : ١٢.
البلدة القديمة في القدس : ٦٤، ٦٨، ٨٧، ٩٠، ٩١، ٩٩، ١٠١.
بني براك : هـ ص. (١١٩).
بولندا : ٧٩.
البيت العتيق : ٨.
بئر السبع : ١٤. ٩٣.

(ت)

تسفيت (مؤسسة تربوية) : ١١١.
تل أبيب : ٢٩، ٤٣، هـ ص. (٦٨) ، ١٢٣.
تل حاي (تلة الحياة) : ١٤١.

(ج)

جامعة بئر السبع : ١٤.
جامعة تل أبيب : ٢٩، ١١٩.
الجامعة العبرية : ٢٦، ١١١، ١٢٠.
جبرات (قرية) : ٦٣.
جبل الكرمل : ١٠٦، ١١٠.
جتو (حارة اليهود) : ١٥.

جلعاد : ٦٨.
الجليل : ٢٤، ١٤١.
جنة عدن : ٤٤.
جنوب لبنان : ٦٧.
جنين : هـ ص. (١٠٣).
الجولان : ١٣٨.

(ح)

حائط المبكى : ٧٨.
حيفا : هـ ص. (١٠٥) ، ١٠٦، ١٣٨.

(خ)

الخط الاخضر : ١١٢، ١١٤، ١١٨، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٥، ١٢٧، ١٢٨.
الخليل : ٥٠.
خيبر : ١٧.

(د)

دمشق : ٩٨.
دوثان : ٦٨.
دولة فلسطينية : ١١٣، ١١٦، ١١٧، ١٢٥، ١٢٨.
دومة الجندل : ١٠.
دير شوشة : ٨٢.

(ر)

رامات جان : ١٢٣.
رحوبوت : ١٠٤.
الرملة : ١٧، ٢٣.
رومانيا : ١١٤.

(س)

الساحل الفلسطيني (سهل قاقون) : هـ ص. (١٠٥).
سافوي (فندق) : ١٠٢.
سوريا : ٩، ٦٠، ٦٤، ١٣٧، ١٣٨.
سيناء : ٥١، ٦٥، ٧٦، ٨٩، ١٢٣، ١٣٨.

(ش)

الشارون (السهل الساحلي الفلسطيني) : ١٠٥.
شرقي الاردن : ٥٠، ١٠٣، ١٣٧.

(ص)

صفد : ١٩، ٢٠، ١٣٨.

(ض)

الضفة الغربية : ١١٢، ١٢١، ١٢٥.

(ط)

طبريا : ١٣٨.
الطيبة (قرية) : ١٠٤.

(ع)

عراد : ١٢١.
العراق ، بلاد ما بين النهرين : ١٠، ١٣، ١١٤، ١٣٧.
عكا : ٩٩.
عمان : ٥٨، ٩١.
عين حارود (عين جالود) : ١٠٣.

(غ)

غور الاردن : ٧٦.

(ف)

الفرات : ١٣٥.
فلسطين : ٨، ١٥، ١٦، ١٧، ٦١، هـ ص. (١٠٣) ، ١٠٧، ١٠٨، ١٣٨، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٤.
فنيئيل : ٨.

(ق)

القاهرة : ٥١، ٩٨.
القدس : ٢٦، ٣٥، ٥٠، ٥١، ٥٧، ٦٨، ٨٠، ٨٣، ٨٥، ٩٨، ١٠١، ١١٠، ١١٢، ١١٧، ١١٩.
القسطل ٨٣، ٨٥.
قطاع غزة : ١١٢، ١٢١، ١٢٥.
قلقيلية : ٤٩، ٥٠.

(ك)
الكانتري كلاف (فندق) : ١٠٢.
كريات شمونة : ١٠٢.
الكنيست : ١١٣.

(ل)
لبنان : ٦٠، ١٢٤، ١٢٥، ١٣٧.
اللد : ٢٣، ٧٤.

(م)
المدارس الدينية : ١١١، ١١٤.
مدرسة ابشالوم : ٥٩.
المدرسة الثانوية الشاملة في عراد : ١٢١.
مدرسة شنيلر : ١٠٣.
المرج : ٧٨.
مستعمرة ريشون لتسيون : ٥٩.
مستوطنة ابن شيمن : ٧٤.
مستوطنة بتاح تكفا : ٦٨.
مستوطنة يعرياه : ٨٢.
مستوطنة يميت : ١٢٣.
مسرح نفيه تسيدك : ١٢٤.
مصر ، شمال مصر : ٩، ١٢، ٣٤، ٥١، ٦٨، ٦٩، ١٣٣، ١٣٧، ١٣٨.
مطار عنتيبي : ٩٧.
معلوت : ١٠٢، ١٢٣.
معهد داحف : ١٢١.
معهد ساليد ١١٩.
معهد فان ـ لير : ٣٤، ١١٢، ١١٧، ١١٩، ١٢١.
معهد موديعين ازراحي : ١٢٧.
المغرب : ٦٩، ١١٣.
مكة : ٢٤.
ملبس (قرية عربية) : هـ ص. (٦٨).
المناطق المحتلة : ٣٣، ٣٥، ٣٦، ١١٢، ١١٣، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٩، ١٣٠.
منطقة ابوربيس : ٧٦.
منطقة الشرق الاوسط : ١٢٩.
منطقة كلبوع : ٨٣.
منطقة نهر الاردن : ٤٨.
المهجر : ٣٩، ٤٨، ٥٢، ٧٠، ١٣٩.

(ن)
نابلس : ٣٤.
نطيفة (قرية) : ١٠٣.
النقب : ١٧، ٥٣، ٦٨، ٦٩، ١٠٤.
نهر الاردن : ٤٨، ١٣٦.
نهر الفرات : ٩، ١٣٥.

نهر الليطاني : ٦٧.
نهلال : ٧٨.
النيل (نهر) : ١٣٥.

(هـ)
الهلال الخصيب : ٩.
هيكل سليمان : هـ ص. (١٤١).

(و)
الولايات المتحدة : ١٣٨.

(ي)
يافا : ١٩، ٥٦، هـ ص. (١٠٥) ، ١٣٨.
يهودا : ١٩.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥ ـ ١٨
المبحث الاول : (صور للعربي في الادب العبري الحديث)	١٩ ـ ٢٧
المبحث الثاني : (مواقف اليهود من العرب حسب الافكار القديمة في اسرائيل)	٢٨ ـ ٣٧
المبحث الثالث : (علاقات العرب باليهودوملامح الشخصية العربية في أدب الاطفال العبري)	٣٨ ـ ٦٥
المبحث الرابع : (الخوف من المواجهة واللقاء في حالي السلم والحرب)	٦٦ ـ ٩٥
المبحث الخامس : (المقاتلون الفلسطينيون في أدب الاطفال العبري)	٩٦ ـ ١٠٥
المبحث السادس : (الآباء يأكلون الحصرم والابناء يضرسون)	١٠٦ ـ ١٣٠
آخر المطاف	١٣١ ـ ١٤٤
ثبت المصادر	١٤٥-١٥٣
فهرس الاعلام	١٥٥ ـ ١٦٤
فهرس الاماكن	١٦٥ ـ ١٦٨
فهرس المحتويات	